جامعة الزقازيق
كـلـيـــة الآداب
قسـم الفلسـفـة

التصوف عند أبي عبد الرحمن السُّلمي
"٣٢٥ ـ ٤١٢" هـ

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآداب
" في الفلسفة"

إعداد
أحمد محمد عطيه محمد

تحت إشراف
الأستاذ الدكتور: محمد محمود عبد الحميد أبو قحف
أستاذ الفلسفة الإسلامية وتاريخها

عـام ٢٠٠٦

قال تعالى:

(قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي*وَيَسِّرْ لِيَ أَمْرِي*وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي)

[سورة: طه – الأية٢٥: ٢٨]

إهداء

إلى أمي ، رمز العطاء والحنان ،
من علمتني كيف اغرس زرعاً وأرعاه واصبر عليه
إلى وقت حصاده ، حتى اجني منه ثماره .
إلى أبي وزوجتي وأخوتي فكلهم ساعدوا
في إخراج هذا العمل كل بجهده
أهدي لهم هذا العمل
راجياً الله أن يتقبله وأن يكون علما ينتفع به

شكر وعرفان

شكري لله لهبتي هذه الحياة ، ثم شكراً خاصا لرسول الله ρ لأنه نصح العالمين بطلب العلم من المهد إلى اللحد ثم شكري إلى أستاذي الدكتور : محمد محمود عبد الحميد أبو قحف ، الذي علمني كيف أبحث بين أمهات الكتب والمصادر ، فقد تعلمت منه دقة البحث وحب الاطلاع ، وقد أرشدني إلى الصبر في العلم حتى يخرج هذا العمل على الوجه المطلوب ،

إلى أستاذي الذي وسع صدرا وسهر جفناً ، لإخراج هذه الدراسة ،

أرسل له أسمى آيات الشكر والعرفان

على ما صنع بي ، فهو نعم الأستاذ والأب الناصح

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه ، والصلاة والسلام على ختام المرسلين وسيد الخلق إلى يوم الدين محمد ρ ، كان بين الخلق رجلاً ، وبين الرجال بطلاً وبين الأبطال مثلاً .

وبعد

إن النفس الإنسانية هي النفس العاقلة التي تسيطر على الطبيعة الإنسانية ، وهي التي تشكلها وتهيئها ، وقد وضع الله في هذه النفس الإنسانية العقل تكريماً لها . وسبب هذا التكريم أن تعبد الله وتخلص له العبادة ، فكان السبب الأول الذي خُلق من أجله الإنسان هو العبادة ، لا تشكيل الطبيعة وتهيئتها، لهذا فقد عبد الإنسان الله منذ أن خلق الله آدم إلى اليوم، وإن انحرف بعض بني آدم عن عبادة الله لهذا فقد أنزل الله رسله وأنبياءه ليرشدوا هؤلاء النفر إلى عبادة ربهم ، وكان أيضاً من بين بني أدم عباد أخلصوا العبادة لله وسموا عباد الرحمن أو عباد الله الذين لا يخشون في الله لومة لائم ، وهم في الأرض كالجبال الراسيات ، يدعون الناس من بعد الرسل إلى عبادة الله ، وكان من بين هؤلاء النفر أبو عبد الرحمن السُّلمي موضوع البحث ، فقد أهتم السُّلمي بالنفس التي تدعو الإنسان دائم إلى هواها وتنفيذ رغباتها ، ونصح السُّلمي الإنسان بأن يحذر نفسه التي بين جنبيه مبينا له عيوبها ، ومعالجاً لهذه العيوب ، ولهذا فقد بحثت في التصوف عند أبي عبد الرحمن السُّلمي بصفته أحد رجال الله في أرض الله .

أتناول من خلال هذا البحث ، التصوف عند أبي عبد الرحمن السُّلمي ، الذي كثيراً ما عرف بأنه مؤرخ الصوفية ، ولذلك أردت من خلال هذه الدراسة أن أبين أن السُّلمي كان في المقام الأول أحد الصوفية بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، وهو أيضاً مؤرخ للصوفية. وما دفعني إلى هذه الدراسة هو غرق الإنسان وسط هذه الماديات والمغريات، التي تفترضها عليه الحياة من حوله، فأردت أن أبحث عن أحد رجال

الجوانب وأن يتعلم بعض منها ، لتعدل طباعه المادية ، ويتأثر ببعض الروحانيات التي تهدأ من رعونة النفس وغرائزها ، حتى يتحول من المادية والآلية إلى العقل والتفكير، عارف ما خلق لأجله وهو العبادة ، وذلك أحد أسباب دراستي لهذا البحث والسبب الآخر هو توضيح الجانب السني في تصوف السُّلمي ، ورد التهم التي وصفت السُّلمي بالانحراف ووصفته بأنه من الباطنية ، وأحد الأسباب أيضاً أن أظهر السُّلمي كصوفي بعيداً عما عرف عنه بأنه مؤرخ للصوفية ، وأخيراً توضيح التفسير الإشاري وبيان مكانته بين التفاسير الأخرى عند السُّلمي حيث يعتبر السُّلمي من أوائل من وضع تفسيراً صوفي للقرآن الكريم.

منهج البحث

استخدمت في هذه الدراسة المنهج التحليلي النقدي ، فقد تناولت تحليلاً لآراء السُّلمي وربطها ببعض الآراء ، وقمت بنقد ما يستحق النقد منها ، وأرجو أن أكون قد استطعت أن أوفي هذه الدراسة حقها وأن تظهر في شكل يليق بالبحث العلمي .

أهم المراجع المستخدمة في الرسالة

اعتمدت في هذه الدراسة على مصادر رئيسية وهي مؤلفات السُّلمي ومنها :

١ـ مخطوط سلوك العارفين : وفيها يبين السُّلمي مكانة الصوفية بين العلماء والفقهاء ، حيث يبين فيه أن العلماء أربع طبقات هم: الفقهاء والمحدثون، وأهل المعاملات(الزهاد)، وأرباب حقائق (الصوفية)، وعلماء النسبة (وهم أهل النسبة إلى الله ، وهم أعلى الطبقات الصوفية) وفي هذا الكتاب ـ أيضاً ـ يوضح السُّلمي الأحوال والمقامات ومن بينها ، التوحيد والتوبة والورع وغيرها .

٢ـ المقدمة في التصوف : ويشمل هذا الكتاب بعض الأحوال والمقدمات وتعريفاً للتصوف عند السُّلمي، ويضع السُّلمي فيه شروطاً وآداباً لمن يريد أن يسلك الطريق الصوفي .

٣ـ غلطات الصوفية : وفي هذه الرسالة ينتقد السُّلمي الصوفية ، وقد استعنت بها في موقف السُّلمي من شطحات الصوفية ، فقد انتقد السُّلمي الصوفية في الشطح وفي غلطات بعض الصوفية في الأصول والفروع .

٤ـ آداب الصحبة : وقد استعنت بهذا الكتاب في تقسيم السُّلمي لأنواع الصحبة ، التي تتمثل في الصحبة مع الله ومع الرسول ومع الشيخ ومع الأخوان ومع الأهل ومع الآخرين ، ولكل نوع من هؤلاء آداب وضعها السُّلمي في هذا الكتاب ، كما وضع السُّلمي ـ أيضاً ـ آداب السلوك ، خاصة آداب الجوارح ، وآداب السفر .

٥ـ عيوب النفس ودواؤها : وقد استفدت من هذا الكتاب في موقف السُّلمي من النفس ، وكان رأي السُّلمي في النفس أنها أصل الشرور ورمز البلاء ، لذلك فقد أظهر السُّلمي عيوب النفس في هذا الكتاب وقام بعلاجها.

٦ـ جوامع آداب الصوفية : وقد استفدت من هذا الكتاب في آداب الصحبة عند السُّلمي وعيوب النفس ودوائها عنده .

٧ـ حقائق التفسير : وهو أحد كتب السُّلمي الهامة ، وقد اعتمدت على هذا الكتاب في فصل كامل ، وهو التفسير الإشارة عند السُّلمي ، وهذا الكتاب جمع لأقوال مختلفي الصوفية في التفسير .

٨ـ كتاب الفتوة : وهو كتاب يمثل الصوفية وعاداتهم وتقاليدهم، وقد استفدت من هذا الكتاب في البحث عن أهل الفتوة وآدابهم .

٩ـ كتاب أصول الملامتية : وهي إحدى الطوائف الصوفية التي اهتم بها السُّلمي وتناولها بالبحث ، وقد استفدت من هذا الكتاب في معرفة أصول الملامتية وتعاليمهم عند السُّلمي .

كما ستفدت بالكثير من الكتب الأخرى الموجودة داخل هذه الدراسة .

فصول الرسالة

وتشمل هذه الدراسة مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة، ونتائج البحث، وثبت للمصادر والمراجع ، وقد جاءت كما يلي :

١ـ **الفصل الأول** : بعنوان "أبو عبد الرحمن السُّلمي والتصوف الإسلامي"

وأتناول في هذا الفصل تعريفاً للتصوف من الناحية اللغوية والاصطلاحية ، وأبين فيه مصادر التصوف الإسلامي التي تضم المصدر اليوناني، والمصدر المسيحي والمصدر الفارسي والهندي وأخيراً المصدر الإسلامي ، وإن كان الإسلام المتمثل في القرآن والسنة هو سبب نشأة التصوف الإسلامي ، ثم أتناول مراحل التصوف الإسلامي من أول ما كان زهداً ، وهي مرحلة العمل التي لم يهتم فيها بالتدوين ، مروراً بالتصوف السني وهي مرحلة العمل والتدوين معاً ، وأخيراً التصوف الفلسفي ، هي مرحلة التدوين والاهتمام بوضع النظريات ، بعيداً عن الشريعة ودخولاً في المسائل الفلسفية والسفسطة العقلية ، ثم تناولت في هذا الفصل ترجمة للسلمي وتشمل حياته وشيوخه وتلاميذه ومصنفاته وآراء العلماء حوله من جرح وتعديل ، وقد شهد له كثير من العلماء بدماسة الأخلاق ونبل الطباع وجلالة المنزلة وغزارة العلم . ثم تناولت في هذا الفصل تعريف التصوف عند السُّلمي مبيناً المقامات والأحوال عنده وموقفه من شطحات الصوفية .

٢ـ **الفصل الثاني** : بعنوان "الأخلاق والنفس عند السُّلمي" :

أناقش في هذا الفصل الجانب الأخلاقي عند السُّلمي ، وهو أساس بناء التصوف وأتناول في هذا الفصل أيضاً النفس عند السُّلمي ؛ وعن الجانب الأخلاقي فقد تناولت فيه تعريف الأخلاق ، ثم بحثت في آداب الصحبة وأنواعها المختلفة ثم تناولت آداب السلوك للطريق الصوفي عند السُّلمي متمثلة في آداب الجوارح وآداب السفر ، وتناولت أيضاً مصدر الإلزام الخلقي عند السُّلمي ، والسعادة عند السُّلمي ـ والتي تتمثل في أتباع آداب القرآن الكريم والسير على نهج السنة المطهرة ـ فالسعادة عنده في اتباع أوامر الله والبعد عما نهى عنه ، أما الشق الثاني من الفصل وهو النفس فقد بينت

فيه ماهية النفس، والعلاقة بين النفس والروح ، وحدوث النفس والروح وفناءهما عند السُّلمي ، ثم تناولت عيوب النفس عند السُّلمي وكيفية معالجة هذه العيوب، وقد قسمت عيوب النفس عنده إلى ثلاثة أنواع وهي؛ عيوب النفس مع خالقها ، وعيوب النفس مع الآخرين ، وعيوبها (النفس) مع ذاتها .

٣- **الفصل الثالث** : بعنوان "التفسير الإشاري عند السُّلمي" .

أتناول في هذا الفصل ، تفسير القرآن الكريم على الطريقة الصوفية ، ويشمل هذا الفصل مفهوم التفسير وأنواع التفسير ، ثم آراء العلماء في التفسير الإشاري ، وتناولت في هذا الفصل أيضاً منهج السُّلمي في التفسير ويضم أسباب تأليف السُّلمي لهذا التفسير ، ومدى شرعية التفسير الإشاري ، والمصادر التي اعتمد عليها السُّلمي في تفسيره ، ثم وصف للتفسير ، وأخيراً وضع حقائق التفسير بين الجرح والتعديل ، وبينت أيضاً بعض نماذج من تفسير السُّلمي في نهاية الفصل .

٤ـ **الفصل الرابع** : بعنوان " تحليل لأصول وتعاليم الملامتية وأهل الفتوه عند السُّلمي".

ويتناول هذا الفصل توضيحاً لطوائف الصوفية المختلفة خاصة الملامتية وأهل الفتوة ، ويضم هذا الفصل تعريفاً للملامتية وأهل الفتوة مع بيان أهم رجال كل طائفة على حدة، ويشمل هذا الفصل أيضاً تعاليم وأصول الملامتية وآداب أهل الفتوة وجاءت تعاليم الملامتية متمثلة في أراءهم حول النفس والرياء وموقفهم من الآخرين والذكر والحرية ، وتناولت أيضاً الصلة بين الملامتية وأهل الفتوة وأخيراً بيان موقف السُّلمي والصوفية والسلف من الملامتية وأهل الفتوة .

ومن خلال هذه الفصول أرجو أن أصل إلى نتيجة هامة وهي أن السُّلمي أحد الصوفية وليس مؤرخاً فقط للصوفية ، وسوف أضع تصوفه في ميزان البحث موضحاً هل هو تصوف سني ، أم أنه بعيد عن منهج الكتاب والسنة ؟ وهذا ما سوف نتلمسه بين أسطر هذه الدراسة .

وتضم هذه الدراسة خاتمة ونتائج البحث التي توصلت لها من خلال هذه الدراسة .

وتشمل هذه الدراسة أيضاً ثبت للمراجع والمصادر ، التي تتمثل في المخطوطات والمصادر والمراجع العربية والأجنبية .

فهرس الرسالة

رقم الصفحة

الفصل الرابع : تحليل لأصول وتعاليم الملامتية وأهل الفتوة عند السُّلمي (١٤٥: ١٨٥)

الفصل الأول

أبو عبد الرحمن السُّلمي والتصوف الإسلامي

تمهيد

أولاً : التصوف الإسلامي (مراحله ومصادره)

أ ـ تعريف التصوف

ب ـ مصادر التصوف الإسلامي

ج ـ مراحل التصوف الإسلامي

ثانياً : أبو عبد الرحمن السُّلمي والصوفية

أ ـ حياته وآثاره

ب ـ آراء العلماء حوله

ج ـ السُّلمي والتصوف

الفصل الأول

أبو عبد الرحمن السُّلمي والتصوف الإسلامي

تمهيد :

بداية وذي بدء فإنه من الواجب علينا أن نمر بتعريف التصوف لغوياً واصطلاحياً ، على أيدي شيوخ هذا العلم ، مع بيان أهم المراحل التي مر بها التصوف على مر العصور إلى القرن الرابع والخامس الهجري ، فقد كان التصوف زهداً في بداية أمره ، عندما كان لا يعرف كلمة تصوف ، ثم أصبح تصوفاً سنياً ، ثم أصبح فلسفة صوفية ، وبعد ذلك نبين بعض المصادر التي أستند عليها التصوف الإسلامي أثناء تطوره في مراحله من وجهة نظر العلماء ، وإن كنت أرى أن التصوف الإسلامي وليد التربة الإسلامية الخالصة ، التي تضم الكتاب الشريف والسنة المطهرة .

فالتصوف الإسلامي ـ بمعناه الصحيح ـ هو التعامل مع الأسرار الإلهية ، ويصف الصوفية أنفسهم أنهم حراس للأسرار الإلهية ، فالتصوف سري وباطني بين الصوفي وربه . (١)

وأن كانت الافتتاحية تعريفاً للتصوف ومراحله ومصادره ، فإنه من الأحرى بنا أن نتعرف على موضوع بحثنا وهو أبو عبد الرحمن السُّلمي ، ولهذا فقد قمت بترجمة له تشتمل على حياته وأثاره وأهم شيوخ السُّلمي ممن تأثر بهم ، وأهم تلاميذه الذين تأثروا به ، مع توضيح معنى التصوف عنده ، وإظهار سمات التصوف داخل المقامات والأحوال التي أوردها السُّلمي في كتاباته ، ثم نتناول موقف السُّلمي اتجاه شطحات الصوفية وتحديد الأخطاء والأغلاط التي وقع فيها الصوفية من وجهة نظر السُّلمي .

---

1 -Seyyed Hossien Nasser and Oliver leamen, History of word philosophies , History of Islamic philosophy , part 1 , volume I , P . 367 , london – 1996.

أولاً : التصوف الإسلامي (مراحله ، ومصادره)

أ- تعريف التصوف :

أكد القشيري (ت : ٤٦٦ هـ) " أنه لا يشهد لهذا الاسم - التصوف - من حيث العربية قياس ولا اشتقاق ، والأظهر فيه أنه كاللقب ، فقيل للرجل صوفي والجماعة صوفية ، وهذه الطائفة أشهر من أن يحتاج في تعيينهم إلى قياس لفظ أو اشتقاق " [١]

وهذا ما بينه ابن خلدون (ت: ٨٠٨ هـ) قائلاً : " أن هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة ، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة ومن بعدهم ، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى ، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، وكان ذلك عاماً في الصحابة ، ولما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده ، اختص المقبلون على التصوف باسم الصوفية أو المتصوفة " [٢]

وهنا نستطيع أن نتوصل إلى أن كلمة (التصوف) - والتي لم ترد في القرآن أو السنة - غير عربية وأينما كان أصل الكلمة فإن علم التصوف - والذي مارسه العديد والكثير من المسلمين - علم إسلامي خالص منذ بداية نشأته ، ويتضح هذا من آداب هذا العلم وتعاليمه فجميعها لم تخرج عن الكتاب والسنة وحياة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين

أما من الناحية الاشتقاقية لكلمة تصوف ، فيقول أبو نعيم الأصبهاني (ت:٤٣٠ هـ) " أما التصوف فاشتقاقه عند أهل الإشارات والمنبئين عنه بالعبارات من الصفاء والوفاء ، واشتقاقه من حيث الحقائق التي أوجبت اللغة فأنه تفعل من أحد أربعة أشياء من الصوفانة التي هي البقلة ، أو من صوفة القفا ومعناه أن المتصوف

١- أبو قاسم القشيري ، الرسالة القشيرية ، تحقيق د . عبد الحليم محمود ، ومحمود بن الشريف ، جـ٢، صـ٥٥٠، ٥٥١ ، ط . دار الكتب الحديثة ، القاهرة ١٩٦٨ .

٢- أبن خلدون ، المقدمة ، صـ٤٦٧ ، دار القلم . ط ٧ ، بيروت ، ١٩٨٩

معطوف بـه إلـى الحـق ، أو مـن صـوفة التـي هـي قبيلـة كانـت تخـدم الكعبـة ، أو مـن الصوف المعروف على ظهور الضأن ، لأن النفوس الشاردة تذلل بلبس الصوف " [١]

ومن الناحية الاشتقاقية يضيف ابن تيميه (ت : ٧٢٨ هـ) " إن التصوف نسبة إلى صفوة الفقهاء أو أهل الصفة أو إلـى الصفوة أو إلـى الصف المتقدم بين يدي الله ، وهذه كلها أقوال ضعيفة فأنه لو كان كذلك لقيل صَفَي أو صفوي أو صفاني أو صفي ، ولم يقل صوفي " [٢]

أما من الناحية الإصلاحية ، يقول أبو نصر السراج (ت:٣٧٨هـ): سئل محمد بـن علـى القصـاب (ت: ٢٧٥ هــ) وهـو أسـتاذ الجنيـد (ت:٢٩٧هــ) عـن التصـوف ما هو ؟ قال : أخلاق كريمة ، ظهرت في زمن كريم ، من رجل كريم مع قوم كرام (الصـوفية) " [٣] ويقـول الجنيـد : " التصـوف صـفاء المعاملـة مـع الله تعـالى وأصـله التعزف عن الدنيا ". [٤]

ويتضـح هنـا إجمـاع المتصـوفة والبـاحثين علـى أن كلمـة التصـوف مشـتقة مـن الصوف، ومن وجهة نظري أنه المأخذ الصحيح الذي أخذ منه كلمـة (تصـوف) وذلك لأن الصوف دليل على الزهد والبعد عن الدنيا وعدم الطمع في خيراتها .

وهكذا يكـون التصـوف أخلاقاً مـن بدايتـه إلـى نهايتـه ، وهـو صـفاء بـين العبـد وربه، ونتساءل: من هو أول من سمي بهذا الاسم ؟

يقول ابن تيميه (ت : ٧٢٨ هـ) " أن أول من تسمى بهذا الاسم هو أبو هاشم الكوفي (ت : ١١٥٠ أو ١٦١ هـ) الذي قال عنه سفيان الثوري (ت: ١٦١ هـ) لـولا أبو هاشم ما عرفت دقائق الرياء ، أما الشخص الثاني فهو عبدك الصوفي(ت:٢١٠هـ)

---

١ ـ أبي نعيم الأصبهاني : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، المجلد الأول صـــ١٧: ٢٠ مكتبة الخانجي القاهرة . ١٩٣٢

٢ـ أبن تيمية : الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، تحقيق أحمد حمدي محمد ، صـ٤٠ مطبعة المدني القاهرة ، ١٩٣٢

٣ ـ أبو نصر السراج الطوسي ، اللمع ، تحقيق د . عبد الحليم محمود . وطه عبد الباقي سرور صـــ٤٥ دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٠

٤ ـ السُلمي ، طبقـات الصـوفية ، تحقيـق نـور الـدين شـريبة ، صــــ١٥٨ مكتبـة الخـانجي ط٣ ، القاهرة ١٩٨٦ .

، ويذكر المحاسبي (ت: ٢٤٣ هـ) أنه كان ضمن طائفة نصف شيعية ، تسمي نفسها صوفية وهو عبد الكريم بن محمد ، أما الشخص الثالث فقيل أنه جابر ابن حيان المعروف ، ولم يرد ذكر جابر ضمن الصوفية إلا عند ابن النديم فقط " [١]

هذا ويعتبر فخر الدين الرازي (ت:٦٠٦ هـ) المؤرخ الوحيد الذي أعتبر الصوفية فرقة خاصة ، وحجته في ذلك أن الصوفية تمتاز بشيء في الأصول تختلف به عن بقية الفرق الإسلامية ، فأهل السنة والجماعة يرون أن الطريق إلى الله هو السمع ، وفرق المعتزلة ترى أن الطريق هو العقل ، أما الصوفية فترى أن الطريق هو التصفية والتجرد من العلائق البدنية للوصول إلى مرتبة الكشف " [٢]

بعد تعريف التصوف لدى بعض شيوخ الصوفية ، نجد أن تعريفه يختلف من صوفي لآخر ، حسب المنح والعطايا الإلهية ، وأستطيع أن أجزم أن التصوف لا يخرج عن دائرة الأخلاق الحميدة ، وليست الأخلاق النظرية التي تقال أو تكتب وإنما الأخلاق العملية التي تطبق وتبذل ، فالتصوف تصفية للنفس وتنقية وتحلية وتخلية ، بالبعد عن القبيح والإقبال على الحسن المليح ، فالطريق الصوفي واضح ، والعمل إليه صالح ، ومن أراد أن يصل وصل ، وأرى أن التصوف تصفية للنفس وترقية وجعلها في أعلى غاياتها ، وكسر شهواتها ، وتذليل لرعونتها ، فهو لا يتعدى كونه أخلاقاً .

ب ـ مصادر التصوف الإسلامي:

منذ البداية والتصوف الإسلامي من أول نشأته إسلامياً خالصاً ، لأنه علم عربي إسلامي لا دخل لأي مصدر أجنبي في نشأته ، فمصدره الوحيد هو الكتاب الكريم والسنة المطهرة وحياة النبي ρ ، وحياة الصحابة رضي الله عنهم ، وهذا المصدر هو الينبوع الذي أخذ التصوف منه كل تعاليمه وآدابه ، ولكن بعد ظهور

---

١ ـ أبن تيمية ، الصوفية والفقراء ، تحقيق د . أسامه محمد حمزه ، صـ٣٣ ، ٣٤ ، دار الفتح ط١ ، ١٩٨٤

٢ ـ د . محمد جلال شرف ، دراسات في التصوف الإسلامي شخصيات ومذاهب صـ٢٩ . دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية

حركات الترجمة والنقل من الحضارات الأخرى في القرن الثالث وبعد الفتوحات الإسلامية ودخول ثقافات أخرى في الإسلام ، واختلاط الشعوب حدث نوعاً من التأثر عند المتأخرين من الصوفية بالثقافات الأخرى ، والأفكار الأجنبية عن الإسلام ، ولا يمنع هذا التأثير من وجود رجال من المتأخرين لم يصيبهم هذا التأثير الأجنبي ، واحتفظوا بتعاليم دينهم الإسلامي ومصادره من كتاب وسنه دون دخول هذه الأفكار إلى تصوفهم .

ويمكن أن نتطرق إلى بعض المصادر التي أثرت في التصوف الإسلامي عبر الزمن وهي كالتالي :

١ ـ المصدر اليوناني :

يرى بعض الباحثون أن الفلسفة اليونانية كانت أساساً من أسس التصوف الإسلامي ، فقد تأثر كثير من الصوفية بأفلاطون ومدرسته وفلسفته الإشراقية ، التي تقوم على كثير من الرياضات والمجاهدات كما هو الحال عند الصوفية ، ويبدو أثر الفلسفة الإشراقية " [١] ، واضحاً عند المتأخرين من الصوفية " [٢].

ومن أبرز من تأثروا بهذه الفلسفة محيي الدين ابن عربي (ت : ٦٣٨ هـ) حيث يقول د. على سامي النشار عنه " هو فيلسوف متصوف لا يمثل الإسلام السني أو الشيعي في شيء وتصوفه ينتهي بسرعة خطيرة إلى مذهب فلسفي يضعه في نسق الفلسفة العام ، لا الفلسفة الإسلامية على وجه الخصوص " [٣]

ولأننا نؤمن بأن التصوف الإسلامي نشأته إسلامية خالصة بعيداً عن أي مصدر أجنبي فأنه يمكن الاعتراض على هذه النظرية بالقول : أن التصوف في

١ـ يقول قطب الدين الشيرازي عن الفلسفة الإشراقية " هي حكمه كشفيه ذوقية نسبت إلى الإشراق الذي هو ظهور الأنوار العقلية ولمعانها وفيضانها بالإشراقات على النفوس عند تجردها وكان اعتماد الفارسيين في الحكمة على الذوق والكشف " ، كما أن أفلاطون كان يعلم بعض تلامذته بطريقة التصفية وأعمال الفكر الدائم في جانب القدس . راجع د . محمود ماضي مباحث في المعرفة في الفكر الإسلامي ، صـ ٢٣٣ ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ، ١٩٩٠ .

٢ ـ محمد إبراهيم الجيوشي ، بين التصوف والأدب ، صـ ٢٥ ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة .

٣ ـ د . على سامي النشار ، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام جـ٣ ، صـ ٣١ ، ٣٢ دار المعارف ، ط ٧ ، القاهرة ١٩٩٧

الإسلام كان سابق العهد في نشأته لدخول هذه التعاليم في الثقافة الإسلامية (لأن الثقافة اليونانية لم تدخل إلى العالم الإسلامي إلا في عهد المأمون أو في عهد الترجمة وهذا تم بعد الفتوحات لبلاد اليونان) فضلاً عن أن التصوف الإسلامي يقوم على منطق الدين أما منطق العقل فيؤيده ويثبته ، بقول الغزالي (٥٠٥ هـ) " العقل لا يهتدي إلا بالشرع " [١]

وعلى ذلك فإن كان هناك تأثير للأفلاطونية على التصوف الإسلامي ، فإنما هو تأثير في الانحراف والبعد عن الدين ، ولم يكن تأثيراً في نشأة التصوف الإسلامي، ومن أجل هذا الانحراف عارض الفقهاء والعلماء التصوف وابتعدوا عن المتصوفة ، ولهذا فإن الفلسفة اليونانية لا يمكن أن تكون مصدر نشأت التصوف الإسلامي حيث أن نشأة التصوف الإسلامي مصدرها هو الكتاب والسنة.

٢ ـ المصدر المسيحي :

تحدث القرآن الكريم عن المسيحية وذكر رهبانها وأثنى عليهم في قوله تعالى [لَتَجِدَنّ أَشَدّ النّاسِ عَدَاوَةً لّلّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنّ أَقْرَبَهُمْ مّوَدّةً لّلّذِينَ آمَنُواْ الّذِينَ قَالُوَاْ إِنّا نَصَارَىَ ذَلِكَ بِأَنّ مِنْهُمْ قِسّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى الرّسُولِ تَرَىَ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدّمْعِ مِمّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقّ يَقُولُونَ رَبّنَآ آمَنّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشّاهِدِينَ] **[سورة: المائدة ـ الأية: ٨٢-٨٣]** الأمر الذي جعل صوفية المسلمين لا يجدون حرجاً في الأخذ من المسيحية وتبني بعض تعاليم رهبانها وخاصة الأمور التي تتعلق بالزهد والرهبانية .

وقد ساق المستشرقون العديد من الأدلة للدلالة على تأثر الصوفية المسلمين بالتعاليم المسيحية والرهبان ، ومن هذه الأمور : ـ

أ ـ التشابه في بعض المظاهر مثل استعمال الخرقة والمسبحة.

ب ـ التشابه في بعض الموضوعات : مثل محاسبة النفس مثلاً .

---

١ ـ أحمد توفيق عياد ، التصوف الإسلامي تاريخه وطبيعته ومدارسه وأثره ، صـــــــ١٦ مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠

جـ - المشابهة اللغوية في بعض الكلمات : مثل لاهوت ، رباني ، روحاني ، عبودية .

د - الاختلاط بين المسلمين والنصارى العرب في الحيرة والكوفة ودمشق ونجد .

هـ - ما يرويه الصوفية الأوائل من أقوال ينسبونها إلى السيد المسيح . [١]

وعندما أريد أن أوضح موقفي من تأثير المسيحية على نشأة التصوف الإسلامي ، فإنه من غير المقبول أن نرفض تأثير المسيحية ورهبانها على التصوف الإسلامي ، وليس صحيحاً أيضاً أن نوقف التصوف الإسلامي برمته على المسيحية أو نزعم أن التصوف عاله عليها في النشأة ، وإنما نقول أن للمسيحية تأثيراً على التصوف الإسلامي وخاصة الفلسفي منه وتأثيرها كان في تطوره أكثر مما كان في ظهوره ونشأته ، وقد غاب عن أنظار هؤلاء الذين راحوا يثبتون تأثير المسيحية على التصوف الإسلامي من حيث النشأة ، أن الإسلام اعترف بوحدة الأديان السماوية جميعاً ، وهذا يتضح في قوله تعالى [شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىَ بِهِ نُوحاً وَالَّذِيَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىَ وَعِيسَىَ أَنْ أَقِيمُواْ الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ] **[سورة: الشورى - الأية: ١٣].**

هذا وحب الله والشوق إليه هو جوهر كل الأديان ، كما أن حياة الرسول ρ ، وما كان يأخذ على نفسه من زهد وعكوف على العبادة وتهجد ، وما أثر عن الصحابة، يكفي الصوفي أن يتبعه ، كما أن الصوفية يعتمدون في تقرير مذهبهم في الحب الإلهي على أصول ثابتة من القرآن والسنة . [٢]

ومما سبق أرى أن تأثير المسيحية في التصوف الإسلامي يتضح في مراحل تطور التصوف ، أما من حيث النشأة فإن التصوف الإسلامي اعتمد في نشأته على القرآن الكريم والسنة المطهرة وحياة الرسول ρ حياة الصحابة رضي الله عنهم ، وإن وجد تشابه في بعض الكلمات أو الآداب بينهما فهذا لأن الإسلام والمسيحية ديانتان سماويتان تتمتعان بروح واحدة وآداب واحدة لأن مصدرهما واحد ، كما أن الخير مبدأ

---

١ - د . عبد الرحمن بدوي ، تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني صـــ٣٣ ، ٣٥ ، وكالة المطبوعات الكويت .

٢ - أحمد توفيق عياد ، التصوف الإسلامي صـــ١٧ .

عام معروف ومتفق عليه في جميع الأديان وعلى مر العصور والأزمان والشر أيضاً كذلك ، ولذا فإن التشابه بينهما تشابه في العقول والديانات وليس تأثيراً في النشأة .

٣ـ المصدر الفارسي :

كان من الطبيعي أن يحدث نوع من الاحتكاك والتأثير والتأثر بين الثقافات والديانات بعد الفتوحات الإسلامية للبلاد ، وهذا ما حدث بالطبع عندما افتتح المسلمون بلاد فارس وبلاد الهند ، وعلى ذلك فقد تأثر التصوف الإسلامي كغيره من العلوم الإسلامية بهذه الثقافات والديانات في عدة نقاط أهمها فكرة الفناء في الإسلام وهي النرفانا الهندية.* (١).وكذلك أخذ الصوفية عن التعاليم الهندية فكرة الاتحاد والحلول .

ويمكن تفنيد هذا الرأي (الذي يرى أن التعاليم الهندية والفارسية هي مصدر نشأة التصوف الإسلامي) بأن التصوف في الإسلام كان سابقاً في وجوده قبل دخول الإسلام في الهند وفارس ، وإن كان هناك تشابه بين الفيدانتا الهندية * والصوفية فأمر كهذا يتعذر بيانه إلا في طور من أطوار التصوف ظهر بعد القرن الثامن الهجري (٢) وبذلك فإن التصوف الإسلامي نشأته إسلامية خالصة بعيداًً عن التأثير الفارسي .

٤ ـ المصدر الإسلامي :

دار جدل وخلاف بين الباحثين والعلماء حول مصدر نشأة التصوف الإسلامي، وذهبوا في هذا الاختلاف مذاهب شتى ؛ فمنهم من قال أن مصدر نشأة التصوف الإسلامي هو تعاليم المسيحية ومنهم من قال أن مصدر نشأته الأخلاق اليونانية ورأى البعض الآخر أن مصدر نشأته فارسي أو هندي ، وغير ذلك من الآراء حول نشأة

***ـ ٠٠ النرفانا في فلسفة بوزا هي التحرر العظيم من الموت الذي يطرأ على الأحياء إلى الحياة الأبدية ، لأنه ما دام سعينا وراء المطالب الأرضية فإننا نبقى أبد الدهر مرتبطين بالأرض ننتقل من حياه إلى حياه ومن زنزانة إلى زنزانة ، ولا أمل لنا في الخلاص حتى ينتهي جشعنا قال بوزا .." عندما تخمد نار الشهوة فتلك هي النرفانا .. ليس لي أن أعلم إلا شيء وأحد هو محو العذاب " راجع د. سعيد مراد ، المدخل إلى دراسة الأديان صـــــــ١٣١ مكتبة رشيد ، ط١ ، الزقازيق ، ١٩٩٨ .**

٢ ـ د . قاسم غني ، تاريخ التصوف في الإسلام ، ترجمة صادق نشأت صــــــــ٢٣١ ، ٢٣٢ مكتبة النهضة المصرية القاهرة .

*** الفيدانتا : معناها المعرفة أو العلم ، والفيدانتا : هم أهل المعرفة والتأمل راجع د. سعيد مراد ، المدخل إلى دراسة الأديان صــــ٩٤.**

٢ ـ أحمد توفيق عياد ، التصوف الإسلامي تاريخه ومدارسة ، صــــــ١٥ .

التصوف ، ولكني أرى أن وضع مشكلة مصدر نشأة التصوف الإسلامي منذ البداية خطأ لأن التصوف الإسلامي معروف مصدر نشأته ، وهو تعاليم الدين الإسلامي السمحاء كما جاءت في الكتاب والسنة ، ومشكلة مصدر نشأة التصوف وضعها المستشرقون الذين وقفوا من التصوف الإسلامي موقفهم من الثقافة الكسبية ، والثقافة الكسبية بها تأثر وتقليد ، ولم يقف هؤلاء المستشرقون من التصوف الإسلامي وحسب موقفهم من الثقافة الكسبية ، بل انسحب هذا الموقف على كل العلوم الإسلامية ، وقرروا أن المسلمين قد اكتسبوا من غيرهم ثقافتهم وعلمهم وليسوا هم مبتدعي هذه العلوم وأول من وضعوها ، وهذا غير صحيح ، لأن المسلمين والعرب وضعوا وأنشئوا العديد من العلوم والفنون ، كما أنهم قاموا بتطوير وتحديث كثير من العلوم والفنون القديمة وقدموا أبحاثاً ودراسات ما زالت تدرس في الجامعات إلى يومنا هذا ، وحتى لا نطيل في هذا الموضوع نعود إلى مصدر التصوف الإسلامي.

وقد ذهب الدكتور عبد الحليم محمود إلى أن الاتجاه نحو الطريق الصوفي له مؤثراته الداخلية البحتة ، التي تتصل بالفرد من الناحية الداخلية ، أكثر من أن تتصل بعامل خارجي ، ولهذا فلابد من الاستعداد الفطري ، الذي لا تغني عنه في فلسفة أفلاطون ، ولا فيدا الهند ، وليس التصوف ثقافة كسبية وإنما هو ذوق ومشاهدة ، يصل الإنسان إليهما بالرياضة والمجاهدة، وهذا هو جوهر الشعور الصوفي . (١)

التصوف إذاً ليس دخيلاً على الإسلام ، بل إنه علم إسلامي خالص ، ويكفينا قول المستشرق ماسينون " إن إطلاق الحكم بأن التصوف دخيل على الإسلام غير مقبول ، والحق أننا نلاحظ منذ ظهور الإسلام ، أن الأنظار التي أختص بها متصوفة الإسلام نشأت في قلب الجماعة الإسلامية نفسها ، من تلاوة القرآن والحديث ". (٢)

فقد قرر ماسينون أن التصوف نشأ من التأمل المتواصل للقرآن والأحاديث النبوية ، لذا كانت نشأته إسلامية خالصة ، ونتيجة للاتصال بالأفكار الأجنبية ، أضيفت

---

١ ـ د . عبد الحليم محمود ، قضية التصوف المنقذ من الضلال ، صـــــــ٩٧ ، ٩٩ ، دار المعارف ط٢ ، القاهرة . ١٩٨٥ .
٢ ـ المصدر السابق ، صــــــ٢٦٢

إليـه بعـض المـؤثرات الأجنبيـة لوجـود تشـابه بـين تيـارات التصـوف وعواملـه وبـين التيارات الأخرى ، كانت بمثابة زخارف وتنويعات " [1] ، ومما يزيد الأمر وضوحاً قول د . محمد مصطفى حلمي : ربما كان التشابه الملحوظ بين نساك البراهمة ، وزهاد المانويـة ورهبـان النصـارى ، وفلاسـفة الأفلاطونيـة جـاء مـن أن زهـاد المسـلمين وصوفيتهم قد خضعوا أنفسهم لطائفة من القواعد والأحكام شبيهة بالقواعد التي خضع لها هؤلاء الرهبان والفلاسفة والنساك . [2]

حيث أن الحياة الروحية أو الصوفية ظاهرة عالمية لا تقتصر على دين دون آخر ولا على طائفة دون أخرى ، فقد يكون الرجل مسيحي وهو متصوف ، وقد يكون يهودي أو بوذي وهو متصوف .

إذاً لا يوجد شك أن تعاليم الإسلام بما فيها من ترغيب وترهيب ودعوة للطاعة والعبادة ، وتحقير من شئون الدنيا وتذكير بالآخرة ، كانت الباعث الأول للتصوف ، فقد فرضت الصلاة ، وهي خضوع ومثول بين يدي الله ، والصوم وهو حرمان وتطهير للنفس وكبح جماحها ، والحج جهاد وتجرد من الدنيا ، والاعتكاف خلوة ، هذا وغيره أليس هو المصدر الحقيقي للتصوف الإسلامي .

وقد أستند كبار الصوفية المسلمون إلى نصوص القرآن لاستنباط المقامات والأحوال التي يمرون بها من القرآن مثل مقام الخوف في قوله تعالى [وَأَمّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبّهِ وَنَهَى النّفْسَ عَنِ الْهَوَىَ] **[سورة: النازعات ـ الأية: ٤٠]** ومقام التقوى في قوله تعالى [إِنّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ إِنّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ] **[سورة: الحجرات ـ الأية: ١٣]**، ومقام التوكل في قوله تعالى [وَمَن يَتَوَكّلْ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ]**[سورة: الطلاق- الأية: ٣]**.

وقد أوصى القرآن الكريم ـ وهو دستور المسلين ـ بتطهير النفس ومجاهدتها ، والترويح عنها وتهذيبها ، وهذا كله من قبيل الروحانيات التي ينادي بها الصوفية

١ ـ د . محمد الحسن ، المذاهب والأفكار المعاصرة والتصور الإسلامي ، صـ٥٢ ، دار البشر للثقافة والعلوم الإسلامية ، ط٣ ، ١٩٩٠ .

٢ ـ د . محمد مصطفى حلمي ، الحياة الروحية في الإسلام ، صـ٧٦ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٢ القاهرة ١٩٨٤ .

أنفسهم ، وأنزل القرآن الكريم على خير خلق الله محمد ρ ، الذي كانت حياته أساساً أستقي منه الصوفية حياتهم الروحية .

فإذا تأملنا حياة النبي ρ ، قبل الوحي لوجدنا أنها تنطوي على معان الزهد والتقشف ، فكان يتعبد في غار حراء مبتعداً عن صخب الدنيا ، زاهداً في نعيمها ، متقللاً في مأكله ومشربه ، وهذا التعبد صورة لحياة الزهاد والصوفية ، وبعد البعثة كان ρ أكثر عبادة ، فقد روت عنه عائشة رضي الله عنها ،" قالت له : لما رأته يقوم الليل حتى تورمت قدماه ، لم تصنع هذا يا رسول الله ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال : أفلا أكون عبداً شكوراً " [١]

ومن دعائه ρ " اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني مع المساكين" ، وسار الصحابة على منوال الرسول ρ ، في الأخلاق والآداب ، فكان عمر بن الخطاب (ت:٢٣ هـ) رضي الله عنه محطم الكسروية والقيصرية يلبث الثوب المرقع من اثنتي عشرة رقعة ، وتأخر يوماً عن المسجد فقال له الصحابة ما حبسك عنا يا عمر ، فقال : " ثوبي كان يغسل وليس لي سواه " [٢]

التصوف إذاً إسلامي النشأة ومصدر نشأته الكتاب والسنة وهذا أمر صحيح لا غبار عليه ، أما من يرون أن نشأة التصوف وغيره من العلوم الإسلامية نتيجة عوامل خارجية ، إنما هم يقصدون سلب المسلمين والإسلام القدرة على إنشاء العلوم والمعارف ويريدون إن يجعلوا المسلمين عالة على غيرهم من الأمم وليس هذا إلا نوع من إنكار ما قدمه المسلمون من علوم ومعارف للبشرية ، وهؤلاء المستشرقون يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره المشركين .

---

١ ـ محيي الدين أبن زكريا يحيى ين شرف النووي ، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ١١٦٥ ، مكتبة الجمهورية العربية بمصر

٢ ـ طه عبد الباقي سرور ، من أعلام التصوف الإسلامي ، جـ ٢ ، صـ٢٢ ، ٢٤ ، مكتبة نهضة مصر .

ج ـ مراحل التصوف الإسلامى :

لقد مر التصوف الإسلامي بعدة مراحل طوال حياته ، فهل هذه المراحل ، مراحل نمو ؟ أم أنها مراحل منفصلة كلا على حدا ؟ حقيقة الأمر أن مراحل التصوف مراحل متصلة ، ولكنها ليست مراحل نمو ، وإنما هي مراحل انتقال مع تغيرات في كل مرحلة ، وهذه التغييرات هي المميزة لكل مرحلة عن الأخرى ، وأول مراحل التصوف هي مرحلة الزهد ، ثم مرحلة التصوف السني ، وأخيراً مرحلة التصوف الفلسفي .

١ ـ الزهد :

الزهد هو بداية التصوف في الإسلام ، بل هو حقيقة التصوف ، والزهد من تعاليم وآداب القرآن الكريم والسنة المطهرة ، والزهد في اللغة ، هو قلة الرغبة في الشيء ، وفي الاصطلاح تجنب الشهوات والشبهات ، وليس من الزهد تحريم ما أحل الله ، والانصراف عن الطيبات ، وليس من الزهد التوقف عن التجارة والزراعة والصناعة التي فيها معايش الناس ، إنما المنهي عنه هو الانصراف إليها بحيث تنسي ذكر الله وشكره [(١)]

ويعتبر الزهد في الإسلام جزءاً أساسياً من المنهج العام في تربية المسلم على مبادئ العفة والكرم والتسامح والصبر ، قال تعالى : [قُلْ مَتَاعُ الدّنْيَا قَلِيلٌ وَالاَخِرَةُ خَيْرٌ لّمَنِ اتّقَىَ وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً] **[سورة: النساء ـ الأية: ٧٧].**

وليس من شروط الزهد في الإسلام إن يكون مقترناً بالفقر ، وخير مثال على ذلك ، عثمان بن عفان ، (ت :٣٥هـ) وعبد الرحمن بن عوف (ت:٣٢هـ) من كبار الأغنياء والزهاد أيضاً ، فقد جهز عثمان جيش العسرة ، وكان عبد الرحمن بن عوف يخرج من تجارته إذا شعر بحاجة المسلمين إليها ، لهذا فإن الزهد في الإسلام منهج في الحياة قوامه التقليل من ملذات الدنيا ، والانصراف إلى الجاد من أمورها فتتحقق حرية

١ـ عبد الرحمن بن عبد الكريم العبيد ، أصول المنهج الإسلامي دراسة معاصرة في العقيدة والأحكام والآداب ، صـــ٥٧٨ ، ٥٧٩ دار الزخاني السعودية ط٣ ، ١٤١٤ هـ .

الإنسان ، المتمثلة في ارتفاعه عن شهواته ، مع قدرته على تحقيقها لكن يمنعه عن ذلك الأيمان القوي بالله وبثوابه وعقابه في الآخرة " [١]

والزهد في الحقيقة سمة تلازم التصوف ، فمن المستحيل أن يهرب الصوفي مهما كان دينه وجنسه من خوض معركة الزهد ، لأنه لا يوجد في الواقع من يستطيع الاستغناء في بدء سلوكه عن الزهد ". [٢]

وقد قام العديد من الصوفية بوضع تعريف للزهد ، يقول الهروي الأنصاري (ت:٤٨١ هـ) " الزهد هو إسقاط الرغبة عن كل شيء بالكلية وهو للعامة قربة ، وللمريد ضرورة ، وللخاصة خشية ، وحقيقة الزهد أن تكون الدنيا في اليد وليست في القلب ، وكما قيل أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك ". [٣]

ووضع الغزالي (ت:٥٠٥هـ) تعريفاً للزهد قائلاً : " أنه عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خيراً منه " [٤] يعني انصراف عن الدنيا طمعاً في جنة الخلد وملكاً لا يفنى.

وحقيقة الزهد عند الغزالي هي : " عزوف النفس عن الدنيا طوعا مع القدرة عليها وأصله العلم وهو النور الذي يقذف في القلب ، بأن الآخرة خيراً وأبقى ، وثمرته القناعة عن الدنيا بقدر الضرورة ، وهو قدر زاد الراكب ". [٥]

ومرحلة الزهد واقعة بين القرنيين الأول والثاني الهجريين ، وفي هذه المرحلة كان التصوف عبارة عن ضرب من السلوك العملي ، الذي يرمي إلى طهارة الروح والجسد وفي هذه المرحلة لم يعتن الصوفية بالدرس أو وضع نظرية صوفية ، لها

---

١ ـ د . أبو الوفا التفتازاني ، مدخل إلى التصوف الإسلامي صـــ٥٩ ، ٦٠ ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٨٣ .

٢ ـ د . السيد رزق الحجر ، الفلسفة الإسلامية ومكانها في التاريخ العام للفلسفة " صـــ١٩٦ ، ١٩٧ ، دار الوفاء ، ط٢ ، القاهرة ١٩٩٥ .

٣ـ أبي إسماعيل الأنصاري الهروي ، التمكين في شرح منازل السائرين ، تحقيق السيد محمود أبو الفيض صـ٦٤ ، ٦٥ ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

٤ـ أبي حامد الغزالي ، أحياء علوم الدين ، المجلد الخامس ، جـ ١٣، صـــ١٠٨ ، دار الكتاب العربي ١٩٨٨ .

٥ ـ أبي حامد الغزالي : كتاب الأربعين في أصول الدين ، صـ٧٠ ، المطبعة الأميرية بمكة ، ١٣٠٢ هـ .

قواعد وأسس ، ولم ينشروا كتب ولم يحددوا طرقاً صوفية لها آدابها وتعاليمها ، إنما كانت حياتهم عباده وحب الله ، ومن أشهر الزهاد في هذه المرحلة الحسن البصري (ت:١١٠هـ) ورابعة العدوية (ت:١٨٥هـ) ، وأبو ذر الغفاري (ت:٢٢هـ) ، وإبراهيم ابن أدهم (ت : ١٦١ هـ) وغيرهم الكثير. وهذه المرحلة تميزت بأنها مرحلة عمل وعبادة .

٢ ـ التصوف السني :

التصوف السني هو المرحلة الثانية التي مر بها التصوف الإسلامي فقد انتقل التصوف من مرحلة العبادة والمجاهدة وهي الحياة العملية البحتة ، أو مرحلة الزهد ، إلى مرحلة التدوين والتأليف للكتب والخواطر والأحداث التي يمر بها الصوفي فانتقل التصوف من مرحلة الزهد إلى مرحلة التصوف السني الذي لا يستغني فيها الصوفي عن وضع كتب أو تأليف وسائل تهتم بالآداب والفضائل والأخلاق التي ينشدها.

وقد أكد ذلك ابن خلدون (ت:٨٠٨ هـ) قائلاً: " لما كتبت العلوم ودونت وألف الفقهاء في الفقه وأصوله والكلام والتفسير وغير ذلك ، كتب رجال من هذه الطريقة (الصوفية) في طريقتهم ، فصار علم التصوف في الملة علماً مدوناً بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط ، ومن ناحية ثانية نجد شيوخ التصوف في القرنيين الثالث ، والرابع الهجريين ، يجمعون حولهم المريدين من أجل تربيتهم ، فكونت لأول مرة الطرق الصوفية في الإسلام " [١]

وقد ظهرت شخصيات صوفية كبيرة طبعت الحياة الروحية الإسلامية بطابع جديد لا يختلف في مضمونه عما كان عليه الزهاد والعباد الأوائل ، كما اختص التصوف في هذه المرحلة بمظاهر وعلوم انفرد بها عن سائر العلوم الشرعية وهي المقامات والأحوال ، ومن أهم شيوخ هذه المرحلة ، الجنيد (ت : ١٩٧هـ) أبو سعيد

١ ـ ابن خلدون ، المقدمة ، صـــــ٤٦٩ .

الخراز (ت:٢٧٩ هـ) ، وبشر الحافي (ت:٢٢٧هـ) ، وسهل التستري (ت:٢٨٣هـ) ، أبو الحسن النوري (ت:٢٩٥ هـ) وغيرهم . [1]

ومن الملاحظ تمسك أصحاب التصوف السني بالمضمون الإسلامي الذي تمسك به الزهاد ولم يدخلوا في تصوفهم نظريات أو تعاليم أجنبية ، ونادوا بالمبدأ القرآني ، أدخلوا البيوت من أبوابها ، وطالبوا بدخول التصوف من باب الدين ، ملتزمين بالكتاب والسنة ، فكان دخولهم للحقيقة من باب الشريعة ، وتميزت هذه المرحلة بأنها مرحلة العلم والعمل معاً أي العبادة والتدوين.

٣ ـ التصوف الفلسفي :

بدأ التصوف زهداً ثم أصبح تصوفاً سنياً ثم أصبح فلسفة صوفية ، أو بمعنى آخر بدأ التصوف عبادة طبقاً لقواعد الكتاب والسنة . ثم أصبح عبادة وتدوين وتأليف لهذه التعاليم والآداب ، مع الالتزام بالكتاب والسنة ، ثم دخل في مرحلة التأليف والتدوين ، والتقليل من الجانب العملي في العبادة ، فأصبح نظرياً أو فلسفة تأملية ، وتداخلت عليه الثقافات الأجنبية ، فبدأ ينحرف عن تعاليم الإسلام ، وتداخلت فيه أقوال وأفكار الإسلام منها براء ، وهذه المرحلة هي مرحلة التصوف الفلسفي .

وقد ظهر التصوف الفلسفي متأخراً في أواخر القرن الثاني الهجري تقريباً ، واكتمل نموه في القرن الثالث وما بعده أي وقت ازدهار حركة الترجمة ، وأصبح التصوف مذهباً له نظرياته وكتبه وفرقه ، كما صار المرآة التي يمكن أن ترى فيها صورة مركبة من فلسفات ، ومذاهب وعقائد الأمم الأخرى ، فالقرآن الكريم داخل الجزيرة العربية لم يلق تأويلاً فلسفياً ولا صوفياً ، ولكنه لما أصبح الكتاب المقدس لشعوب من الفرس والروم والهند وغيرهم تناولوه بالتفسير والتأويل ، وقرأ فيه من

---

١ ـ د . محمد محمود عبد الحميد أبو قحف ، التصوف الإسلامي خصائصه ومذاهبه مع دراسة تحليلية وميدانية للطرق الصوفية) ، صـ٤٥ ، ٤٦ ، مكتبة القومية الحديثة ، طنطا ، ١٩٩٢ .

المعاني الفلسفية . وفي هذه المرحلة سار التصوف كفرقة أو مذهب ولم يعد ظاهرة روحية فقط . " [١]

ولعل امتزاج مباحث التصوف الإسلامي بمثل هذه العناصر المختلفة ـ من الفلسفة اليونانية والمسيحية والهندية والفارسية ـ أنتج فلسفة صوفية عميقة كان لها خطرها على أصول العقيدة الإسلامية الواضحة البسيطة ، وأدت بأصحاب هذه المذاهب الفلسفية الصوفية إلى تناول قضايا ميتافيزيقية غريبة عن روح الإسلام . " [٢]

وتظهر الجذور الأولى للتصوف الفلسفي في القول بوحدة الوجود والاتحاد والحلول والفناء ، كما نادى الحلاج (ت:٣٠٩هـ) معلناً حلول اللاهوت في الناسوت ، وانتهى به الأمر إلى الاتحاد حيث قال " أنا الحق " .[٣]

كما قامت فلسفة أبي يزيد البسطامي (ت:٢٦١ هـ) الصوفية على ثلاث دعائم وهي الحب لله ، والتجرد للوحدة مع الله ، والفناء والاندماج والتلاشي للنفس الواحدة في الحقيقة الأخيرة وإنكار العالم ، فلا يوجد ثنائية في الوجود . [٤]

وهذه الأقوال وغيرها تبين أن التصوف النظري الفلسفي ، موجود بداخله أفكار محدثة في الفكر الإسلامي وهي أجنبية عن دستور المسلمين من قرآن وحديث . هذه الأفكار ساعدت في انحراف التصوف وبعده عن روح الإسلام التي تتمتع بالصفاء والنقاء ، وأصبح التصوف بفضل هذه الأفكار نظريا أكثر منه علمياً ، وأن جاز القول أصبح التصوف فلسفة وابتعد عن العبادة ، ومجاهدة النفس والزهد في الدنيا .

١ـ د . حمدي حيا الله ، أثر التفلسف في الفكر الإسلامي ، صـ٩٥ ، ٩٦ ، مطبعة الجبلاوي ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

٢ ـ د. أبو قحف ، التصوف الإسلامي خصائصه ومذاهبه ، صـ٧٢ .

٣ ـ د . إبراهيم مدكور ، في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه حـ ٢ صـ١٣٤ ، ١٣٥ ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٧٣ .

4 - C . A . Qadir , philosophy and Science in the Islamic world , P . 93, london and New Yourk , Re printed 1991 .

ثانياً : أبو عبد الرحمن السُّلمي والصوفية

أ- حياته وآثاره :

١ - حياته

هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم بن زاوية بن سعيد بن قبيصة بن سراق الأزدي ، السُّلمي الأم ، الإمام الحافظ المحدث شيخ خرسان وكبير الصوفية ، وهو أبو عبد الرحمن النيسابوري الصوفي صاحب التصانيف ، اختلف في مولده ، فقد أفرد له أبو سعيد محمد بن على الخشاب (ت:٤٥٦ هـ) ترجمة فقال " ولد في عاشر جمادي الآخر سنة خمس وعشرين وثلاثة مائة ، وكتب بخطه سنة ثلاث وثلاثين عن أبي بكر الصبغي (ت:٣٤٢هـ) وابتدأ بالتصنيف سنة نيف وخمسين وثلاثة مائة. (١)

وقد أكد كل من خير الدين الزراكلي صاحب " الإعلام " و د. عبد المنعم الحفني في الموسوعة الصوفية أنه ولد عام (٣٢٥ هـ) .(٢)

بينما يرى جلال الدين السوطي (ت: ٩١١هـ) في "طبقات الحفاظ" ، وأبن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢ هـ) في "لسان الميزان" ، وشمس الدين الداودي (ت:٩٤٥هـ) في "طبقات المفسرين" وعبد الغافر بن إسماعيل الفارسي (ت:٥٢٩ هـ) في "سياق التاريخ" أنه ولد سنة ثلاثين وثلاثة مائة . (٣)

---

١ - شمس الدين الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، ومحمد نعيم العرقسوسي جـ ١٧ ، صـ ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، مؤسسة الرسالة ، ط٦ ، بيروت ، ١٩٩٠ م .

٢- راجع خير الدين الزراكلي ، الأعلام ، المجلد السادس ، صـ٩٩ ، دار العلم للملايين ط ٧ ، بيروت ، ١٩٨٦ ، راجع أيضاً ، د . عبد المنعم الحفني ، الموسوعة الصوفية (أعلام التصوف) صـ ٢٠٥ دار الرشاد ط١ ، ١٩٩٢ .

٣- راجع جلال الدين السيوطي ، طبقات الحفاظ ، تحقيق د . على محمد عمر ، صـ ٤٢٨ ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ، ١٩٩٦ ، كذلك راجع شهاب الدين بن حجر العسقلاني ، لسان الميزان ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ، وعلى محمد معوض جـ٥ ، صـ ١٤٥ ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٦ ، كذلك راجع ، شمس الدين الداودي ، طبقات المفسرين ، تحقيق د. على محمد عمر ، صـ ١٣٨ ، مكتبة وهبة ط١ ، القاهرة ١٩٧٢ ، راجع كذلك الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ١٧ ، صـ ٢٥٠ .

والمعلومات عن حياته قليلة للغاية ، لا تكفي لتكوين صورة عن حياته ، ولم تحدثنا المصادر عن حياته في الطفولة أو إن كان والداه رزقا غيره أم لا ، وعلى أي حال فالسُّلمي هو أبو عبد الرحمن الأزدي نسبة لأبيه ، السُّلمي نسبة لأمه لأنه سبط أبي عمرو بن إسماعيل بن نجيد السُّلمي النيسابوري (ت :٣٦٦هـ) .[١] وقد كان أبوه رقيق الحال وأهله مضيقاً عليهم في الرزق ، بينما أهل أمه من ذوي الثراء والسلطان ، وكان أبوه رغم ضيق حاله صوفياً جليل القدر ، ولما ولد له أبو عبد الرحمن باع ما عنده وتصدق به . [٢]

وقد أشتهر أبو عبد الرحمن بنسبته إلى قبيلة والدته ، أكثر من اشتهاره بنسبته إلى قبيلة والده ، ومرد ذلك أن السُّلميين وهم قبيلة والدته كان لهم شأن فتحا وحكما وثروة وجاها ، كما أن والد أبي عبد الرحمن لم يكن في سعة من الجاه والمال على فضله وكرم خلقه ، وكان أهل والدته من كبار أثرياء نيسابور على فضل وعلم وزهد وكرم خلق ، فاحتضن أبو عمرو بن نجيد (جد السُّلمي) أبا عبد الرحمن بعد أن انتقل والده إلى جوار الله سنة (٣٤١ هـ) ، فنشأ الفتى في رعاية جده ، ورآه الناس معه في حلقات العلم والدرس ، إذ لم يكن لأبي عمرو بن نجيد ولد ، فكان طبيعياً أن يشتهر أبو عبد الرحمن بنسبته إلى السُّلمي . [٣]

وكانت والدة السُّلمي سيدة فاضلة تغلب عليها نزعة الزهد واضحة ، ولا غرابة في ذلك ، فهي ابنة الشيخ أبي عمرو بن نجيد وزوج محمد بن الحسين الأزدي والد أبي عبد الرحمن ، ومما يدل على نزعة الزهد لدى والدته قول السُّلمي " لما توفى جدي أبو عمرو خلف ثلاثة أسهم في قرية قيمتها ثلاثة آلاف دينار ، وكانوا يتوارثون ذلك عن جده أحمد بن يوسف السُّلمي ، وكذلك خلف أيضاً ضيعاً ومتاعاً ولم يكن له وارث غير والدتي ، وكان على التركات رجل متسلط ، فكان من صنع الله أنه لم يأخذ من ذلك شيء ، وسلم إلى الكل ، فلما تهيئ أبو القاسم النصراباذي (

---

١ ـ الداودي ، طبقات المفسرين ، صـــــــ١٣٧ .
٢ ـ د . عبد المنعم الحفني ، الموسوعة الصوفية ، صـــــ٢٠٥ .
٣ ـ السُّلمي ـ طبقات الصوفية ـ صـــــــ١٧ ، ١٨ .

ت:٣٦٧ هـ) للحج ، استأذنت أمي في الحج ، فبعت سهما بألف دينار ، وخرجت سنة (٣٦٦هـ) ، فقالت لي أمي : إذا توجهت إلى بيت الله ، فلا يكتبن عليك حافظاك شيئاً تستحي منه غداً ، وكنت مع النصراباذي أي بلد أتينا ، يقول : قم بنا نسمع الحديث . [1]

وكان السُّلمي يجوب البلاد والأقطار طالباً للعلم ، يلتقي في رحلاته برجال العلم من علماء وشيوخ الصوفية ، وفي هذا يقول عبد الغافر الفارسي (ت : ٥٢٩ هـ) " أن السُّلمي كتب الحديث بمرو ونيسابور والعراق والحجاز . [2] وهذا أن دل فإنما يدل على حب السُّلمي للعلم والبحث عنه في أماكنه المختلفة .

ويقول الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣ هـ) " أنه قدم بغداد مرات وحدث بها ، وكان ذا عناية بأخبار الصوفية " ويؤكد الخطيب البغدادي فراسة السُّلمي ونفاذ بصيرته فيقول : " قال أبو القاسم القشيري (ت: ٤٦٥ هـ) كنت يوماً بين يدي أبي علي الدقاق (ت: ٤١٢ هـ) فجرى حديث أبي عبد الرحمن السُّلمي ، وأنه يقول في موافقة الفقراء ، فقال أبو على ، مثله لعل السكون أولى به ، ثم قال لي أمضي إليه فستجده قاعداً في بيت كتبه ، وستجد مجلدة حمراء فوق كتبه فأتى بها ولا تقل له شيئاً ، فلما ذهبت إليه وجدت المجلدة موضوعة حيث ذكر ، فلما قعدت أخذ أبو عبد الرحمن في الحديث ، وقال : كان بعض الناس ينكر على واحد من العلماء حركته في السماع فرأى ذلك الإنسان يوماً خالياً في بيته وهو يدور كالمتواجد ، فسئل عن حاله ، فقال : كانت مسألة مشكلة عليّ فتبين لي معناها فلم أتمالك من السرور حتى قمت أدور ، فقيل لي مثل هذا يكون حالهم ، قال القشيري : فلما رأيت ما أمرني أبو علي ووصف لي على الوجه الذي قال ، وجرى على لسان أبي عبد الرحمن ما قد كان ذكره ، تحيرت وقلت كيف أفعل بينهما ، ثم فكرت في نفسي وقلت لا وجه إلا الصدق ، فقلت أن الأستاذ أبو علي وصف هذه المجلدة وقال احملها إلى من غير أن أستأذن الشيخ ، وأنا أخافك ، وليس يمكنني مخالفته ، فأيش تأمر ؟ فأخرج أجزاء مجموعة من كلام الحسين بن منصور (ت:٣٠٩هـ) ، وفيها تصنيف له سماه " كتاب الصيهور في نقض

١- شمس الدين الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ١٧ ، صـــــ٢٤٩ .
٢- أبن حجر العسقلاني ، لسان الميزان ، جـ٥ ، صـــــ١٤٥ .

الدهور " وقال أحمل هذه إليه ، وقل له أني أطالع تلك المجلدة ، فأنقل منها أبياتاً إلى مصنفاتي فخرجت " [١]

وهناك أعمال وأمور تدل على زهد السُّلمي منها ، أن السُّلمي كان يأتي بالطعام لنفسه إلى المسجد فربما استقبله الفقراء في الطريق فيطعمه الفقراء والمساكين ، فيقولون له بارك الله فيك ، فيقول : " بارك الله فيكم ، وعندما أشرف على الموت قال:"أني لأرجو ربي وقد صمت له ثمانياً رمضان " [٢]

وقول السُّلمي أنه صام ثمانيا رمضان يدل على أن السُّلمي ولد عام (٣٢٥هـ) لأنه لو ولد عام (٣٣٠) هـ فأنه يعني أن السُّلمي صام وهو في الثانية من عمره ، وهذا من غير المعقول ، لأن السُّلمي توفى عام (٤١٢ هـ) ، فأرى أن السُّلمي ولد عام (٣٢٥هـ) وما يدل على ذلك قول أبو سعيد الخشاب (ت:٤٥٦هـ) - وهو تلميذ السُّلمي- : " أن السُّلمي كتب بخطه سنة ثلاثة وثلاثين وثلاثمائة عن أبي بكر الصبغي (ت: ٣٤٢هـ) "، ومن غير المعقول عند القول أن السُّلمي ولد عام (٣٣٠ هـ) أن يكتب طفل في الثالثة من عمره ، عند أحد علماء عصره وهو أبو بكر الصبغي .

وتجمع المصادر على أن السُّلمي توفي في يوم الأحد الثالث من شعبان ، سنة اثنتي عشرة وأربعة مائة . [٣]

ويقول الخطيب البغدادي " أن له بنيسابور دويرة معروفة به ، سكنها الصوفية قد دخلتها وقبره هناك يتبركون بزيارته ، قد رأيته وزرته " . [٤]

---

١ ـ الخطيب البغدادي ـ تاريخ بغداد ـ المجلد الثاني ـ صـ٢٤٨ ، ٢٤٩ .
٢ ـ د . عبد المنعم الحفني ـ الموسوعة الصوفية ـ صـ٢٠٦ ، ٢٠٧ .
٣ـ راجع الخطيب ، تاريخ بغداد ، المجلد الثاني ، صـ٢٤٩ ، كذلك السيوطي ، طبقات الحفاظ ، صـ٤٢٨ كذلك اليافعي ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، جـ٣ ، صـ٢٦ ، كذلك عماد الدين بن الفدا ، المختصر في أخبار البشر ، جـ٢ ، صـ١٥٢ ، الطبعة الأولى ، المطبعة الحسنيه ، كذلك أبو الحسن على بن عبد الواحد الشيباني الكامل في التاريخ ، جـ٩ ، صـ١١٢ ، المطبعة الأزهرية المصرية ، ط ١ ، ١٣٠١ هـ ، كذلك شمس الدين الذهبي ، دول الإسلام ، تحقيق فهيم محمود شلتوت جـ١ ، صـ٢٤٦ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ، ١٩٧٤ .
٤ ـ الخطيب ، تاريخ بغداد ، المجلد الثاني صـ٢٤٩ .

مما سبق نستطيع أن نصل ، رغم قلة المصادر عن حياة السُّلمي ، أنه عاش حياة زهد وعباده ، رغم ثراء أهله ، فمنذ نعومة أظافره وهو حافظ للقرآن ، صائم لرمضان ، مقبل على العلم ، باحث عنه في البلاد والأقطار المختلفة ، وهذه الأشياء دليل على رسوخ قدم السُّلمي في التصوف والعلم ، ومعرفته بدقائق الأمور وكبائرها ، وهذا يوضح مكانته بين الصوفية، ويوضح أيضاً أن تصوفه كان خالصاً لله ، فكان زهده في الدنيا رغم أنه يمتلك بعضها ليس زهداً في شيء لا يملكه.

٢ ـ شيوخ السُّلمي :

كان السُّلمي تلميذاً لعدد كبير من أئمة الطريق الصوفي ، ومنهم ، أبو العباس الأصم (ت:٣٤٦هـ) ، وأحمد بن محمد بن عبدوس العنزي أبو الحسن الطرئفي (ت:٣٤٦هـ) ، وجده أبو عمرو إسماعيل بن نجيد (ت: ٣٦٦ هـ) [١] ، ومحمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى الماسرجسي النيسابوري (ت:٣٥٠هـ) ، وأحمد بن محمد بن رميح أبو سعيد النخعي النسوي (ت:٣٥٧ هـ) [٢] وأبو عبد الله الصفار (ت: ٣٣٠ هـ) ، وأبو بكر الصبغي (ت: ٣٤٢ هـ) ، وأبو القاسم النصراباذي (ت: ٣٦٧ هـ) ، ويحيي بن منصور القاضي (ت:٣٥١هـ) ، وأبو بكر القطيعي (ت: ٣٦٨ هـ) [٣] ، والدارقطي (ت:٣٨٥هـ) وأبو نصر السراج (ت:٣٧٨هـ) [٤] ، والحسين بن محمد بن موسى الأزدي والد السُّلمي (ت:٣٤١هـ) ، ومحمد بن يعقوب بن يوسف بن الأخرم أبو عبد الله الشيباني (ت:٣٤٤هـ) ، وأحمد بن علي بن الحسن بن شاذان المقرئ النيسابوري المعروف بابن حسنويه (ت:٣٥٠هـ) [٥] وأبو علي الحسين بن محمد النيسابوري (ت:٣٤٥هـ) ، وأبو سهل الصعلوكي (ت:٣٦٩هـ) [٦] ومحمد

---

١ ـ المرجع السابق صـ٢٤٨ .
٢ ـ الداودي ، طبقات المفسرين ، صـ١٣٧ .
٣ـ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ١٧ ، صـ٢٤٩ ، ٢٥٠ .
٤ ـ السُّلمي ، عيوب النفس ومداواتها تحقيق د . محمد عبد المنعم خفاجي ، د. عبد العزيز شرف ، صـ١٢ ، دار الشروق ، ١٩٨١ .
٥ـ الذهبي ـ سير أعلام النبلاء ـ جـ١٧ ـ صـ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٤ .
٦ ـ تاج الدين أبي نصر السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق محمود محمد الطناحي ، وعبد الفتاح الفتاح محمد الحلو ، جـ ٤ صـ١٤٣ ، ١٤٦ ، دار أحياء الكتب العربية ، القاهرة .

بن شادان أبو بكر الرازي (ت:٣٧٦هـ) ، وأبو بكر القفال الشاشي (٣٦٦ هـ) ، وجابر بن محمد القرشي النيسابوري (ت:٣٤٩هـ) ، ومحمد بن داود بن سليمان أبو بكر النيسابوري (ت:٣٤٢هـ) ، أبو القاسم جعفر بن أحمد المقرئي (٣٦٦ هـ) . [١] وغيرهم [٢]

٣ ـ تلاميذ السُّلمي :

تلقى السُّلمي العلم على يد عدد كبير من علماء التصوف وشيوخه ، وهذا دليل على توسعة أفق السُّلمي العلمية الصوفية ، لهذا أصبح للسلمي العديد من التلاميذ الصوفية ، الذين أصبحوا شيوخاً بعد ذلك ومن هؤلاء التلاميذ : أبو القاسم الأزهري (ت:٤٣٥هـ) ، وأبو القاسم بن عبد الكريم القشيري الينسابوري(ت: ٤٦٥هـ) [٣] وأحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (ت:٤٥٨ هـ) [٤] وأبو صالح المؤذن (ت:٤٧٠هـ) ، ومحمد بن إسماعيل التفليسي (ت:٤٨٣ هـ) ، وأبو عبد الله بن البيع الحاكم (ت:٤٠٥هـ) ، ومحمد بن يحيى أبو بكر ابن المزكي الينسابوري (ت:٤٧٤هـ) ، وأبو بكر بن خلف (ت:٢٨٧هـ) ، وعلي بن أحمد المدنيي المؤذن (ت:٤٩٤هـ) ، والقاسم بن الفضل الثقفي الجوباري (ت:٤٨٩ هـ) [٥] وأبو سعيد بن أبي الخير (ت:٤٤٠هـ) [٦] ، وأبو بكر الشيرازي النيسابوري (ت:٤٨٧ هـ) وعبد الله بن يوسف أبو محمد الجويني (ت:٤٣١ هـ) [٧] وأبو سعيد بن محمد بن على الخشاب (ت : ٤٥٦ هـ) [٨] وغيرهم الكثير . [٩]

---

١ ـ السُّلمي ، طبقات الصوفية ، صـــ٢١ ـ ٢٢ ، ٢٣ ، ٥٠٩ .
٢ ـ للمزيد راجع سير أعلام النبلاء ، وتاريخ بغداد ، والأعلام ، وطبقات المفسرين .
٣ ـ الخطيب ـ تاريخ بغداد ـ المجلد الثاني ـ صـــ٢٤٨ .
٤ ـ السيوطي ـ طبقات الحفاظ ـ صـــ٤٢٨ .
٥ ـ الداودي ـ طبقات المفسرين ـ صـــ١٣٧ .
٦ ـ الهجويري ـ كشف المحجوب ، ترجمة د . أسعاد عبد الهادي قنديل ، صـــ١٥٥ ، دار النهضة العربية ـ بيروت ـ ١٩٨٠ .
٧ـ السُّلمي ، طبقات الصوفية ـ صـــ٢٥ ، ٢٦ .
٨ ـ الذهبي ـ سير أعلام النبلاء ـ جـ١٧ ـ صـــ٢٤٧ .
٩ـ للمزيد راجع الهجويري، كشف المحجوب ـ وسير أعلام النبلاء ـ طبقات الشافعية الكبرى ـ ومقدمة طبقات الصوفية ، لنور الدين شريبه .

٤ ـ مصنفات أبي عبد الرحمن السُّلمي :

لقد انصبت مؤلفات السُّلمي وكتاباته كلها تقريباً ، في مجال التصوف ولم تخرج من دائرته ، فقد كان السُّلمي تلميذاً لشيوخ الصوفية ، ثم أصبح شيخاً من شيوخها ، وقد اهتم بتراجم الصوفية فألف لهم سنناً وطبقات ، ومما يؤكد تعلق السُّلمي الشديد بالتصوف قيامه بجمع تفسير للقرآن الكريم على لسان شيوخ الصوفية ، وقد كتب السُّلمي في التصوف أكثر من مائة مؤلف ما بين رسالة وكتاب ، ويمكن تقسيم مؤلفات السُّلمي الموجودة في المؤلفات والكتب الخاصة بالتراجم فيما يلي :

فقد قسمها جيرهارد بيورنغ إلى ثلاث مقولات رئيسية وهي تواريخ الصوفية ، (طبقاتهم وترجمة لهم) ، وتأويلات الصوفية للقرآن (تفسير القرآن) ، وأخيراً رسائل عن أسلوب الصوفية وعاداتهم ، وكل مقولة من هذه المقولات تظهر متمثلة في أعمال كبيرة عظيمة . [1]

وهذا التقسيم يشمل كل رسائل وكتب السُّلمي تحت هذه المقولات الثلاثة . ويقول تلميذ السُّلمي أبو سعيد بن علي الخشاب مبيناً رسوخ قدم السُّلمي في التصوف وثقل قدمه في هذا العلم " حبب تصانيفه إلى الناس ، وبيعت بأغلى الأثمان ، وقد بعت يوماً من ذلك على رداءة خطي بعشرين ديناراً " [2] ويقول الذهبي " إن تصانيفه تصل الألف جزء " ـ والجزء رسالة صغيرة وليس جزاءً كما نعلمه اليوم ـ ومن هذه المؤلفات والرسائل التي قام السُّلمي بكتابتها : ـ

١ـ حقائق التفسير

٢ـ آداب الصحبة وحسن العشرة

٣ـ طبقات الصوفية

٤ـ سلوك العارفين

٥ـ المقدمة في التصوف

---

1 Abu Abd ar-Rahman as-sulami , the minor Qur'An Commentary, Edited with Introduction , Gerhard Bowering , P .2 , Dar Elmachrq 1995 .

٢ ـ الذهبي ـ سير أعلام النبلاء ، جـ١٧ صــ٢٤٨ .

٦ـ كتاب عيوب النفس ومداواتها

٧ـ رسالة مناهج العارفين

٨ـ الفرق بين الشريعة والحقيقة

٩ـ رسالة في غلطات الصوفية

١٠ـ مسألة درجات الصالحين

١١ـ أصول الملامتية

١٢ـ بيان زلل الفقراء ومناقب آدابهم

١٣ـ آداب الفقر وشرائطه

١٤ سؤالات للدارقطني

١٥ـ كتاب الفتوة

١٦ـ آداب الصوفية [١]

١٧ـ الأربعين في الحديث [٢]

١٨ـ جوامع آداب الصوفية

١٩ـ مسألة درجات الصالحين

٢٠ـ بيان أحوال الصوفية

٢١ـ الأربعون في أخلاق الصوفية

٢٢ـ مسائل وردت من مكة

٢٣ـ وصية

٢٤ـ السماع

٢٥ـ مقامات الأولياء

٢٦ـ الرد على أهل الكلام

٢٧ـ حديث أو جزء السُّلمي [١]

---

١ ـ كارل بروكلمان ـ تاريخ الأدب العربي ، ترجمة د. السيد يعقوب بكر ود. رمضان عبد التواب ، جـ٤ ، صـــ٨٦ ، ٨٧ دار المعارف بمصر ، ١٩٧٥ .

٢ـ الزراكلي ـ الأعلام ـ المجلد السادس صـــ٩٩

٢٨- آداب التعازي

٢٩- سنن الصوفية

٣٠- الأخوة والأخوات الصوفية

٣١- تاريخ الصوفية

٣٢- تاريخ أهل الصفة

٣٣- الزهد

٣٤- أمثال القرآن

٣٥- تهذيب الناسخ والمنسوخ في القرآن لابن شهاب الزهري

٣٦- الاستشهادات [٢]

٣٧- زيادات حقائق التفسير [٣]

ب - آراء العلماء حول السُّلمي :

أختلف العلماء والفقهاء في مواقفهم حول السُّلمي ، وخاصة في مسألة وضع الأحاديث ، ولكن من ناحية قدرته العلمية والصوفية ومكانته فلم يشكك فيها أحد ، وقد وصفه الجميع بأنه الحافظ الزاهد ، شيخ المشايخ ، كبير الصوفية ، صاحب التصانيف ، وغيرها من الكنيات التي تدل على علو شأنه ومكانته .

وأستطيع أن أقسم العلماء والفقهاء حول موقفهم من السُّلمي إلى فريقين ، فريق قام بالجرح فيه ، وفريق آخر قام بالدفاع عنه والتعديل له ، وقد جاءت أراءهم على الوجه التالي :

الفريق الأول الذي قام بالتجريح فيه ، أورد الخطيب البغدادي (ت : ٤٦٣ هـ) " أن محمد بن يوسف القطان (ت: ٤٢٢ هـ) قال له " كان أبو عبد الرحمن السُّلمي غير ثقة ولم يكن سمع من الأصم (٣٤٦ هـ) ، إلا شيئاً يسيراً ، فلما مات الحاكم أبو

١- فؤاد سزكين ، تاريخ التراث العربي (العقائد والتصوف) ، ترجمة د. محمود فهمي حجازي المجلد الأول - جـ٤ - صـ١٨١ : ١٨٤ - منشورات جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية - ١٩٨٣ .

٢- السُّلمي ، المقدمة في التصوف - تحقيق د . يوسف زيدان - صـ٩ ، دار الجيل بيروت .

٣ - السُّلمي - زيادات حقائق التفسير - تحقيق جيرهارد بيورنج ، دار المشرق ، ١٩٩٥ .

عبد الله بن البيع (ت : ٤٠٥ هـ) حدث عن الأصم ، بتاريخ يحيى بن معين (ت: ٢٣٣ هـ) وبأشياء كثيرة سواه ، قال وكان يضع الأحاديث " [١] ، وقد ذكر جلال الدين السيوطي ، " أن السُّلمي سئل الدارقطني (ت: ٣٨٥ هـ) عن خلق من الرجال سؤالات عارف بهذا الشأن ، وضعف وكان يضع للصوفية الأحاديث ". [٢]

وقال الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ) : " ففي تصانيفه أحاديث وحكايات موضوعة ، وفي حقائق التفسير أشياء لا تصوغ أصلا، وقال أيضاًً " أن حقائقه قرمطه وما أظنه يتعمد الكذب " [٣] ويقول ابن العماد (ت: ١٠٨٣ هـ) هو حافظ زاهد لكن ليس بعمدة ، وله في حقائق التفسير تخريف كثير.. إنتهى . [٤]

ويشارك الدكتور أبو العلا عفيفي في هذا التجريح بقوله " ولا استبعد أنه وضع الكثير منها - الأحاديث - فقد جعل من كل صوفي ترجم له في طبقاته محدثا يروي من الأحاديث ما يتمشى عادة مع نزعته الصوفية ، ... ولا استبعد كذلك وضعه كثيراً من عبارات الصوفية على السنة القوم بما يتناسب مع مشاربهم ونزعاتهم ، ثم يعود د. عفيفي ويناقض نفسه قائلاً ، على أن هذا ليس بقادح في تآليف السُّلمي ولا في قيمتها ومنزلتها العالية في تاريخ التصوف ، فإن السُّلمي سيظل بالرغم من كل هذا أستاذ مؤرخي هذا العلم من غير منازع ، ويكفي أن يشهد له ويدافع عنه رجال لهم خطرهم في تاريخ التصوف أمثال القشيري والاصفهاني وغيرهما ، ممن نقلوا عنه وأخذوا بمنهجه ، واعتبروه حجة في التصوف ومرجعاً ثبتاً. [٥]

هذا الفريق رمي السُّلمي بالجرح وبوضع الأحاديث أما الفريق الثاني فقد دافع عن السُّلمي وجاءت آراءه على هذا النحو : -

---

١- الخطيب - تاريخ بغداد - جـ٢ - صـ٢٤٨ .
٢- السيوطي - طبقات الحفاظ - صـ٤٢٨ .
٣ - الذهبي - سير أعلام النبلاء ، جـ١٧ ، صـ٢٥٢ ، ٢٥٥ .
٤ - أبي الفلاح بن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من الذهب ، المجلد الثاني جـ٢ صـ١٩٧ - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان .
٥- د. أبو العلا عفيفي ، الملامتية والصوفية وأهل الفتوة ، صـ٧٥ ،دار إحياء الكتب العربية القاهرة ١٩٤٥.

يقول أبو بكر الخطيب (ت: ٤٦٣ هـ) مؤكداً رسوخ قدم السُّلمي في التصوف والعلم " قدر أبي عبد الرحمن عند أهل بلده جليل ، ومحله في طائفته كبير ، وقد كان صاحب حديث مجود جمع شيوخاً وتراجم وأبواباً " (١)

وهذا ما أكده أبو سعيد بن علي الخشاب (ت: ٤٥٦ هـ) " أنه (أي السُّلمي) كان مرضياً عند الخاص والعام ، والموافق والمخالف ، والسلطان والرعية ، في بلده وفي سائر بلاد المسلمين ، ومضى إلى الله كذلك" . وفي هذا يقول عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي (ت: ٥٢٩ هـ) " أبو عبد الرحمن شيخ الطريقة في وقته الموفق في جميع علوم الحقائق ومعرفة طريق التصوف " (٢)

ويقول معاصره أبو نعيم الأصبهاني (ت:٤٣٠ هـ) في حليته " له العناية التامة بتوطئة مذهب المتصوفة ، مفارق لما يؤثر عن المتخرمين والمتهوسين من جهال هذه الطائفة منكر عليهم " ويقول في خلقة " أنه ذو صيام وقيام ، مقرئ الأئمة والأعلام على مدى السنين والأعوام في التعبد لبيب ، وفي التعليم أريب ". (٣)

ويدافع السبكي (ت : ٧٧١ هـ) عن السُّلمي دفاع واضح ، فيقول : " أن قول الخطيب فيه هو الصحيح وأبو عبد الرحمن ثقة ، ولا عبرة لهذا الكلام فيه" ويقول " قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي كان يعني ـ السُّلمي ـ وافر الجلالة وله أملاك ورثها عن أمه ورثتها من أبيها ، وله كتاب سماه حقائق التفسير ليته لم يصنفه ، فإنه تحريف وقرمطة قلت : لا ينبغي له أن يصف بالجلالة من يدعي في نفسه التحريف والقرمطة ، وكتاب حقائق التفسير المشار إليه قد أكثر الكلام فيه من قبل ، أنه اقتصر فيه على ذكر تأويلات رجال الصوفية تنبو عنها ظاهر اللفظ " (٤)

وينصفه ابن تيميه قائلاً: " أن ما جمعه السُّلمي فيه فوائد كثيرة ومنافع جليلة وهو في نفسه رجل من أهل الخير والدين الصلاح والفضل وما يرويه من الآثار فيه

١ ـ الخطيب ، تاريخ بغداد ، جـ٢ ، صـ٢٤٨ .
٢ـ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، جـ١٧ ، صـ٢٤٨ ، ٢٤٩ .
٣ـ أبو نعيم الأصبهاني ، حلية الأولياء ، جـ٢ ، صـ٢٥ .
٤ـ السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٤ ، صـ١٤٥ ، ١٤٧ .

من الصحيح شيء كثير ، ويروي أحيانا أخبار ضعيفة بل موضوعة يعلم العلماء أنها كذب ، وقد تكلم بعض حفاظ الحديث في سماعه ، وما يظن به وبأمثاله أن شاء الله تعمد الكذب لكن لعدم الحفظ والإتقان يدخل عليهم الخطأ في الرواية " .[١]

مما سبق أرى أن هناك تضارب في الآراء حول السُّلمي خاصة في مسألة وضع الأحاديث ، كما أن الذين نقدوه هم أنفسهم أشاروا بل أكدوا أن السُّلمي عالي المكانة وأفر الجلال ، فقد قال السيوطي " السُّلمي الحفاظ الزاهد شيخ المشايخ "[٢] وقال عنه الذهبي " الحافظ العالم الزاهد شيخ المشايخ ". [٣] وقال عنه ابن العماد " هو الحافظ شيخ الصوفية " [٤] وعن مسألة وضع الأحاديث أرى أن السُّلمي لم يضع الأحاديث ، رغم ملاحظة وجود بعض الأحاديث الموضوعة والضعيفة في مؤلفاته ، فمن الأحاديث الضعيفة ما رواه السُّلمي في وصيته عن النبي ρ أنه قال " أخلص العمل يكفيك القليل منه [٥]" ومن الأحاديث الموضوعة ما جاء في كتابة عيوب النفس ومداواتها قول النبي ρ " البلاء والهوى والشهوة معجونة بطينة آدم " .[٥] وغيرها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، أما عن الأحاديث الصحيحة والحسنة فجميع كتب السُّلمي ورسائله مكتظة بالأحاديث الحسنة والصحيحة وأرى أن السُّلمي لم يضع هذه الأحاديث وهذا من وجهة نظري لعدة أسباب : -

أولاً : إن قام السُّلمي برواية أي حديث فقد أخذه من غيره أي يوجد هذا الحديث من قبله في كتب الصوفية ، أي أنه رواه عن غيره وليس هو مبتدع الحديث وأول من تفوه به .

---

١ - أبن تيمية ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أبن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، المجلد الحادي عشر ، (كتاب التصوف) ، صـ٤١، ٤٢ ، مطبعة الحكومة ، مكة المكرمة ، صــ ١٣٨٩ هـ.

٢- السيوطي ، طبقات الحفاظ صـ٤٢٨ .

٣ - الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، المجلد الثاني ، جـ٣ ، صــ١٠٤٦ دار الفكر العربي ، القاهرة .

٤ - أبن العماد ، شذرات المذهب ، المجلد الثاني جـ٣ ، صــ١٩٦ .

5 - أبو نعيم في الحلية ج ١ صـ ٢٤٤ .

٦- إسناده موضوع فيه أحمد ابن الحسن ابن أبان يؤوي عن أبي عاصم وغيره قال الحافظ الذهبي هو من كبار شيوخ الطبراني ومن بلاياه ثم ذكر له عدة أحاديث منها الحديث الذي نحن بصدده انظر ترجمته في ميزان الاعتدال (٨٩/١ / ٩٠)

ثانياً : لعل السُّلمي لم يتحر دقة الرواية في بعض الأحاديث التي رواها و ذلك لأنها لا تتعرض لأحكام الشريعة أي لا تضع حكماً ولا ترفعه حلالاً كان أو حراماً ، وإنما الغرض من الأحاديث التي يرويها السُّلمي هو الوعظ والحث على التحلي بمكارم الأخلاق والبعد عن قبيحها.

ثالثاً : أن وجدنا بعض الأحاديث الموضوعة أو الضعيفة في كتب السُّلمي ، نجد على الجانب الآخر معظم الأحاديث الأخرى صحيحة أو حسنة . وهنا أستطيع أن أجزم مع ابن تيمية " أن مثل السُّلمي لا يتعمد الكذب ، ولكن لعدم الحفظ والإتقان يدخل عليهم الخطأ في الرواية " .

رابعاً : اشتهر السُّلمي بالصلاح ودماثة الأخلاق بين علماء عصره ولم يلحق به تهمة وضع الأحاديث سوى محمد بن يوسف القطان ومن أخذ عنه ، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على ندرة ذكر السُّلمي بين واضعي الحديث .

وقد جمع العلماء على صدق أبي عبد الرحمن وورعه وزهده وفضله . واختتم الكلام في هذا بقول زميله في الدرس الحاكم أبو عبد الله (ت: ٤٠٥هـ) " أن لم يكن أبو عبد الرحمن السُّلمي من الإبدال ، فليس لله في الأرض ولي ، ولم يتكلم فيه غير محمد بن يوسف ، وذلك من قبيل الحسد ولا تقبل منه " [(١)]

جـ - السُّلمي والتصوف :

١ - مفهوم التصوف عند السُّلمي :

كما نعلم أن مفهوم التصوف يختلف من فرد إلى آخر ، لأن التصوف نفسه تجربة ذاتية ، ولهذا فإن لكل صوفي تعريف للتصوف مختلف عن الآخر ، إلا أن هذا المفهوم لا يخرج عن كونه أخلاق ، لهذا فإنه من الأحرى توضيح مفهوم التصوف عند السُّلمي .

---

١ - شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قيزاوغلي المعروف سبط بن الجوزي (ت :٦٥٤ هـ) ، مخطوط مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، جـ١١ ، صـ٤٢٠ ، حوادث سنة ٤١٢ ، تاريخ ، رقم ٥٥١ ، مصورة في الهيئة المصرية العامة للكتب .

يقول السُّلمي " إن أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع وتعظيم حرمات المشايخ ورؤية أعذار الخلق ، والدوام على الأوراد ". [١]

والواضح لنا من هذا التعريف أن السُّلمي يرجع التصوف كاملاً إلى الكتاب والسنة أي لا يوجد مصدر غريب عن الإسلام في التصوف ، فهما مصدره الوحيد ، ويوضح السُّلمي ما يجب أن يتحلى به الصوفي من ترك البدع ، أي عدم الشطح أو إظهار عبادته وزهده للآخرين ، ومن الآداب أيضاً تعظيم حرمات المشايخ ، أي توقيرهم على قدر مكانهم ، ورؤية أعذار الخلق ، أي التسامح الذي حث عليه الرسول ρ .

ويقسم السُّلمي التصوف إلى ثلاثة علوم ، يقول : " وعلم التصوف مداره على ثلاثة أوجه : علم العبودية ، وعلم المعرفة ، وعلم الربانية ، فعلم الربانية نفاذ المشيئة والأقدار ، وعلم المعرفة ، لسان المعاملة والافتخار ، وعلم العبودية . هو التملك مع الاضطرار " كذلك حكي عن الجنيد رحمه الله " [٢]

فإذا تأملنا هذه العبارة نجد اتفاق السُّلمي مع الجنيد في تقسيم علوم التصوف أو مباحث التصوف ، فالتصوف عندهم مثل القضية المنطقية تتكون من مقدمه كبرى وصغرى وحدا وسط بين المقدمتين ، فالمقدمة الكبرى هي الربانية أو الرب والمقدمة الصغرى هي العبودية أو العبد ، والحد الأوسط هو المعرفة ، والمعرفة هي التي تصل العبد بالرب ، تجعل هناك تواصل بين الربانية والعبودية ، فعن طريق المعرفة يتدرج العبد في سلم الترقي إلى أن يصل إلى الحضرة الإلهية بتقربه من الله بالمعرفة.

وفيما يتعلق بوضع الصوفية بين العلماء والفقهاء عند السُّلمي يقول : " أعلم أن الله أخبر عن الموحدون الذين وحدوا وشهدوا له بالربوبية ، بقوله تعالى [شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] [سورة: آل عمران - الأية: ١٨] .... وأولوا العلم أربع طبقات ، طبقتان منهم أهل

---

١ - الذهبي ، سير أعلام النبلاء جـ١٧ ، صـ٢١٩ .

٢ - السُّلمي ، مخطوطة سلوك العارفين ، صـ٥٦ ، رقم ٧٤ ، تصوف تيمور ، دار الكتب المصرية ، القاهرة .

ظـاهر وهـم أصـحاب الأحاديـث والفقهـاء ، واثنـان أهـل بـاطن ، وهـم أهـل المعـاملات وأرباب الحقائق :

ـ أصـحاب الحـديث : هـم نقلـة الأخبـار وحـافظوه المشـتغلين بحفظـه وجمعـه وصـحيحه وسقيمه.

ـ الفقهاء : هم العاملون بأحكامه وبيانه وناسخه ومنسوخه ، ومجمله ومفصـله (بالنسبة للقرآن) .

ـ وأهل المعاملات : هم السالكون مسلك الزهد ، وتصحيح الأفعال والمجاهدات .

ـ وأرباب الحقائق : هم المشيرون إلى التفريد من غير التجريد ، والمعبرون عن معاني الأحوال وهم الذين سموا الصوفية .

ـ وطبقـة أخـرى مـن العلمـاء هـم علمـاء النسـبة ، وهـم الـذين تفـردوا عـن الكـل بـالفرد ، وتجـردوا عـن الأكـوان وتوحـدوا بـالأحد الصـمد ، وانتسـبوا إلـى الحـق وصـححوا معـه النسبة ، وهـم سـادة الأمـة ، وهـم أهـل التمكـين فـي التصـوف ، وبهـم القـدوة فـي أحـوال السلوك " [١]

من هذا التقسيم يتضح أن الصوفية عند السُّلمي لهم نصـيب الجمـل فـي تقسـيمه للعلماء ، فهم أرباب حقائق وأهل معاملات وعلماء نسبة ، بينما أهل الظاهر طبقتين هم أصحاب الحديث والفقهاء .

ومن الشروط التي يجب أن يتحلى بها من يريد أن يسلك طريـق التصـوف عنـد السُّلمي ما يلـي :

" الزهـد فـي الدنيا " والاشتغال بالذكر والعبـادة ، والغنـى عـن النـاس ، والقناعـة بـالقليـل ، ورعايـة الفقـراء ، وتـرك الشـهوات والمجاهـدة والـورع وقلـة النـوم والكـلام ،

---

١ ـ السُّلمي ، مخطوطة سلوك العارفين ، صــــ٣٣ ، ٣٥ .

وجمع الهمة والمراقبة ، والوحشة عن الخلق ولقاء المشايخ ، والأكل عند الحاجة والجلوس في المساجد ولبس المرقعة " [١]

ويبدو من هذه الشروط مدى زهد السُّلمي ومدى محافظته على آداب الصوفية الأوائل ، فهو لا يريد أن يلتفت الصوفي إلى الدنيا مقدار جناح بعوضة ، فالنوم غفلة قليل ، والملبس خشن بسيط ، والمأكل خشن ، والذكر دائم ، ومراقبة الله دائمة في السر والعلن ، وغيرها من الصفات التي تبين اهتمام السُّلمي الشديد بآداب التصوف وتعاليم الصوفية . وتوحي هذه الآداب بزهده وتصوفه .

٢ ـ المقامات والأحوال عند السُّلمي :

المقامات والأحوال هي موضوع التصوف الأساسي ، وهي المراتب والدرجات التي يترقى فيها الصوفي خلال طريقه إلى الله .

والمقام هو مقام العبد بين يدي الله عز وجل فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع إلى الله عز وجل ، فقد قال تعالى [وَمَا مِنَّآ إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مّعْلُومٌ] **[سورة: الصافات ـ الأية: ١٦٤].**

أما الحال فهو ما يحل بالقلوب ، أو تحل به القلوب من صفاء الأذكار ، وقد حكي عن الجنيد رحمه الله ، أنه قال " الحال نازلة تنزل بالقلوب فلا تدوم " .[٢]

وحقيقة هذا أن الأحوال مواهب ، والمقامات مكاسب ، فالحال غير إرادي ولا يمكن التعبير عنه بكلمات ، فهو إلهام ، بينما المقام إرادي ، أي يمكن الوقوف عليه والتعبير عنه في صوره لفظية ، والمقامات تأتي عن طريق الأعمال ، ويترقى فيها العبد من مقام إلى مقام .

وقد ابتدأ السُّلمي هذه المقامات والأحوال ، بمقام التوحيد ، على أساس أن يبدأ الصوفي طريقة بالإخلاص لله أي توحيد الله عز وجل ، والتوحيد عند السُّلمي هو :

---

١ ـ السُّلمي ، المقدمه في التصوف ، صـــ ٧٢ .
٢ـ السراج ، اللمع ، صـــ ٦٥ ، ٦٦ .

" إثبات لا نفي فيه ، ونفي لا إثبات معه ، ثم فنا فيما بين الحالين ، ثم فنا عن ذلك الفناء حتى لا يكون له حين ولا عنه أخيار ، والتوحيد هو أيضاً أن يكون العبد قائما بسره وقلبه وحاله بين يدي ربه ، لا يلاحظ غيره ولا يشاهد سواه ، وهو أيضاً إبقاء الحق وفناء ما دونه" ويوافق السُّلمي قول الجنيد " أن التوحيد هو أفراد القدم عن الحدوث" . (١)

وبهذا هذا التعريف للتوحيد يتضح إخلاص السُّلمي في توحيده ، ويبين أن التوحيد عنده إخلاص داخل الإخلاص ، فهو فناء الأكوان وفناء عن هذا الفناء ، فلا يوجد سوى الواحد القهار ، فلا موجود غيره ، ولا قديم سواه .

* أما عن مقام التوبة ، فإن هذا المقام يدخل في مقام التوحيد عنده ، والتوبة عنده هي " أن يرجع من الكل إليه لان له الكل ، ثم الانتباه إلى التوبة ، بأن يعرف منة الله عليه فيما أهّله من الرجوع إليه ، والانتباه تيقظ القلب للواردات ، وهو طرد الغفلة ولزوم المراعاة ، ثم تصحيح التوبة ، وهي نوعين : تصحيح توبة المريدين ، بمفارقة المخالفات وتصحيح توبة العارفين في مجانبة الغفلات ، ثم الاجتهاد في إتمام فرائض الله ، وأوامره في الأوقات المراقبة ، فيبتدأ بالطهارة ، وهي طهارتان: طهارة الظاهر وهي على الأعضاء المرئية ، وطهارة الباطن وهي على القلب بمداومة الإخلاص " (٢)

التوبة عند السُّلمي إذا هي توحيد الله ، أو الرجوع إلى الله والبعد عن ما سواه ، وهذا الرجوع لا يكون من الإنسان بل إنما هو منة من الله عليه . وهذا يبين مدى تسليم السُّلمي إرادته لله ومدى نقاء التوحيد عنده ، وجعل السُّلمي لكل رتبة من مراتب الصوفية نوعاً من التوبة ، فتوبة المريد بأن يبعد عن مخالفته أو سيئات أفعاله ، وتوبة العارف ببعده عن مصدر غفلته . ويتفق السُّلمي في هذا مع ذو النون (ت: ٢٤٥ هـ) رحمه الله عندما سئل عن التوبة ، فقال : توبة العوام من الذنوب ، وتوبة الخواص من

١ـ السُّلمي ، مخطوطة سلوك العارفين ، صـ٣٥، ٣٦ .
٢ـ نفس المرجع صـ٣٧ ، ٣٩ .

الغفلة " [١] التوبة إذاً هي أيضاً أن تجتهد في إتمام فرائض الله فهي ليست كلام يقال إنما هي أفعال وعبادة ورجوع إلى الله بالكلية .

وقد سار القشيري على نهج أستاذه السُّلمي في التوبة فقال : " التوبة أول منزل من منازل السالكين وأول مقام من مقامات الطالبين وحقيقة التوبة في لغة العرب الرجوع ، يقال : تاب أي رجع ، فالتوبة الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمود فيه .

وللتوبة أسباب وترتيب وأقسام عند القشيري وهو ما قال به من قبل السُّلمي ، فيقول القشيري ، السبب في التوبة " فأول ذلك انتباه القلب عن رقدة الغفلة ، ورؤية العبد ما هو عليه من سوء الحال " أما الترتيب : فلا يتم ذلك إلا بالمواظبة على المشاهدة التي تزيد رغبته في التوبة وتوفر دواعيه على إتمام ما عزم عليه ، مما يقوي خوفه ورجاءه " أما أقسامها " فعند ذلك تخل من قلبه عقدة الإصرار على ما هو عليه من قبيح الأفعال ، فيقف عن تعاطي المحظورات ، ويكبح لجام نفسه عن متابعة الشهوات ، فيفارق الزلة في الحال ويبرم العزيمة على أن لا يعود إلى مثلها في الاستقبال " [٢]

* مقام الورع ، يقول السُّلمي الورع هو : " أن يتورع عما سوى الله تعالى ، قال الخرسانيون الورع ترك الشهوات والشبهات " [٣] وهذا القول يوافق قول المحاسبي (ت: ٢٤٣ هـ) في الورع ، إذ يقول أن الورع هو : " ترك ما يريبك ،إلى ما لا يريبك ، والذي يشين الورع ويوهنه الرغبة في الدنيا " .[٤]

والورع عند السُّلمي مشتق من الخوف ، ومعنى الورع هنا أن يخاف من أي شيء يبعده عن الله ، وأكثر الأشياء تلهي عن ذكر الله هي الدنيا ، وعلى ذلك فعلى الإنسان أن يبتعد عن هذه الدنيا ، وهذا واضح من قول السُّلمي والمحاسبي.

١- السراج ، اللمع ، صـــــ٦٨ .
٢- القشيري ، الرسالة القشيرية ، جـ١ ، صـــــ٢٥٣ .
٣- السُّلمي مخطوطة سلوك العرفين ، صـــ٤٠ .
٤ - أبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسب ، الوصايا ، صـــــ٢٣٦ ، ٢٣٧ دار الكتب العلمية ط ١ بيروت ١٩٨٦ .

* مقام الزهد : يقول السُّلمي على العابد " أن يزهد في الزهد ، لعله أن ما يزهد فيه لا أصل له ، لذلك قال الشبلي الزهد خشية ، وحقيقة الزهد أن يزهد فيما سوى الله تعالى ، [١] والزهد عند المحاسبي هو " العزوف عن الدنيا ولذاتها وشهواتها " والزهد هو البعد ، وقول السُّلمي أن يزهد في زهده أي يبعد عن زهده حتى لا يرى ما يزهد فيه لأن ما يزهد فيه لا قيمة له و يبتعد عن الدنيا ويبعد في بعده هذا حتى لا يرى هذه الدنيا التي لا قيمة لها ، والسُّلمي هنا متفق مع الشبلي (ت: ٣٣٤ هـ) والمحاسبي، ويتفق أيضاً مع السراج في تعريف السراج للزهد : " أن الزهد هو أساس الأحوال الرضية والمراتب السنية ، وهو أول قدم القاصدين إلى الله عز وجل ... فمن لم يحكم أساسه في الزهد لم يصح له شيء مما بعده ، لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة ، والزهد في الدنيا رأس كل خير وطاعة " [٢] وعلى هذا يتفق الصوفية جميعاً على أن الزهد هو البعد عن الدنيا والإقبال إلى الله، و هذه هي حقيقته .

* مقام الصبر ، يقول السُّلمي الصبر " هو الالتذاذ بأنواع البلاء وحمل ما به حتى تقضى أيامه " [٣] فالصبر كما نرى عند السُّلمي ليس تحملا للبلاء فقط ، وإنما يحمل صفة أخرى وهي التلذذ بالبلاء ، وبذلك يكون السُّلمي مضيفاً صفة جديدة للصبر غير التحمل وهي الالتذاذ . وهل يكون التلذذ إلا بما يسعد ؟ وهذا في حد ذاته يبين مدى رضاء السُّلمي بحكم الله ، لأن هذا البلاء من الله ، فعلى الإنسان أن يصبر عليه مستلذا به كما يستلذ بالخير ويفرح به . وهذا دليل قاطع على صفاء توحيد السُّلمي وإخلاصه في عبادة الله .

* مقام الرضا : الرضا عند السُّلمي " هو فناه ـ الصوفي ـ عن رضاه بمشاهدة رضا الله تعالى عنه ، ومنهم من شغله إرادة الحق ومحبته عن مطالعة رضائه عنه " . [٤]

---

١ ـ السُّلمي ، مخطوطة سلوك العارفين ، صـــ٤٠ .
٢ـ السراج ، اللمع ، صـــ٧٢ .
٣ ـ السُّلمي ، سلوك العارفين ، صـــ٤١ .
٤ـ نفس المرجع ، صـــ٤١ .

قال بشر الحافي (ت: ٢٢٧ هـ) : " الراضي عن الله إذا ابتلاه في بدنه لم يحب العافية ، فإن عافاه لم يحب أن ينقله حتى يكون هو الذي يحوله !! وإن أغناه لم يحب أن يفقره ، وأن أفقره لم يحب أن يغنيه ، وأن يرضى برضاه ، ويهوى بهواه !" لهذا فإن حكم الفقير عند السُّلمي أن يجلس تحت الرضا ينتظر المورود من السماء فعيشه هني وباله رضي " [١]

والسُّلمي هنا يرى تلاشي عبادة العبد ورضاه ، عند قياسه برضا الله عنه ، وهناك أيضاً صنف شغلهم حب الله وطاعته عن مشاهدة رضاه.

* مقام التوكل : الأصل في الطريق الصوفي هو التوكل ، لهذا فقد عرف السُّلمي التوكل قائلاً : أن تكل أمورك بالكلية إلى الله سبحانه وتعالى ، وترضى بحسن اختياره لك ، وليكفيك تدبيره فيك " [٢] وهذا التعريف يوضح ارتباط التوكل عند السُّلمي بالرضا والتسليم المطلق لله ، وهذا أيضاً يبين مدى ترابط المقامات عند السُّلمي ببعضها ، فهي سلسلة مترابطة لا يمكن أن ينقص منها حلقة ولا يمكن أن يترك فيها حلقة دون المرور بها للصوفي .

ويربط السُّلمي الخوف بالتوكل قائلاً : " أن أخوف الناس هم أسوأهم بالأرزاق ظناً " [٣] فالخائف على دنيا بعيد عن التوكل على الله ، لأن المتوكل على الله لا يحمل للدنيا هماً ولا يقدر لها وزناً . وهذا ما نادى به الجنيد من قبل حيث يقول " لا تتهم رزقك الذي كفيته ، واعمل عملك الذي كلفته ، فإن ذلك من عمل الكرام والفتيان " [٤]

وعلى هذا يقول السُّلمي " فإذا صح التوكل صح له التفويض والتسليم والمجاهدة ، فالتفويض هو الاعتماد على الله تعالى لعلمه بشفقته على عباده ، والتسليم

---

١ ـ السُّلمي ، المقدمة في التصوف ، صـ٤٦ ، ٦٦ .
٢ ـ السُّلمي ، وصية . ضمن كتاب (عيوب النفس) تحقيق مجدي فتحي السيد ، صـ٥٠ دار الصحابة للتراث ط٢ طنطا ، ١٩٩٣ م .
٣ ـ السُّلمي ، المقدمة في التصوف ، صـ٣٥ .
٤ ـ نفس المرجع ، صـ٣٥ .

هو ترك التدبير وقبول الموارد بالسمع والطاعة ، أما المجاهدة هي اتباع الأوامر بحب الطاعة إلى أن يبلغ روح التلذذ بالعبادة ، فيصير مستروحا في عبادته " [١].

ويربط السُّلمي صحة التوكل بصحة التسليم والتفويض والمجاهدة ، لأنه عندما يتوكل الإنسان أو يكل أموره إلى الله فإنه يترك التدبير أي يسلم الأمر إلى الجليل ، معتمداً على الله ، لعلم العبد أن الله تعالى رحيم بعباده رؤوف بهم . وينصح السُّلمي المتوكل قائلاً : " كن آمنا بالله ولا تكن آمنا عن الله واترك تدبيرك لمن خلفك تسترح " .[٢]

وفي هذا يقول سهل بن عبد الله " أول مقام التوكل أن يكون العبد بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل ، يقلبه كيف يشاء ، وترك الأسباب إنما هو وبال " [٣]

* مقام الحياء : يتولد الحياء عند السُّلمي " من مطالعة الهيبة والعظمة فيستحي من توحيده ومعرفته وخدمته وحسناته لما يعلم فيها من النقص والعيب " . [٤]

وهذا القول قريب من قول المحاسبي أن الحياء هو " تقبض القلب من مطالعته ـ يقصد مطالعة هيبة الله وعظمته ـ وعلامات المستحي عند المحاسبي إلا يرى في المكان الذي يستحي منه " [٥] وهذا يبين أن الحياء عند السُّلمي لن يصل إلى كماله أي شخص مهما بالغ في حيائه لأن الإنسان بطبيعته ناقص ، ويشعر الإنسان بنقصه عندما يعلم فضل الله عليه ونعمته .

* مقام المحبة ، يقول السُّلمي أن لكل شيء عبارة إلا المحبة فإنها لا عبارة لها ، وهي ألطف وأجل من أن تدخل في عبارة ، فالمحبة نار حطبها أكباد المحبين ، والخوف نار والحب نور ، ولا تكون أبداً نار بلا نور " [٦]

١ـ السُّلمي ، مخطوط سلوك العارفين ، صـــــ٤٢ .
٢ـ السُّلمي ، المقدمة في التصوف ، صـــــ٤٣ .
٣ ـ نفس المرجع صـــــ٣٧ .
٤ـ السُّلمي ، مخطوطة سلوك العارفين ، صـــ٤٢ ، ٤٣ .
٥ ـ المحاسبي ، الوصايا ، صــــ٣١٦ .
٦ـ السُّلمي ، المقدمة في التصوف ، صــ٢٣ .

وبذلك لا يريد السُّلمي أن يدخل المحبة في عبارة حتى لا يحدها ، ويجعلها ضيقة في معنى محدد ، بل تركها حرة لطيفة يعبر عنها كل بما يشاء ، ويربط السُّلمي بين الخوف والحب في قوله " ولا تكون أبداً نار بلا نور " وكأنه يريد أن يقول أن خوف الله وخوف هيبته وعظمته هو حب في حد ذاته ، حيث أن حب الله هو غاية يريد أن يصل إليها العبد ، والخوف يتولد من أن لا يصل إليها العبد ، فتحرقه نار الله أي مخافته ، وفي ذلك يقول الشبلي (ت: ٣٣٤ هـ) " حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن تحبه ، فلا يبقى فيك لك شيء " [١]

* حال الخوف : الخوف عند السُّلمي هو " أن يخاف الله تعالى فيه ـ أي في خوفه ـ وبعده عنه ، وأيضاً يخاف أن يبدو منه خلاف الحق فيسقط بذلك من عين الحق " [٢]

يريد السُّلمي من الإنسان أن يخاف الله في خوفه ، وعلى العابد أن يتقرب إلى الله لأن البعد عنه يولد الخوف منه ، ومخافته تولد الجفاء والفرقة التي تؤدي بدورها إلى غضب الله وبغضه للعبد فيسقط من عين الحق .

وقد أشار إلى ذلك القشيري رابطاً الخوف بالمستقبل حيث يقول " الخوف : معنى متعلق بالمستقبل لأنه إنما يخاف أن يحل به مكروه أو يفوته محبوب ، ولا يكون هذا إلا لشيء يحصل في المستقبل ، فأما ما يكون في الحال موجوداً ، فالخوف لا يتعلق به ... وقد فرض الله سبحانه على العباد أن يخافوه فقال تعالى: [وَخَافُونِ إِن كُنتُمْ مّؤْمِنِينَ] **[سورة: آل عمران ـ الأية: ١٧٥]** [٣]

* حال الرجاء : يقول السُّلمي الرجاء هو : " أن تطمئن النفس وتهدى ، ولا يترك الخوف يتأجج بصاحبه ، ومتى غلب الرجاء تعطل العبد ، وإذا غلب عليه الخوف قنط العبد ، فينبغي أن يعتدل " .[٤]

---

١ ـ المرجع السابق ، صـــ٢٨ .
٢ـ السُّلمي ، مخطوطة سلوك العارفين ، صـ٤٠ .
٣ ـ القشيري ـ الرسالة القشيرية ، جـ١ ، صـــ٣٠٦ ، ٣٠٧ .
٤ ـ السُّلمي ، سلوك العارفين ـ صـ٤٠ .

والرجاء عند السُّلمي إنما هو تعديل وتخفيف من الخوف الموجود عند العبد ، ويرى السُّلمي أن العبد عليه عدم الركون إلى الرجاء أو إلى الخوف ، وفي هذا يريد السُّلمي أن يلتزم العبد بالوسطية بين الخوف والرجاء ، فلا إفراط في الرجاء أو الخوف وأيضاً لا تفريط في الرجاء أو الخوف ، وإنما يأخذ من هذا وذاك كل بمقداره ، لأن العبد إذا غلب عليه الرجاء ، ابتعد عن العبادة وركن إلى رجاءه في الله ، كذلك إذا غلب عليه الخوف ، قنط من رحمة الله ، ولذا رأي السُّلمي أن يعتدل العبد بين الخوف والرجاء فلا يغلب عليه أيهما .

* حال المراقبة : يقول السُّلمي : " على العبد أن يراقب باطنه وما يرد عليه من الأحوال ساعة بعد ساعة ، ويسوس باطنه بالمراقبة ، كما يسوس ظاهره بالمراعاة ، ويرجع في طرد الغفلة والالتجاء إلى ربه ويشاهد في ذلك مراقبة الحق عليه في كل الأحوال فإن الله تعالى يقول : [إِنّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً] **[سورة: النساء - الأية: ١]** [١]

وفي المراقبة يقول حاتم الأصم (ت: ٢٣٧ هـ) : " تعهد في نفسك ثلاثة مواضع ، إذا علمت فاذكر نظر الله إليك ، وإذا تكلمت فاذكر سمع الله إليك ، وإذا سكنت فاذكر علم الله فيك " [٢] والملاحظ هنا أن السُّلمي وحاتم الأصم يرى كل منهما أن المراقبة تكون في الظاهر والباطن ، فعلى العبد أن يراقب الله في أعماله وعليه أيضاً أن يعلم مراقبة الله له فيها فيكون مراقباً لنفسه ، ظاهراًً وباطناً .

ويتشابه قول السُّلمي مع قول السراج في المراقبة ، يقول السراج : " المراقبة تكون لعبد قد علم وتيقن أن الله تعالى مطلع على ما في قلبه وضميره وعالم بذلك ، فهو يراقب الخواطر المذمومة المشغلة للقلب عن ذكر سيده " [٣]

* حال المكاشفة : يقول السُّلمي " المكاشفة عند العراقيين هي أن يكشف له عن المغيبات فيحكم فيها وعليها ، ويكشف له عن أحوال الخلق ، ولا يغيب عنه منهم شيء ، بينما هي عند الخراسانيين أن يكشف له من عيوب النفس وخبايا السر فلا يدخل

١- المرجع السابق ، صـــ٥٠ .
٢ - السُّلمي ، طبقات الصوفية ، صـــ٩٧ .
٣- السراج - اللمع - صــــ٨٢ .

عليـه حـال إلا يعـرف هـو صـحته وسقمه ، ولا يغفـل عـن ظـاهره وباطنـه ، وأنـواع المكاشفة عند السُّلمي كثيرة ، فمنهم ـ أي الصوفية ـ من يكشف لـه عن حالـه ، ومنهم من يكشف له عن مراده ، ومنهم من يكشف له عن عموم الأحوال ، ومنهم من يكشف له عن مراد الحق " (١)

والمكاشفة عند السُّلمي تبدو واضحة في تقسيمه لأنواع المكاشفة حسب درجة معرفة كل واحد ، فمنهم أي الصوفية من يكشف لـه من حالـه هو أي حال نفسه وما يدور فيها ، ومنهم من يكشف له عن حاله وحال غيره أو عموم الأحوال ، ومنهم من يكشف له عن مراد الحق وهو أعلى الدرجات أو العلم اللدني ، والسُّلمي في هذا التقسيم يبدو متعمقاً في دراسة النفس وعلاقتها بالله ، حيث يظهر هذا في تقسيمه لأنواع المكاشفة التي تظهر للعبد حسب درجة قربه أو بعده من خالقه ، ويمكن أن نضع كلمات بدلاً من كلمات السُّلمي في المكاشفة وهي أن هناك ثلاثة أنواع من المكاشفة هي مكاشفة العوام والخواص وخواص الخواص. فمكاشفة العوام : هي علم العبد بدرجته ، ومكاشفة الخواص : هي علم العبد بدرجة الآخرين ومقامهم ، وأما مكاشفة خواص الخواص فهي درجة عالية لا يصل إليها المصطفين .

* حال المشاهدة يقول السُّلمي : " هو بأن يشهد الغيوب ، وما يجري فيها ، ويشاهد فعل الله تعالى به وفعله في الخلق ، وأهل المشاهدة متباينون في مقاماتهم على حسب تباين أهل المكاشفة . (٢)

والمشاهدة والمكاشفة عند السُّلمي مرتبطين ، فكل منهم رؤية للغيب واطلاع على حال الخلق ، فيبدو أنهم حال واحد بمسميات مختلفة عند السلمي، ويظهر هذا عند تقسيمه لأنواع المشاهدة فقد جعلها مثل أنواع المكاشفة وربما يكون هذا دليل على أنهم مسميات مختلفة لشيء واحد أو كما يقال وجهين لعملة واحدة ، وهي القرب من الله والوصول إليه ، وإلى درجة عالية منه .

١ـ السُّلمي ، مخطوطة سلوك العارفين ، صـــ٥٠ ، ٥١ .
٢ـ نفس المرجع صـــ٥١ .

والسراج هو الآخر يجعل حال المكاشفة والمشاهدة ، حالاً واحد وقد سماه حال اليقين ، ويقسم هو الآخر المكاشفة إلى ثلاثة أوجه ، وهي : مكاشفة العيان بالأبصار يوم القيامة، ومكاشفة القلوب بحقائق الإيمان بمباشرة اليقين بلا كيف ولا حد ، والحالة الثالثة بمكاشفة الآيات بإظهار القدرة للأنبياء عليهم السلام ولغيرهم بالكرامات والإجابات .

ويرى السراج أن اليقين ـ حال المكاشفة ـ هو أصل جميع الأحوال وإليه تنتهي جميع الأحوال وهو آخر الأحوال وباطن جميع الأحوال . (١)

وبذلك يبدو أن المكاشفة والمشاهدة عند السُّلمي والسراج متشابه ومتقاربة حيث أنها عند كل منهم مشاهدة للغيوب ، إلا أن السراج جعل المشاهدة أو الكاشفة آخر الأحوال بينما جعل السُّلمي الجمع والتفرقة آخر الأحوال وهذا كما يتضح فيما يلي :

* آخر الأحوال عند السُّلمي هو حال الجمع والتفرقة : ويرى السُّلمي أنه عند العراقيين ، أن يجمعه الله إليه بعد افتراقه فقالوا التفرقة لسان العلم ، والجمع لسان الحقيقة واجمعوا أنه لا يحل لأحد أن يخبر عن لسان الجمع إلا بعد فنائه عن كل حظ وفناء كل حظ عنه . وبلوغهم إلى محل الأمن ـ هؤلاء عند السُّلمي ـ أهل الإشراق المأذون لهم في الإخبار عن أسرار الحق لعلمه بأمانتهم وأنهم لا يخبرون به إلا من كان أهلاً له على قدر أحوالهم وأوقاتهم وهم أهل الفراسات الصادقة ، وهم خواص الأولياء العالمين بالمقادير والعارفين بالمراتب . (٢)

وحال الجميع والتفرقة عند السُّلمي هو آخر المطاف ، وغاية المنتهى ، ويصل فيه العبد إلى أن يكون عبداً ربانياً يقول للشيء كن فيكون ، ولا يصل إلى هذا الحال إلا من يفني عن الكل ويبتعد عن الجميع ، ويقبل على الله ويتفرد به ويتحصن به ، فيكون مراده هو مراد الله ، وفعله ما أمر به الله ، ولا يصل إلى هذا الحال إلا خواص

١ـ السراج ـ اللمع ، صـ١٠٢، ١٠٣ .
٢ـ السُّلمي ، سلوك العارفين ، صـ٥٣ .

الخواص ، وهم العارفون الصادقون ، فلا يصل إلى هذا الحال إلا من بلغ الطريق منتهاه.

يقول . أبو علي الدقاق (ت : ٤١٢ هـ) عن الجمع والتفرقة " الفرق : ما نسب إليك ، والجمع ما سلب عنك " ويفسر القشيري هذا القول قائلاً : " ومعناه أن ما يكون كسباً للعبد من إقامة العبودية ، وما يليق بأحوال البشر فهو فرق " ويزيد القشيري قائلاً : " إثبات الخلق من باب التفرقة ، وإثبات الحق من نعت الجمع ، ولابد للعبد من الجمع والتفرقة ، فإن من لا تفرقة له لا عبودية له ، ومن لا جمع له لا معرفة له ، فقوله: " إياك نعبد " إشارة إلى التفرقة ، وقوله " إياك نستعين " إشارة إلى الجمع ، وإذا ما خاطب العبد الحق سبحانه بلسان نجوى ، إما سائلاً أو داعياً أو مثنياً أو شاكراً أو متصلاً ، أو مبتهلاً قام في محل التفرقة ، وإذا أصغى بسره إلى ما يناجيه به مولاه واستمع بقلبه ما يخاطب به فيما ناداه أو ناجاه أو عرفه أو لوح لقلبه وأراده فهو يشاهد الجمع " [1]

من خلال حديث السُّلمي عند الجمع والتفرقة وحديث القشيري يتبين مدى التشابه بينهما ، فقد جعل كل منهما الجمع هو نفي الأكوان وإثبات الواحد القهار ، يعني أنه لا يوجد سوى الله ولا موجود على الحقيقة سواه ، وأيضاً الجمع الاتصال بالله والاطمئنان بقربه ، أما التفرقة فهي معرفة وجود الغير ، مع معرفة أن هذا الغير سواء كان دعاء أو كلام أو موجود مخالف له سبحانه وتعالى وبعيد عنه وهذه هي التفرقة .

وعند انتهاء السُّلمي عن مقاماته وأحواله يتبين أنه كغيره من الصوفية تحدث عما يحدث لهم من أحوال ومقامات وأحوال السُّلمي ومقاماته أيضاً كغيره من الصوفية كان الغرض الأول والأخير منها التقرب إلى الله وتنزيهه سبحانه عما سواه ، وإثبات وحدانية وإخلاص العبادة له سبحانه ، وبهذا نصل إلى نتيجة هامة ، وهي أن أحوال السُّلمي ومقاماته لم تخرج عن الإسلام ولم يدخل بها أي عنصر غريب عن

١ـ القشيري ـ الرسالة القشيرية ـ جـ١ ـ صـ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

الإسلام من أي ثقافة أجنبية ، فجميع أحواله ومقاماته ، تعتمد على الكتاب والسنة ، ولم نتلمس بها أي نوع من الاتحاد أو الحلول أو الفناء أو الأفكار البعيدة عن الشرع.

٣ ـ موقف السُّلمي من شطحات الصوفية :

تشير المصادر والمراجع ، إلى أن الصوفية والتصوف نالهم الكثير من النقد ، من قبل الفقهاء والمتكلمين وعلماء الأمة ، ولم يكن من المعتاد أن ينتقد الصوفية أنفسهم حتى ظهر من بينهم من يقوم بنقدهم ويعترض على أفعالهم ، ويؤلف في هذا كتباً ورسائل ، مثل أبو نصر السراج الطوسي (ت: ٣٧٨ هـ) في كتابه " اللمع " ومن بعده السُّلمي في رسالة " غلطات الصوفية " ، والإمام الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) في كتابه " المنقذ من الضلال " وأبو حفص السهروردي (ت: ٦٢٣هـ) في كتاب " عوارف المعارف " وغيرهم .

ولقد كان للصوفية المتأخرين لغة خاصة بهم استقلوا بها في الإفصاح عن آرائهم وأغراضهم ، ولكن هذه اللغة ما لبثت إن شاكت المسلمين وروّعت الفقهاء وجعلتهم يحتاطون من المتصوفة ويعتزلون مجالسهم ، فلما رأوا ذلك أعلنوا أن لهم حالتين مختلفتين ، حالة الصحو ، وحالة الغيبوبة أو الغيبة ، فأما الأولى فهم ينطقون فيها الشريعة ، وأما الثانية ، فهم يعبرون فيها عن الحقيقة .[1] وهذه اللغة كانت من أكبر الأسباب التي وجهت للصوفية النقد .

وقد عبر الفقهاء عن الألفاظ الموهمة الظاهر التي صدرت عن كثير من أئمة القوم بالشطحات ، وهي ألفاظ يؤاخذ بها أهل الشرع ، لهذا يقول ابن خلدون (ت: ٨٠٨ هـ) " أن الإنصاف في شأن القوم أنهم أهل غيبة عن الحسب والواردات تملكهم حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدون ، وصاحب الغيبة غير مخاطب ، والمجبور

---

١ ـ د. محمد غلاب ، التنسك الإسلامي نشوءه وتطوره ومذاهبه ورجاله ، صـــ٤٥ لجنة التعريف بالإسلام ، ١٩٧٠ .

معذور ، وأن العبارة عن المواجيد صعبة لفقدان الوضع لها ، وأما من تكلم بمثلها وهو حاضر في حسه ولم يملكه الحال فمؤاخذ ، فهذه لا يمكن التكلم بها في حضور " [١]

يبدو أن الأمر في الحكم على لغة الصوفي – الشطح - صعب بالأخص في وجود حالتين للصوفية ، وهما الصحو والغيبة ، لأن الشخص العادي أو الدارس المتعمق للتصوف ، لا يستطيع أن يحكم على الصوفي هل هو في حالة صحو أم غيبة ؟ ولا يستطيع أحد أن يحكم على الكلمات التي ينطق بها الصوفي في هذه الحالة غير صوفي مثله في نفس درجته وحاله أو الصوفي نفسه ، لهذا يقول السُّلمي مرشدا لنا للتعرف على ادعائهم أو صدقهم بقوله " ينبغي على العاقل في زمننا هذا أن يعرف شيئاً من أصول الصوفية وطريقة أهل الصدق منهم حتى يميز بين المتشبهين بهم ، والمتلبسين لباسهم ، فالذي يدعي هذا المذهب ويعطل الجوارح من العبودية والخدمة والطاعة ، يعطل القلب من الذكر والإرادة ومعرفة الواردات ، وإخلاص النية ، ولا يؤدي حقه ولا يعرفه ، وهو يدعي ما ليس له ليقربه ذلك من الناس ويعلمه حرفة يأكل بها ، فإذا بدت له الحقائق من الفقر والفاقة والذل والخدمة والمكروهات وطولب بالمجاهدات ، في فر وذهب وخسر وافتضح ، وصار تبرك هذه الأوصاف خارجا عن دعواه ، وهو متصنع بلبس المرقعات والتصنعات بلا خشية ، ولا مراقبة ، ولا ورع ولا مجاهدة ، ولا ذكر ، فإنه إنما يسخر ويخسر نفسه فالتصوف يلعنه والدعاوى تحجبه ، والشيطان يقربه والملائكة تبعده ، والله عز وجل يمقته وأهل التصوف خصماؤه ... فمن لم يكن للعلم مستعملاً ، وفي الإرادة مبادراً ، وفي الوجد سابقاً وفي المعرفة محققاً ، وأدعى التصوف كان مرتهناً بدعواه متبعاً لهواه محجوباً عن معناه " [٢]

من هذه العبارة نستطيع أن نبين أن السُّلمي كان ملماً بدقائق أمور الصوفية صغيرها وكبيرها ، ظاهرها وباطنها ، فهو بحق زاهد عالم بمقاماتهم ودرجاتهم ، وهو في هذه العبارة يبين الصوفي الحقيقي ممن هو دعي أو يدعي التصوف ، والصوفي

١ـ ابن خلدون ، المقدمة ، صـــ٤٧٤ .
٢ـ السُّلمي ، المقدمة في التصوف ، صـــ٧٣ ، ٧٤ .

الحقيقي من وجهة نظره ، هو من يتحمل ويصبر على البلاء والمكروهات ، أما الدعي يهرب من البلاء ولا يصبر عليه ، وهو يريد أن يكون بين أقرانه ظاهراً يشار إليه بالبنان ، فهو يريد التصوف ليتعلم منه حرفة يأكل منها ، لا يريد منه عبادة الله وتوحيده ، ولهذا يرى السُّلمي أن الدعي يهتم بظاهره أكثر من اهتمامه بباطنه بل هو لا يهتم بباطنه .

والسؤال الذي يطرح نفسه في أي شيء أو أمر انتقد السُّلمي الصوفية ؟ وهل هذه الأمور كانت تستحق النقد أم لا ؟

وقبل أن نجيب على هذه الأسئلة يجب أن نوضح معنى كلمة شطح وماهيتها عند السُّلمي وغيره من الصوفية ، حتى تتضح نقاط النقد التي وجهها السُّلمي للصوفية أو الأخطاء التي وقع فيها الصوفية .

لقد عرف السُّلمي الشطح قائلاً : أنه عبارة عن : " وصف ما يبدو في القلب من الأنوار والفضائل ، والشطح في لغة العرب هو الحركة يقال شطح يشطح إذا تحرك ، ويقال للبيت الذي تحرك فيه الدقيق ـ عند نخله ـ مشطاح ، ... ، فصح أن الشطح لفظ مأخوذ من الحركة لأنها حركة أسرار الواجدين ، إذا قوي وجدهم فيعبرون عن ذلك بعبارة يستغربها السامع فمنكر عليهم ، ومفتوناً بهم هالك ، يقال شطح الماء في النهر إذا علا الماء حتى يفيض من حافتيه ، كذلك المريد الواجد إذا قوي وجده ، ولم يطق حمل ما يرد على قلبه من أنوار الحقائق ، شطح بذلك على لسانه فيبرزه بعبارة مستغربة مشكلة على الفهوم الجاهلة به ، لا على فهوم أربابه فسمي بهذا الاصطلاح شطحاً ، والأسلم لمن لم يعرف مراميهم ومقاصدهم ومواردهم ترك الإنكار عليهم ويكل أمورهم إلى الله عز وجل ويرجع بالغلط على نفسه ، فإنه أسلم وأحسن في باب الرعاية والفتوة والحرية " [١]

١ ـ السُّلمي ، رسالة غلطات الصوفية ، ضمن كتاب أصول الملامتية وغلطات الصوفية ، تقديم وتحقيق د . عبد الفتاح الفاوي ، صـــ١٩٧ ، مطبعة الإرشاد ، صــــ١٩٨٥ .

يبدو أن السُّلمي لم يكن رافضاً الشطح رفضاً نهائياً ، وإنما رفض من غالى فيه ، فنجده يقول : يجب علينا أن نترك الإنكار على رجال الشطح ما دمنا لم نعرف مقاصدهم ومراميهم ، كما أن السُّلمي يرى أن الشطح يأتي من زيادة الوجد حتى الفيضان ، والوجد هو كثرة الموارد على القلب وشدة درجة قرب العبد من الله .

والشطح ليس موجوداً عند من تفوه به من الصوفية فحسب بل عند الصوفية جميعهم غير أن البعض جهر والبعض كتم ، والمعنى الذي من أجله كتم البعض هو الذي من أجله لاموا بسببه أهل الجهر منهم ، وهنا يكون الصوفي داخل دائرة الشطح . فالصوفية لهم ظاهر وباطن ، وربما أكثر من ذلك ، لذلك يقول التستري (ت:٢٨٣هـ) " للعالم ثلاثة علوم ، علم ظاهر يبذله لأهل الظاهر ، وعلم بطن لا يظهره إلا لأهله ، وعلم هو بينه وبين الله تعالى لا يظهره لأحد" . [١]

ويرى الصوفية أن الشطح عباراته تظهر عن ضعف الحال وإن الذين كتموا أقوى حالاً من الذين باحوا ، وإن من باح بها منهم لم يكن في حالة طيبة عند صدورها منه ومن ثم عذرهم من عذرهم ، وفي هذا يقول أبو طالب المكي " أن هؤلاء الشاطحين رفعوا الحشمة بينهم وبين الله وزالت الوحشة بينهم وبينه ، فهم يتكلمون بأشياء هي عند العامة كفر بالله تعالى ، مع أن الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين مع قربهم من ربهم ما زالت الحشمة أبدا عنهم ولا زالت وحشتهم ، وما نطقوا بما نطق به هؤلاء ، وما كتموا ما كتمه هؤلاء " [٢] يبدو أن الأمر شائك لأن الحكم على الشطح صعب فإن قلنا أن الشاطحين خارجين عن الدين وأن كلامهم ادعاء وكذب ، قد يكون الأمر غير ما قلنا فنكون خاطئين أو نكون صادقين ، لكن الأمر الفصل في هذا الموضوع هو البحث ومعرفة ثغرات الصوفية حتى تستطيع أن نحكم على كلامهم في صحوتهم وغيبتهم . فقد سئل السُّلمي عن بعض اختلافات الصوفية في أقوالهم المستغربة مثل قول إبراهيم الخواص (ت : ١٩١ هـ)

١ـ د . عبد الرحمن بدوي ، شطحات الصوفية ، أبو يزيد البسطامي " جـ١، صــ٣ ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٩ .

٢ـ د . عبد الفتاح أحمد الفاوي ، التصوف عقيدة وسلوك ، صـــ١٥٩ ، ١٦٦ ، مكتبة الزهراء ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، دار الكتب المصرية القاهرة .

لقد وضح الطريق إليك قصداً ** فما خلقا أرادك يستدل

وهذا قول يشير إلى ظهور كأنه من المرئيات الموجودة ، وقول آخر يشير إلى خفاء كأنه من خفاء معدوم كقول الشبلي (ت: ٣٣٤ هـ) :

لا كنت أن كنت أدري كيف الطريق إليك

أفنيتني عن جميعي فصرت أبكي عليك

فإن كان الأمر هكذا فما محصول القولين في الحالتين مما لا يجوز فيه الاختلاف لأن المشار إليه يختلف .

فأجاب السُّلمي : أن كلا الرجلين تكلما في حقيقة ، فأما إبراهيم الخواص رضي الله عنه فلم يشر إلى مرئي ولا موجود وإنما أشار إلى وضوح الطريق والطريق واضح والأعلام نيره ، وقوله فما خلقا أرادك يستدل لعله أنه لا يصل إليه أحد بالدليل ، والاستدلال إنما يصل به لا غيره ، أما قول الشبلي ، فإنه أشار إلى خفاء الطريق ... والشبلي أخبر عن فناء أفناه وأذهله عن الطريق فلم يكن فيه فصل من مشاهدة الأخبار عن كيفية الطريق وما اختلفت الإشارات إلا من المشير ، وما أحق فلا اختلاف فيه ، ولا في صفاته والله أعلم "[1] وهذا القول يبين مدى دقة فهم السُّلمي لأقوال وعبارات الصوفية ، ويبين مدى وصول السُّلمي إلى مقام رفيع في التصوف ، حتى يستطيع أن يميز بين نوعين من الطريق وهما :

طريق واضح ظاهر وطريق آخر خفي مستتر ، ولكل سالك طريقه الذي يبغيه ، ولكن النهاية واحدة لا اختلاف فيها ، والغاية واحدة وهي الوصول إلى الحضرة الإلهية ، وهذه الأقوال ليست بها شطح وأن وجد بها فهو محمود أي ليست به أي كلمات أو ألفاظ خارجه عن الإسلام .

١ ـ السُّلمي مخطوطة مسائل وردت من مكة ، ورقة ٣١٦ ، تحت رقم ٦٦١ ، مجاميع طلعت دار الكتب المصرية القاهرة .

والآن نوضح الشطح المذموم الذي قام السُّلمي بنقده والاعتراض عليه ، ويظهر هذا من خلال تقسيم السُّلمي للغالطين من الصوفية في أمور تتعلق بالعقيدة والدين ، وقد سبق أبو نصر السراج السُّلمي بنقد للصوفية وقد جعل الغالطين من الصوفية أقساماً وسار السُّلمي على منوال أستاذه في هذا التقسيم ، إلا أن السُّلمي لم يشير في رسالته أنه اتبع السراج في هذا التقسيم ، والآن لنري هذا التقسيم عند السُّلمي :

ـ يقول السُّلمي : " طبقة غلطت في الأصول ، لقلة إحكامهم أصول الشرع ، وضعف فهمهم وإخلاصهم ، كما قال الجنيد : " إنما منعوا الوصول لتضييع الأصول " .

ـ وطبقة غلطت في الفروع ، من الآداب والأخلاق والمقامات ، لقلة معرفتهم بالأصول واتباعهم حظوظ النفس والدنيا ، ولم يتأدبوا بمن يروضهم ويجرعهم المرارات ويدلهم على المنهاج ، ويعرفهم بالنفس وعيوبها ، فتسقط منهم حظوظها ، مثل من يدخل بيتاً مظلماً بغير سراج ، أن يطلب فيه شيء ، فيفسد في تلك الظلمة أكثر مما يصلح .

ـ وطبقة غلطة زلة أو هفوة فإذا بين لهم ذلك عادوا إلى سبيل الرشد ومكارم الأخلاق ومعالي الأحوال وقبول النصح وترك العناد ". (١)

أما عن الأغلاط في الأصول : فيذكر منها

١ ـ الغلط في اسم الحرية والعبودية ، توهمت هذه الطبقة أن الحرية أتم من العبودية ولم يعلموا أن اسم الحرية إنما أطلقه من أطلقه بقولين : الأول : ألا يكون العبد على الحقيقية عبداً حتى يكون عما سوى الله حراً ، وهذا القول صحيح ، وقول آخر : أن العبد بينه وبين الله بعدا باسمه عبداً ، فإذا صار حراً ، وسقطت عنه العبودية قرب منه ، وهذا غلط كبير فإن اسم العبودية أتم لأن الله تعالى سمي أولياءه عباده في قوله تعالى: [وَعِبَادُ الرّحْمَـنِ الّذِينَ يَمْشُونَ عَلَىَ الأرْضِ هَوْناً] **[سورة: الفرقان ـ الأية: ٦٣]** ، وسمي ملائكته عباده في قوله: [عِبَادٌ مّكْرَمُونَ] **[سورة: الأنبياء ـ الأية:**

١ـ السُّلمي ، رسالة غلطات الصوفية ـ صـ١٧٦ ، ١٧٧ .

٢٦] " ، وسـمي أنبياءه عبادة في قولـه: [وَاذْكُـرْ عِبَادَنَـآ] [سـورة: ص ـ الأية: ٤٥]، وقدم النبي ρ العبودية على النبوة في التشهد ". [١]

وهذه الطائفة تستحق النقد لأن الله تعالى يقول : [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنّ وَالإِنسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ] [سورة: الذاريات ـ الأية: ٥٦] فالعبادة هي أفضل ما سمي به بني آدم ، ولو وجد الله عز وجل كلمة أشرف من كلمة عبد لسمي بها الرسول ρ في التشهد ، بل وجعل العبودية قبل الرسالة.

٢ ـ طبقة غلطت في الإخلاص ، فقالت الإخلاص " هو أن يخرج العبد عن رؤية الخلق ولا يوافقهم في جميع ما يريد أن يعمله حقاً كان أو باطلاً ، وقد ضلت هذه الفرقة لأن طائفة من مشايخ القوم سُئلوا عن الإخلاص فقالوا لا يصفوا لأحد الإخلاص حتى لا يبقى عليه شيء من رؤية الخلق والكون فغلطت هذه الفرقة ، وتوهمت أن ذلك يصح بالدعاوي وترك الأدب والتقليد ، فتركوا الأدب وتجاوزوا الحد وغلبتهم النفوس والهوى ، ولم يعلموا أن العبد المطلوب بالإخلاص ، هو المهذب المؤدب الذي أجتنب السيئات وأقبل على الطاعات ، ونازل الأحوال والمقامات حتى أداه ذلك إلى صفاء الإخلاص فأما من ضيع البدايات كيف يصل إلى حقائق الدعايات". [٢]

وهنا يرى السُّلمي أن الإخلاص يأتي بالأدب مع الله ، والبعد عن المعاصي ، والإقبال على الطاعات ، والتوحيد هو الإخلاص ، وهو أفراد الحق بالطاعة والعبادة ولا يقصد العبد من أي عمل يعمله سوى وجه الله ، فلا يطلب من عمله طلب مع الخلق والإخلاص خلو القلب من الخلق وامتلاؤه بالخالق .

٣ ـ وطبقة غلطت في النبوة والولاية ، وزعمت أن الولاية أعلى وأتم من النبوة ، وذلك لأنهم نظروا إلى قصة موسى والخضر ، فتوهمت هذه الطائفة أن حال الولاية أفضل من حال النبوة ، لرجوع موسى عليه السلام إليه ، ولم يعلموا أن الله تعالى

١ـ السُّلمي ، غلطات الصوفية ، صـ١٨٤ ، ١٨٥ ، راجع السراج ، اللمع ، صـ٥٣١
٢ـ المرجع السابق صـ١٨٥ ، كذلك " اللمع " ، صـ٥٣٣ .

يختص برحمته من يشاء ، خص الأنبياء بالمعجزات على الدوام ثم خص مريم بقولـه تعالى: [وَهُزِّيَ إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ] **[سورة: مريم - الأية: ٢٥]** ولم يكن هذا لأحد من الأنبياء ولم تكن نبية ، وآصف بن برحيا كان عنده علم من الكتاب وأتى بعرش بلقيس قبل أن يرتد إليه طرفه ، ولم يكن نبياً ، ولا يدل أنه أفضل من النبي سليمان بهذا ، وذكروا أن الأنبياء يوحى إليهم بواسطة الأولياء ، يتلقون علمهم عن الحق سبحانه، وذلك غلط لأن الأنبياء عليهم السلام لهم رسالة بالواسطة والتلقف معاً وأنها بعيدة عن الاغترارات وقعت في أحوال الأولياء ، لا في أحوال الأنبياء. (١)

والولاية والنبوية ، هما درجتان مختلفتان من درجات عباد الله ، فالولي موجود بين الناس لا يتميز عنهم بلباس أو بكلام، وتمت الولاية للأولياء بعملهم وعبادتهم فأصبحوا متقربين من الله ، مستجابي الدعوة ، يأتي علمهم من لدن الله ، أما النبوة أو النبي فإنه عبد اصطفاه ربه ووهبه رسالته لعلمه بطهارة سريرته ونقاء باطنه عن قومه ، وتأتي النبوة بالهبة أما الولاية فكسبية تأتي بالعمل ، فيمكن أن يصل أي إنسان إلى درجة الولاية بعمله المخلص لله وعبادته له ، أما النبوة فلا تأتي إلا هبة وعطاء من الله ولا تأتي بالعمل والعبادة ، كما أن النبي يتميز بأنه معصوم أما الولي فهو غير معصوم ، ولو علم الله أن الولي أعلى منزلة من النبي لكان أحق بالعصمة من النبي ، قال تعالى: [اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ] **[سورة: الحج - الأية: ٧٥]** والولاية ليست أعلى من النبوة درجة وهذا ما قال به السُّلمي وانتقد الصوفية فيه ، والولي ليس أفضل من النبي ، فالنبي متبوع والولي تابع ، والنبي واصل إلى الله ، أما الولي فهو مسافر في الطريق إلى الله والواصل نهاية الطريق أفضل من السالك فيه ، وعلى هذا فإن من فضّل الولاية على النبوة يستحق النقد والازدراء كما رأي السُّلمي .

١- المرجع السابق صـــــــــ١٨٦ ، ١٨٨ ، كذلك راجع " اللمع " صـــــ٥٣٧ .

٤ ـ يقول السُّلمي " وطبقة غلطت في الإباحة ، وزعمت أن الأشياء في الأصل مباحة ، وإنما وقع الحظر للتعدي فما لم يقع تعد فالأشياء على أصلها ـ مباحة ـ فطمعت نفوسهم بأن المحظور على المسلمين مباح لهم ، ما لم يتعدوا في تناوله ، والسبب في هذا أنهم سمعوا من بعض المتقدمين من إخوانهم مشاركتهم بعضهم البعض في المال والطعام ، وليس من يدعي أن أصل الأشياء على الإباحة بأولى ممن يدعي أنها على الحظر فيمتنع من ذلك كله " [١] ، ويتبين هنا أن السُّلمي يريد الوسطية في العبادة التي ناشدها الإسلام ، فلا إباحة كاملة ولا حظر كامل ، وإنما ننصاع للشرع في أوامره ونواهيه ، ويظهر ذلك مدى تمسك السُّلمي بتعاليم الكتاب والسنة.

٥ ـ وطبقة تكلمت في الحلول [٢]،" فقالت: أن الله اصطفى أجساماً حل فيها بمعنى الربوبية ، فأزال عنها معاني البرية فمن قال به أو تحقق فيه أو ظن أن التوحيد بدا له بما أشار من هذه المقالة فهو كافر حقاً ، وإنما أخطأت الحلولية أن صح عندهم مقالتهم لأنهم لم يميزوا بين القدرة التي هي صفة القادر وبين الشواهد التي دلت على قدرة القادر ، فمنهم من قال أنه حال في المستحسنات وغير المستحسنات ومنهم من قال أنه حال في المستحسنات فقط ، ومنهم من يقول هذا على الدوام ، ومنهم من يقول وقتاً دون وقت وكل هذا كفر وأفك وضلال . [٣]

ثم يضيف السُّلمي قائلاً :" ما قال بالحلول أحد من أئمة القوم ومشايخهم ومن يرجع منهم إلى دين ، وإنما أطلق هذا القول قوم من الشام ، وليس لهم في التصوف قدم ، ولا لهم مع مشايخهم ذكر " . [٤]

١ـ المرجع السابق ، صـ١٨٨ ، ١٨٩ ، راجع اللمع " صـ٥٣٨ .
٢ـ الحلول لا يكون إلا بين الأشياء المتجانسة ، والله تعالى بائن عن الأشياء .. الأشياء بائنة عنه بصفاتها ، وما ظهر في الأشياء إنما هو آثار خلقه وصنعته وهذا دليل ربوبيته ، لأن المصنوع يدل على صانعه، ومن الاستحالة أن يحل المصنوع في الصانع أو العكس .
٣ـ السُّلمي غلطات الصوفية ، صـ١٨٩،١٩٠ ، راجع كذلك السراج ، اللمع ، صـ٥٤١ ، ٥٤٢ .
٤ـ المرجع السابق صـ١٩٨ .

وهذا يؤكد رفض السُّلمي للحلول رفضاً قاطعاً ، والدليل على ذلك تكفيره للقائلين بالحلول وجعل من قال به لا دين له ، وفي هذا يوافق السُّلمي قول السراج في الحلول وقول الجنيد الذي يقول " اعلموا رحمكم الله تعالى أن الحق سبحانه لا يوصف بالحلول في الأمكنة ، ولا ينعت بمرور الأزمنة ، كان الحق ولا شيء موجود ، فكيف يصير بحالة كان في الأزل عنها غنياً جل تعالى أن يوصف بشيء من هذه العلل " ويوافق السُّلمي أيضاً قول ابن عطاء (ت: ٣٠٩ هـ) في الحلول حيث يصف الحلول بالاستحالة " لأنه يستحيل أن يشكل القديم المحدث ، أو يساويه أو يقترن به ، لأن الحلول لا يكون إلا بين الأشكال وثبت أن الحق سبحانه وتعالى ألزم في كتابة وصف العبودية للخلق أجمع قائلاً: [إِن كُلّ مَن فِي السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ إِلاّ آتِي الرّحْمَنِ عَبْداً] [سورة: مريم - الآية: ٩٣] فكيف يكون إذاً أو يجوز أن يحل فيما ألزمه وصف النقص وهو العبودية أن يكون مستعبداً معبوداً ".[١]

وهنا نلاحظ مدى التقارب الشديد بين الجنيد وأبن عطاء والسراج والسُّلمي في رفضهم للحلول ووصفهم له بالاستحالة ، حيث أن الله قديم أذلي والكون حادث فاني ، فكيف يكون هناك تشابه أو حلول بينهم ، والقائل بالحلول ليس لديه القدرة على التمييز بين الصنعة والصانع ، حيث يرى أن الصنعة يمكن أن تكون هي الصانع بل هي الصانع ، يبدو أن الأمر اختلط عليه ، واختلط عند القائل بالحلول الحابل بالنابل ، فضاعت عقولهم وفقدوا دينهم ، فالحلول أمر غير معقول ، ولم يقل به دين أو أشار إليه رسول . وبهذا يستحق قائله ما وصمه به السُّلمي بأنه لا دين له .

٦ ـ وطبقة غلطت في الجمع والتفرقة " فلم يضيفوا إلى الخلق ما أضاف الله إليهم ، ولم يصفوا أنفسهم بالحركة وظنوا أن ذلك احتراز حتى لا يكون مع الله شيء سواه فأداهم ذلك إلى الخروج عن الملة وترك الحدود وخرق الشريعة ، وهذا لقلة معرفتهم بالأصول والفروع فلم يفرقوا بينهما- الجمع والتفرقة - وأضافوا إلى

١ـ المرجع السابق ، صـــــ١٩٨ ، ١٩٩ .

الأصل ما هو مضاف إلى الفرع ، وأضافوا إلى الجمع ما هو مضاف إلى التفرقة ، ولم يحسنوا أن يضعوا الأشياء مواضعها ، ولا يتكلم في حقيقة الجمع والتفرقة إلا صديق أو زنديق ، فأما الصديق فيرجع إلى الله تعالى في كل شيء بعد معرفة ما يحتاج من الأصول والفروع والحقوق والحظوظ ومنزلة الفرق بين الحق والباطل ومتابعة الأمر والنهي ، ويقوم بشروط الأدب على حدود الاستقامة ، والزنديق لا ينزجر عن شيء من ركوب المعاصي لأن جهله وخسرانه أداه إلى إضافة أفعاله كلها إلى الله حتى أزال بزعمه عنه اللائمة في ركوب المآثم بالتأويل الباطل ".[١]

والجمع والتفرقة هما التمييز بين الخالق والمخلوق ، فلا يجوز للمخلوق إضافة أفعاله إلى الخالق لأن الخالق متعالي عن ذلك ، ومن خلال هذا القول يتضح رفض السُّلمي القول بأن الأفعال كلها مضافة إلى الله ، لأن هذا ـ من وجهة نظر السُّلمي ـ يدعو إلى ارتكاب المعاصي ، أما من يعلم أنه محاسب عن أفعاله التي قام بها فإنه ينتهي عما نهى الله عنه ويفعل ما أمر الله به ، و بذلك يكون الجمع هو المضاف إلى الله والتفرقة المضاف إلى الخلق و يجب إثبات الجمع والتفرقة معاً ولا يجوز ذكر أحدهم بدون الأخرى.

٧ ـ وطائفة غلطت في القرب والانبساط " فتوهمت أن بينهم وبين الله حالة من القرب والدنو فاحتشمهم عند ذلك الرجوع إلى الآداب التي كانوا عليها ، فانبسطوا إلى ما كانوا عليه محتشمين وتوهموا أن ذلك من قربهم ودنوهم ، وغلطوا لأن الآداب والأحكام خلع من الله على عبيده فمن زاد عليها حرصاً ولها حفظاً فهو من الله سبحانه وتعالى في عين الرعاية والقرب ، ومن زال عنه شيء من ذلك بما يظنه قرب إلى الحق فهو بعد منه" .[٢]

يبين السُّلمي أن من يعتقد أنه وصل إلى نهاية المطاف واقترب من غايته بل وصل لها بأحواله وآدابه ، فإن دعاه ذلك إلى ترك هذه الأحوال وتلك الآداب ، فبدأ

١ـ المرجع السابق ، صـــــ١٩١ ، ١٩٢ .
٢ـ نفس المرجع صــــ١٩٢ .

في البعد عنها والنقصان منها ، إنما هو في خسارة وبعد من عين الرعاية والقرب ، وهذا القول يوحي بأن السُّلمي يريد أن يستمر الإنساني في عبادته مهما اقترب أو وصل إلى مقامات عالية وأحوال مرضية ، فعليه زيادة في العبادة ، لا ركون إلى دعاوى . وهذا بطبيعة الحال ما وهى به الرسول ρ ، فقد كان النبي ρ يستغفر الله في اليوم مائة مرة وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

٨ ـ وطبقة غلطت في فناء البشرية : " فتركوا الطعام والشراب وتوهموا أن البشرية والبدن إذا ضعفت زالت بشريتها ، وزعمت أنه يجوز أن يجوز أن يكون العبد موصوفاً بالصفات الإلهية ، وغلطهم ناشئ من كونهم لم يستطيعوا التفريق بين البشرية وبين أخلاق البشرية ، إذ البشرية لا تزول عن البشر ، بينما أخلاق البشرية تتبدل وتتغير" ، ولهذا يقول السُّلمي: " إنما الذي ذكر القوم فناء صفات البشرية وذلك أن سلطان أنوار الحق إذا بدا على البشرية أزال من الصفات رعونتها مثل رؤية الأعمال واستحسان الطاعات ، والرجوع من الجهل إلى العلم إلى الذكر " (١)

وهذه الطبقة تستحق النقد لأن البشرية لا تزول عن البشر مهما فعلوا ، سواء امتنعوا عن الأكل والشرب أو قتلوا أنفسهم لن تزول بشريتهم ، ولكن ما يمكن إزالته وتبديله هو أخلاق البشرية تبدل من القبيح إلى الحسن ، كما أن الإنسان مهما بلغ فلن يكون إلها بتجرده من البشرية ، فهذا القول بعيد عن الدين ، وكأنه نوع من اللاعقلانيات في الميتافيزيقا .

٩ ـ وطبقة ادعوا أنهم يرون الله تعالى بالقلوب في دار الدنيا كما يرونه في الآخرة وهذا لأنهم كثرت مجاهداتهم وسهرهم وجوعهم وخلوتهم وتفكرهم ، فأصابهم الإعجاب فاصطادهم الشيطان وزين لهم ذلك فادعوا ما ليس لهم ، وإنما أصابهم

١ـ المرجع السابق ، صـــ١٩٠ ، راجع السراج " اللمع " صـ٥٤٣ .

إبليس بذلك لأنهم لم يقفوا إلى شيخ ذي علم ومعرفة بمكايد الشيطان فيبين لهم طريق خطئهم ويردهم إلى الصواب .[١]

وهذه الطبقة تستحق اللوم والنقد بل وأرى جنوحها عن الكتاب والسنة لقوله تعالى: [وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً] [سورة: الشورى - الأية: ٥١] ، وهذه الآية تقول (يكلمه) لم تقل يراه بقلبه أو عينه ، وأن كان الكلام بالوسائط ، فما بالك بالرؤيا ، ورسول الله موسى عليه السلام لم يطق النظر إلى نور الله عندما تجلى ربه للجبل فجعله دكاً ، وخر موسى صعقا ، فما بال هؤلاء القوم ؟! ومردود هذا عند السُّلمي أن تلك الطائفة لم تستعن بشيخ يعرفهم مكايد الشيطان ويبين لهم طريق خطئهم .

١٠ - وطبقة غلطت في فناء الأوصاف وهم جماعة من البغداديين " يقولون أن عند فناءهم من أوصافهم دخلوا في أوصاف الحق ، وأضافوا أنفسهم إلى معنى يؤديهم بجهلهم إلى القول بالحلول ، وغلطوا في أنهم ظنوا أن أوصاف الحق هي الحق ، وليس كذلك لأنه تعالى وتقدس لا يحل في القلوب ولكن يحل فيها توحيده وتعظيمه وهيبته" .[٢]

فإذا تأملنا هاتين الطبقتين القائلتين بالفناء (فناء البشرية ، وفناء الأوصاف) نجد مدى دقة السُّلمي في شرحه للفناء ، ففناء البشرية هو فناء الصفات التي يشترك فيها الإنسان مع باقي المخلوقات مثل الأكل والشرب ، وهذا لن يحدث لأن الإقلاع عن هذه الصفات يؤدي إلى زوال البدن أو فناءه ، وليس مجرد فناء صفاته البشرية . أما فناء الأوصاف فهو فناء الأخلاق المذمومة من حقد وحسد وكراهية وغيره ، واتباع الأخلاق المحمودة التي أمر بها الحق ، كما أن الله تعالى لا يحل في القلوب ، وإنما ما يحل في القلوب الإيمان به والتصديق له وتوحيده .

١- المرجع السابق ، صـ١٩٠ ، راجع كذلك السراج " اللمع " صـ٥٤٤ .
٢- نفس المرجع ، صـ١٩٣ .

١١ ـ وطبقة غلطت في فقد الإحساس فزعمت أنها تفقد الإحساس عند المواجيد والأذكار القوية ويخرجون عن أوصاف المحسوسين مع أن فقد الحس لا يعلمه صاحبه إلا بالحس ، والحس صفة البشرية وقد يغلب عليه الواردات التي ترد على الأسرار بقهر سلطانها فتغيبه عن حسه لحظة كالشمس تطلع على الكواكب فتطمس نورها ولا تزول عن أماكنها ، كذلك الإحساس لا يزول ولكن يقهره عليه سلطان الوارد عليه وإنما يغيب الإنسان عن حسه بحسه عند المواجيد الحادة . [١]

ويضع السُّلمي فلسفة في الحس وفقده ، فيرى أن فقد الحس هو حس بفقد الحس وعند المواجيد لا يغيب الحس إلا للحظة ولا يغيب على الدوام ، وغيابه ـ الحس- يعني انه يبدل حسه بحس أعلى يناسب هذه المواجيد الحادة ، مثل الإنسان عندما يصاب بجرح صغير في إصبعه فأنه يحس بالألم ، ولكن عندما يبتر إصبعه فأنه يحس بألم أكبر ، فكل موقف وله حسه الذي يلزمه ، وهذا دليل على عمق تجربة السُّلمي الصوفية .

١٢ ـ وطبقة غلطت في الأرواح " فقالت الروح نور من الله ، وتوهموا أنه نور ذاته ، فزعموا انه مخلوق وقوم قالوا الأرواح مخلوقة ، وروح القدس غير مخلوقة ، وقوم قالوا أن أرواح العامة مخلوقة ، وأرواح الخاصة غير مخلوقة ...... وغيرها من الأقوال ، وكل هذا خطأ وباطل ، والصواب ما قاله تعالى: [وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرّوحِ قُلِ الرّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبّي] **[سورة: الإسراء ـ الأية: ٨٥]** وهي مخلوقة ليس بينها وبين الله نسب ولا سبب إلا أنه خصها بلطافة الخلقة . [٢]

يؤكد السُّلمي أن الروح موجود مغاير للجسم ، كما أن عقول الخلق قاصرة عن معرفة حقيقة الروح ، والروح جوهر بسيط ، لطيف ، لا يعلم أمره إلا الله ، والروح مخلوقة محدثة ليس بينها وبين الله نسب ، إنما هي من مخلوقات الله التي خصها بلطافة في الخلق ، والحديث عن الروح قد يحتاج إلى مجلدات ولكن

١ـ المرجع السابق ، صـــــ١٩٣ .
٢ـ نفس المرجع ، صـــ١٩٤ ، كذلك راجع السراج " اللمع " صـــــ٥٥٤ .

باختصار شديد فالروح مخلوق حادث وفاني لأن الله قديم أزلي وأبدي ، وهو وحده المختص بالخلود والديمومة، أما عن طبيعة الروح وهيئتها فلا أستطيع أن أقول سوى ما قاله الله تعالى [وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرّوحِ قُلِ الرّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبّي] **[سورة: الإسراء - الأية: ٨٥]** .

والأغلاط أو الأخطاء التي وقع فيها الصوفية كما حددها السُّلمي في الأصول تشمل لكل أغلاط الأصول التي وقع فيها الصوفية تقريباً ، ويأتي تحتها أغلاط في الفروع ، وقد ذكر السُّلمي بعض أغلاط الفروع التي وقع فيها الصوفية وهي تختص جميعها بظاهر الصوفي ومن هذه الأخطاء :

(١) طبقة غلطت في تفضيل الغنى على الفقير ، بأعراض الدنيا . وإنما الغني هو الغني بالله عز وجل لأن الغني به أجل من الافتقار إليه. [١]

(٢) وطبقة عملوا في الكسب وأمروا به وأنكروا على من لم يكتسب وقد غلطوا لأن الكسب رخصة وإباحة لمن لم يطق حال التوكل ، فإن التوكل حال النبي والكسب سنته ، فمن لم يطق حاله رد إلى سنته ، والتوكل هو الثقة بما وعد الله وعلى هذا فإن السُّلمي يرى أن التوكل أصل والكسب فرع ، وعندما لا يستطيع الإنسان أن يعتمد على التوكل وأراد الكسب فان السُّلمي يحدد بعض الشروط لهذا الكسب فيقول : إلا يشغله عن أداء الفرائض في أوقاتها ، ومن الشروط إلا يعتمد على كسبه ، ومنها أن يعيين العاجزين عن الكسب ويتفقدهم من كسبه. [٢]

(٣) وطبقة غلطوا في حال الفترة ، فقد اجتهدوا وعملوا في الاجتهاد مدة فلما طال بهم الأمر طمعت نفوسهم في الكرامات فلم يجدوها فلما رأوا ذلك كسلوا عن مجاهداتهم فسموا ذلك الكسل فترة وهو كسل وخدع . [٣]

ويرى السُّلمي أن هؤلاء ظنوا أنهم عندما يجتهدون تحصل لهم كرامات ، والله تعالى مطلع على سرائرهم ، فلم يعطهم ما يريدون لأنه تعالى يعرف مقاصدهم ،

١- المرجع السابق ، صـــــ١٧٧ .
٢- نفس المرجع ، صـــ١٧٩ .
٣- نفس المرجع ، صـــ١٧٩ ، ١٨٠ .

فلم يقصدوا الله لوجهه إنما قصدوه لمقاصدهم وأغراضهم ، فلما طال عليهم الوقت ولم يتحقق لهم ما يبغون بدءوا في الكسل والركون ، وهم داخل دارة النفاق .

(٤) وطبقة غلطوا في أسفارهم فجعلوها تكبراً على أبناء جنسهم ممن لم يسافروا سفرهم ، وهذا غلط لأن السفر أما للقاء المشايخ أو الائتمار بأمرهم أو تبديل أخلاقهم بالصالح ، ومن أراد كرامة له أو تكبراً على غيره من سفره ، كان سفره كمن أنتقل من العلم إلى الجهل .[1]

وهنا يدعو السُّلمي إلى التواضع وعدم التكبر ، ويرى أن التشبه بالمشايخ في الملبس وحفظ الحكايات لن يؤدي إلى أن يكون المرء منهم ، وإنما يكون منهم بعمله وعبادته ، وسفر الصوفية إنما يكون لإصلاح خلق أو للقاء شيخ وليس للتكبر على الآخرين .

(٥) وطائفة غلطوا في لبس الصوف من غير ضرورة وأخذ الركاء ، وتعلموا شيء من إشارات القوم ، وظنوا أنهم بذلك منهم ، وليس التحلي والتشبه من الحقيقة بشيء ، لان النبي ρ ، قال " المتشبه بما لم يعط كلابس ثوبي زور ".[2]

وغلطات الفروع جميعها مختص بالظاهر ، وهذه الأغلاط جميعها تتضح عندما يهتم الصوفي بظاهرة وينسى باطنه ، وبهذا فإن السُّلمي يشير إلى نوعين من الأغلاط ، غلط في الأصول ، وغلط في الفروع ، وقع فيه رجال الصوفية وبينه السُّلمي حتى لا يقع فيه من يريد أن يسلك الطريق الصوفي .

من خلال ما سبق نلاحظ وجود تشابه كبير بين الغلطات التي وجهها السُّلمي إلى الصوفية في كتابه أو رسالته " غلطات الصوفية " وبين الغلطات التي قال بها أبو نصر السراج (ت : ٣٧٨ هـ) في كتابه " اللمع " تجاوز السُّلمي التأثر بالسراج إلى النقل منه ، وأرى أن التشابه بين السراج والسُّلمي في هذا النقد يرجع إلى أن السراج

١- نفس المرجع ، صـــ١٨٠ .
٢- نفس المرجع ، صـــ١٨٣ .

أحد شيوخ السُّلمي ، لهذا تأثر السُّلمي تأثراً كبيراً بشيخه في نقده للصوفية ورأي ما رآه شيخه في نقاط النقد التي وجهها لهم.

كما أن من المعتاد أنه لا يوجد داخل أي دين واحد أو ثقافة أو أخلاق واحدة ، أي شخص صاحب فكر معتدل يجعل الخطأ صحيح أو الصحيح خطأ ، لهذا فقد جاء فكر السُّلمي في نقد الصوفية الغالطين مشابه إلى حد كبير فكر السراج .

الفصل الثانـي

الأخلاق والنفس عند السُّلمي

تمهيد :

أولاً : الأخلاق عند السُّلمي

أ ـ ما الأخلاق ؟

ب ـ آداب الصحبة عند السُّلمي

جـ ـ أنواع الصحبة عند السُّلمي

د ـ آداب السلوك

هـ ـ مصدر الإلزام الخلقي عند السُّلمي

و ـ السعادة عند السُّلمي

ثانياً : النفس عند السُّلمي

أ ـ النفس عند السُّلمي

ب ـ عيوب النفس ودواؤها عند السُّلمي

الفصل الثاني

الأخلاق والنفس عند السُّلمي

تمهيد

الأخلاق والنفس الإنسانية بينهما علاقة تبعية ؛ فلا توجد إحداهما بدون الأخرى ، حيث أن الأخلاق تروض النفس - التي تميل بطبيعتها إلى تحقيق رغباتها - والأخلاق هي مجموعة الضوابط والأوامر التي تسير النفس عليها مخالفة لهواها ، ولا تخرج عن هذه الأوامر وعند خروجها تكون قد أفسدت النظام – الفطرة - أما النفس فإن الأخلاق لا توجد بدونها ، لأن النفس هي الحامل للأخلاق ، فهما مرتبطتان كلاً منهما بالأخرى.

والإنسان هو الكائن الوحيد الأخلاقي فليس للحيوانات تصور للماضي ولا استشراق للمستقبل كما هو موجود لدى الإنسان ، ذلك الموجود الأخلاقي الذي لا يمكنه أن يحيا على مستوى الغريزة وحدها ، لأنه لابد من أن يجد نفسه مضطراً إلى تجاوز مستوى الغريزة أو الحياة الحيوانية الصرفة . (١)

وقد اهتم الإسلام جل اهتمام بالأخلاق ، فإذا نظرنا إلى القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، نجد أنهما يعالجان أمور الدنيا والدين ، وينظمان للفرد حياته مع نفسه ومع خالقه ومع أسرته ومجتمعه ، لهذا جعل الرسول ρ الأخلاق هي الغاية من رسالته، وجاء ليتم مكارم الأخلاق ، كما أن الأخلاق الحسنه هي الطابع العام للإسلام، فالأخلاق موجودة في كل جوانب الإسلام ، من صيام وزكاة ، وصوم ، وحج ، وغيره، لهذا كان مصدر الإلزام الخلقي في الإسلام هو القرآن والسنة ، دستور المسلمين ، وهذا ما سوف يؤكده السُّلمي .

والنفس هي المنوط بالتكليف ، وهي المطالبة بقوانين الإلزام الخلقي ، والنفس دائماً راغبة في الشهوة ، متقبلة نزغات الشيطان ، لهذا فلابد من تبصير الإنسان

١ـ د. مصطفى عبده ، فلسفة الأخلاق ، صـــ٢٢ ، مكتبة مدبولي ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٩٩ .

بعيوب نفسه حتى يعلمها ويبتعد عنها ، ويلتزم بمكارم الأخلاق ومحاسن الطباع ، وسيظهر هذا بوضوح عند تحليلنا لمعالجة السُّلمي لعيوب النفس .

أولاً : الأخلاق عند السُّلمي

أ ـ ما الأخلاق ؟

الأخلاق في اللغة : يقول الفيروزآبادي (ت: ٨١٧ هـ) " أخلاق إذا كانت الخُلَوقُة فيه كله ، كصبور وغيره ، والخُلْقُ : بالضم وبضمتين ، السجية ، والطبع والمروءة والدين . [١]

وعلم الأخلاق هو العلم الذي يفسر لنا معاني الخير والشر ، ويوضح لنا الصورة المثلى التي ينبغي أن يتبعها الناس في معاملتهم للآخرين ، ويبين ما ينبغي أن يقصده الناس من أعمال وغايات ، فهو علم تيسير السلوك لما ينبغي أن يكون . [٢]

وإذا كنا بصدد الأخلاق ، فكلنا يحكم على الأعمال بأنها خير أو شر ، صواب أو خطأ ، فبأي مقياس نقيس العمل فنحكم عليه بأنه خير أو شر ؟

لقد ذهب المعتزلة أن التحسين والتقبيح صادر من أن الإنسان قادر مسئول عن أفعاله وبقدرته على إدراك حسن وقبح الأشياء والأفعال بعقله ، ومن أن الله الكامل لا يليق به ولا يمكن أن ينسب له خلق الشر والقبح فكل ذلك محال في حق الله تعالى [٣]

بينما الحسن والقبح عند الأشاعرة أمران اعتباريان ، فلا توصف الأفعال بأنها حسنه أو قبيحة ، بل مرجع ذلك إلى الشرع ، فما يصفه بأنه حسن أو قبيح فهو كذلك فالحسن ما يثنى الشرع على فاعله ، والقبيح هو ما يذمه ، .... وأن العقل لا دخل له في

١ـ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ـ القاموس المحيط ـ إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي جـ٢ ـ صـــ١١٧٠ـ دار إحياء التراث العربي ، ط٢ ، بيروت لبنان ـ ١٩٧٠ .
٢ـ د. محمود حمدي زقزوق ، مقدمة في علم الأخلاق ، صـــ١٨ ، دار الفكر العربي ط٤ ، ١٩٩٣ .
٣ ـ د. محمود ماضي ، منهج ابن القيم في أصول الدين ، صـــ١٥٧ ، مكتبة الإيمان الإسكندرية ، ١٩٨٩

التمييز بين هذين الأمرين ، فلو أمر الله بالكذب لانقلبت طبيعته فأصبح حسناً وخيراً ، ولو نهي عن الصدق لأصبح قبيحاً وشراً . [١]

وهنا نحن أمام رأيين مختلفين في مصدر الأخلاق هل هو الدين أم العقل ؟ وإني أرجح رأي الأشاعرة أن مصدر الأخلاق هو الدين أو الشرع والعقل عليه أن ينصاع لأوامره ونواهيه ، ومن حكمة الله أنه جعل الأخلاق الحسنة تتفق مع العقول المعتدلة وتتفق والفطرة التي فطر الناس عليها.

لقد اختلف العلماء والباحثون حول ثبات الأخلاق وتغيرها ، وأرى أن الأخلاق من الدين لذلك فإنها تأخذ ثباتها من الدين لأنها بمثابة الطباع التي لا تعدل ولا تغير ، والأخلاق هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وهي أخلاق الإسلام ، وأما من يرى أن الأخلاق تتغير بتغير الزمن والأفراد ،فهؤلاء يرون أن هذه الأخلاق مرتبطة بالعقل أو بالعادات والتطور ، ولكني أرى أن الأخلاق التي تتغير ، إنما هي الأخلاق الرديئة السيئة القبيحة ، التي تعدل أو قل ترجع إلى الفطرة لتصبح أخلاقاً حسنة فاضلة ، لأنها مرتبطة بالدين .

وعند البحث في الأخلاق الإسلامية نجد أنها تتميز بمسايرتها للفطرة ، وباتفاقها مع العقول السليمة ، وبتحقيقها لخير الفرد والجماعة ، بأن تكون العلاقات الاجتماعية ، علاقات أخوة ومحبة وسلام ، وتتسم الأخلاق الإسلامية بالثبات والدوام ، وهذا لأنها تنبع من الكتاب والسنة .

وقد اعتمد الصوفية في مذهبهم الأخلاقي على الذوق والحدس والإشراق ، امتداداً لمذهبهم في المعرفة التي تقوم عندهم على الإلهام والوحي الخاص بالأنبياء ، ويأتي هذا بعد بذل الجهد ومحو الصفات المذمومة ، وقطع العلائق كلها ، والتعلق بالله وحده ، والإقبال بكنة الهمة على الله ، لهذا فأنه من الصحيح أن نقول : " أن الصوفية هم أصحاب الاتجاه الذوقي في الأخلاق والمعرفة الذي يرى أن الوصول إلى الحقيقة

١ـ المرجع السابق ، صـــــ١٦١ .

لا يكون بالتعليم بل بالذوق والحال ، وأن سبيل ذلك ليس السماع والنظر وإنما المعانة والسلوك ". [١]

كانت هذه إلمامة سريعة عن الأخلاق ، والآن نعود إلى الأخلاق عند السُّلمي .

يرى السُّلمي أن " أجل زينة في الأدب هو الخلق الذي زين الله به نبيه " لهذا يقول السُّلمي " أن نتأدب بآداب خاتم النبيين ρ ، حيث تأدب هو بآداب الله عز وجل وتمسك بلطائف أمره ، وأثنى عليه عز وجل فقال: [وَإِنّكَ لَعَلَىَ خُلُقٍ عَظِيمٍ] [سورة: القلم - الأية: ٤] ، بما ندبه إليه من الأخلاق الكريمة والأنحاء المرضية ، كما وصفه سبحانه وتعالى بحسن العشرة وكريم الصحبة في قوله: [وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضّواْ مِنْ حَوْلِكَ] [سورة: آل عمران - الأية: ١٥٩] ، وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ρ فقالت : " كان خلقه القرآن " [٢] [٣] ، وقال ρ : " ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة ، قالوا بلى يا رسول الله ، قال : أحسنكم أخلاقاً ، المؤمنون للناس أكنافاً ، الذين يألفون حسن الخلق جمال في الدنيا ، وكمال في الآخرة ، وسوء الخلق يفسد العمل " [٤]

ويناشد السُّلمي اتباع أخلاق الرسول ρ ويضع للصوفية آداباً وأخلاقاً منها حفظ السر ومراعاة الظاهر ، وإيثار الخلق على أنفسهم والتواضع وغيرها ، فالأخلاق الكريمة سبب كل سعادة وهناء والطباع القبيحة أصل كل شقاء ، فمن ساءت أخلاقه وسفلت طباعه وأساء إلى الناس فقطع منهم حبل المودة ، فقد خسر عمله وعقّ دينه ، وكانت عاقبته الوبال ، وأساس صحة الأخلاق وصحة النفس هو الاعتدال في الأخلاق، أما الأخلاق الرديئة وعمل الرذائل فهو مرض وسقم في النفس .

١- د. عبد الفتاح أحمد الفاوي ، الأخلاق دراسة فلسفية دينيه ، صـ١٩٢ ، ط١ القاهرة ، ١٩٩٠ .
٢- أبن ماجة ، السنن ، جـ٢ ، ٢٣٣٣ .
٣- السُّلمي ، آداب الصحبة ، تحقيق مجدي فتحي السيد ، صــ٣٧ دار الصحابة للتراث ط١ طنطا ، ١٩٩٠ .
٤- أحمد بن حنبل ، المسند ، جـ٤ ، صــ١٩٣ ، وبهامشه منتخب كنز الأعمال في سنن الأقوال والأعمال ، المكتب الإسلامي ، بدون تاريخ.

ب ـ آداب الصحبة عند السُّلمي :

الإنسان في علاقة دائمة بما هو حولــه ، وهذه العلاقة يضعها الصوفية تحت مسمى الصحبة فالإنسان في صحبة أو علاقة مع من حولــه ، وهذه الصحبة تستلزم آداباً، وهذه الآداب بمثابة ضوابط يرى السُّلمي أنها تنظم العلاقات بين الأفراد بعضهم ببعض ، فالإنســان مدني أو اجتمــاعي بــالطبع ، وهـذا هـو السـبب الأول فـي وجـود الصحبة ، حيث أن " الجاذب إلى الصحبة هو وجود الجنسية بالأعم تارة كميل جنسي البشر بعضهم إلى بعض ، وبأخص تارة كميل أهل كل ملة بعضهم إلى بعض ". [١]

ومن الآداب التي وضعها السُّلمي في الصحبة " ألا يصاحب إلا عاقلاً وحليماً وتقياً " وأن يكون سليم الصدر لا يحمل داخله الضغينة لأي أحد ، يقول السُّلمي : " ومن آدابها ـ النفس ـ سلامة الصدر للإخوان والأصحاب والنصيحة لهم وقبول النصيحة منهم وأصله قولــه تعالى قال تعالى: [إِلاَّ مَنْ أَتَـى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ] [سورة: الشعراء ـ الأية: ٨٩]. [٢]

ومن هذه الصفات أيضاً " البعد عن أفعال طالبي الدنيا ، وعلى الصاحب أن لا يعير أحدا ، ولا يحقد على مسلم ، ولا يحسد أخواته ، ولا يشمت بهم،ولا ينقض عهدا ، ولا يخالف عقدا ، ولا يسكن إليه كل شيء " [٣]

هذه هي بعض الصفات التي يلتزم بها الصاحب عند السُّلمي ، ويمكننا تقسم آداب الصحبة عند السُّلمي إلى خمس أقسام ، وهذه الأقسام هي : الصحبة مع الله ، والصحبة مع الرسول ، والصحبة مع المشايخ ، والصحبة مع الأهل ، والصحبة مع أبناء الدنيا ، ونوضح هذه الأنواع والآداب التي تخص كل قسم عند السُّلمي فيما يلي :

١ـ أحمد سعيد الدجوي ، فتح الخلاق في مكارم الأخلاق ـ تحقيق عبد الرحيم ماريديني صـــ٢٦٦ مكتبة دار المحبة " ط١ ، دمشق ، ١٩٩١ .

٢ـ السُّلمي ، آداب الصحبة ، تحقيق مجدي السيد ، صـــ٥٢ ، ٥٣ ، راجع كذلك السُّلمي ، آداب الصحبة وحسن العشرة ، تحقيق وتعليق م . ي . قسطر ، صـــ٣٣ ، منشورات الجمعية الشرقية الإسرائيلية أورشليم ١٩٥٤ .

٣ـ المرجع السابق ، صـــ٥٢ ، ٥٣ .

جـ ـ أنواع الصحبة عند السُّلمي :

١ـ الصحبة مع الله

الصحبة مع الله لها آدابها وأخلاقها المختلفة عن أي نوع من أنواع الصحبة ، لأن الله سبحانه وتعالى سميع بصير عليم بعباده ، ولا يستطيع المخلوق خداعه أو تجاهله أو التهرب منه حتى لا يراه ، وعلى هذا نريد أن نعلم ما هي الآداب التي وضعها السُّلمي للصحبة مع الله ؟ وهل هي جديرة وكافية بجلال الله وعزته ؟ وهل هي مطابقة لما جاء في الكتاب والسنة ؟ أم أنها خارجه عن التعاليم الإسلامية مستمدة من مصادر أجنبية عن الإسلام ؟

تبدأ الصحبة مع الله عند السُّلمي بالمعرفة فيقول " فأما المعرفة فهي أول فرض افترضه الله على عباده ، بدليل قوله تعالى قال تعالى: [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنّ وَالإِنسَ إلاّ لِيَعْبُدُون] [سورة: الذاريات ـ الأية: ٥٦]، قال ابن عباس : " أي ليعرفون "... والمعرفة عند السُّلمي ثلاثة ، معرفة باللسان وهو الإقرار ومعرفة بالقلب وهو التصديق ومعرفة الروح وهي اليقين " [١]

وهنا أرى أن السُّلمي بدأ طريق الصحبة مع الله بأولى الخطوات الصحيحة ، وهي المعرفة ، لأن الجهل بالشيء يعني عدم وجوده عند الجاهل به ، أما معرفة الشيء والعلم به ، تجعل العاقل دائما في شغف للإلمام بصفات هذا الشيء وسماته ، وتقسيم السُّلمي للمعرفة إلى ثلاثة أنواع ، هو تقسيم عارف واعي ، وتقسيم شامل أيضاً ، فيضم المعرفة باللسان للرجل العادي ، وهي معرفة إقرار بوحدانية الله ، بالقول لا إله إلا الله ، ومعرفة القلب هي معرفة الخواص ، وهو العمل بهذا القول الذي نطق به اللسان ، وأما معرفة الروح فهي معرفة خواص الخواص وعدم الشك فيما وعد الله ، والثقة بما في يد الله ، وهي نهاية المطاف إلى المعرفة بالله ، وهي الإخلاص .

١ـ السُّلمي ، المقدمة في التصوف ، تحقيق د. يوسف زيدان صـــ ٣٠ ، ٣١ .

ومن الآداب التي يلتزم بها السُّلمي في الصحبة مع الله التقوى ، لهذا يقول : " بتقوى الله ، يكفاك كل هم ، وأما بتقوى الناس فلا تغني عنك من الله شيئاً ، قال تعالى: [وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ] [سورة: الطلاق - الأية:٢، ٣] ، والتقوى عند السُّلمي مرتبطة بالطاعة ، فيقول " وأوصيك بإيثار طاعة الله ، واجتناب مخالفته ، والرجوع في كل هم ونائبة إليه وترك الركون إلى الخلق والاعتماد عليهم ، ... وألا يشغلك عن الله أهل ولا مال ولا ولد فتخسر عمرك يقول تعالى:[يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُون] سورة: المنافقون - الأية: ٩]، وداوم على ذكر الله ، فإنك تستجلب بذكرك له ذكره لك ، [فَاذْكُرُونِيَ أَذْكُرْكُمْ ...] [سورة: البقرة - الأية: ١٥٢]. [١]

وقد ذهب ابن حزم إلى قريب من هذا المعنى " فيرى الحقيقة على أنها العمل للآخرة فقط ، لأن كل عمل ظفرت به فعقباه حزن ، إما بذهابه عنك وإما بذهابك عنه ، إلا العمل لله فعقباه على كل حال سرور في عاجل وآجل ، أما العاجل : فقلة الهم بما يهتم به الناس ، وأما في الآجل فالجنة " [٢] ، وهذا يظهر وجه الشبه بين ابن حزم والسُّلمي بالعمل للآخرة والبعد عن الدنيا ، فينادي السُّلمي بالتقوى والطاعة والتوبة ، وفي هذا كله رجوع وإنابة إلى الله ، والانقطاع إليه والالتفات له والبعد عن غير الله من دنيا ونفس واللجوء إلى الله في كل نائبة وهم . وهذا عند السُّلمي وابن حزم إنما هو عمل للآجل أي للآخرة .

وينادي السُّلمي أن من آداب الصحبة مع الله لزوم الإخلاص لله ، وهذا الإخلاص هو إخلاص عبادة ، يقول السُّلمي " والزم الإخلاص في جميع أفعالك وطاعاتك وتصرفاتك لأن الله تعالى يقول : [وَمَآ أُمِرُوَاْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ] [سورة: البينة - الأية: ٥] وطالب نفيك الصدق في إخلاصك" . [٣]

١- السُّلمي ، وصية ، صـــ ٤١ ، ضمن كتاب عيوب النفس ، تحقيق : مجدي السيد .
٢- أبن حزم الأندلسي ، مداواة النفوس ، تحقيق عادل أبو المعاطي ، صـــ ٤٨ ، دار المشرق العربي ط١ القاهرة ١٩٨٨ .
٣- السُّلمي ، وصية ، صـــ ٤٨ ضمن كتاب عيوب النفس تحقيق د مجدي السيد .

والمقصود من آداب الصحبة مع الله عند السُّلمي هو الإخلاص فهو يريد أن يكون الدين كله لله ، وتكون كلمة الله هي العليا ، والإخلاص هو توحيد لا إشراك فيه مع الله ، وهو تصفية وتنقية للتوحيد ، وهذا يبين إخلاص السُّلمي العبادة لله وصفاء إيمانه .

وفي هذا يقول الهجويري بتوحيد الله وإخلاصه " أن يحفظ ـ العبد ـ نفسه من عدم الحرمة في الخلا والملا ، فتكون معاملة في الخلاء كما يفعل في مشاهدة الملوك ، .... ويقال أن الحادث المحاسب لم يسند ظهره إلى حائط أربعين سنة ليلاً ونهاراً ، ولم يجلس إلا جاثياً على ركبتيه ، فسألوه لماذا تتعب نفسك ؟ قال : " أني لأخجل أن أجلس في مشاهدة الحق غير جلسة العبيد . " (١)

ومن هذه الأقوال يتبين أن الصوفية جميعهم اتفقوا على التوحيد المطلق لله في الخلاء وفي الملاء ، في السر وفي العلن وهذا لأنهم أبناء عقيدة واحدة وتعاليم وآداب واحدة ، هي التعاليم الإسلامية .

ويجمع السُّلمي آداب الصحبة مع الله قائلاً : " باتباع أوامره واجتناب نواهيه ودوام ذكره ودرس كتابه ، ومراقبة أسراره أن يختلج فيها مالا يرضاه ، والرضا بقضاء الله ، والصبر على بلاءه والرحمة والشفقة على خلقه . (٢)

ومما سبق يتضح أن السُّلمي اتبع القرآن والسنة في آداب الصحبة مع الله ، وهذا ما ظهر من خلال آرائه وأقوله في هذه الآداب فلم تخرج هذه الآداب عما نادى به القرآن وأقرته السنة الشريفة ، فيرى السُّلمي أن الإنسان عليه معرفة ربه وتقواه والتقرب منه وإخلاص الدين له ، ويراقب الله في أعماله ويؤدي فرائضه ويتوب إليه ، وبهذا لم يُدخل السُّلمي في آداب الصحبة مع الله أي مصدر أجنبي عن الكتاب والسنة ، فقد اتبع المنهج الإسلامي التربوي في الصحبة مع الله .

١ـ الهجويري ، كشف المحجوب ، صـــــ٥٨١ .
٢ـ السُّلمي ، آداب الصحبة تحقيق مجدي السيد صـــــ١١٧ ، راجع السُّلمي ، آداب الصحبة وحسن العشرة ، تحقيق قسطر صــ٨٠

٢ـ الصحبة مع الرسول :

لا أحد ينكر أن الرسول ρ هو هداية المضلين ، ورشد المتقين ، وسيد الخلق أجمعين ، وللصحبة معه آداب ينفرد بها هو عليه الصلاة والسلام ، وعلى هذا فقد حدد السُّلمي آدابا يختص بها في الصحبة مع الرسول ρ وهذه الآداب هي :

" آداب الصحبة مع الرسول باتباع سنته في كل أفعاله الإنسان وأقوله ، وجميع أسبابه وأحواله ، وإياك ومخالفة السنة فيما دق أو جل ، فإن الله تعالى يقول: [فَلْيَحْذَرِ الّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ]**[سورة: النور- الأية:٦٣]** وقال تعالى: [وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ] **[سورة: النور ـ الأية: ٥٤]**. [(١)]

ومن آداب الصحبة مع الرسول أيضاً ما ذكره السُّلمي " تعظيم أهل بيته ، وأزواجه وذريته ومجانبة مخالفته فيما دق وجل ، وما يجري مجراه ، والصحبة مع أصحابه وأهل بيته رضي الله عنهم بالترحم عليهم وتقديم من قدموه ، وحسن القول فيهم ، وقبول قولهم في الأحكام والسنن ، فقد قال ρ " أني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ".[(٢)]

وقال عليه الصلاة والسلام "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم " وآداب الصحبة عند السُّلمي مع الرسول واضحة ، وتتمثل في اتباع سنته ، وتعظيم أزواجه وذريته وأصحابه ، وهذا أن دل على شيء إنما يدل على حب السُّلمي الشديد للنبي ρ . وآل بيته وأصحابه ويدل أيضاً على الجانب السني في تصوف السُّلمي ".

ووصية السُّلمي بالصحبة مع الرسول ملتزماً بهذه الآداب ، إنما هذا لأن الرسول ρ أكمل خلق الله ومن أراد أن يخالل فليخالل أكمل خلق الله وليتشبه به في أخلاقه حتى يحشر معه يوم القيامة .

١ـ السُّلمي ، وصية صـــ٤٢ ، ضمن كتاب عيوب النفس ، تحقيق : مجدي السيد .
٢ـ الترمذي ، السنن وهو الجامع الصحيح جـ٥ ، ٣٨٧٦ ضبط وتصحيح عبد الرحمن محمد عثمان ، دار الفكر ، ط٣ ، ١٩٧٨ .

٣ـ الصحبة مع الشيخ :

تعبد القدوة العملية من خير الوسائل للتربية الروحية لهذا وضع السُّلمي كغيره من الصوفية آداباً وتعاليماً وأخلاقاً يلتزم بها المريد مع الشيخ ، ويلزم بها الشيخ مع المريد ، ومن المعروف أن كل علوم الدنيا ، سواء كانت علوماً نظرية أو عمليه ، حتى الحرف والصناعات مهما علت أو دنت لابد لها من أخصائي يكشف أسرارها لمن يريد تعلمها ، وهذا الأخصائي هو المعلم الذي يبين هذه العلوم وتلك الصناعات لمن يريد تعلمها .

ولهذا يرشد السُّلمي من يريد أن يسلك طريق العبادة والزهد في الدنيا بأن " يقتدي بسير السلف الصالح ، وتعلم آدابهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأبدأ بذلك في نفسك ، وعليك بصحبة الزهاد في الدنيا ، ومخالطة الصالحين الراغبين في الآخرة ، .... طلباً بذلك رضا الله عنه والدار الآخرة " .[١]

وبذلك ينصح السُّلمي السالك في الطريق الصوفي عند اختياره لشيخ فإن أول الأسس والصفات التي يجب أن تتوافر في الشيخ أن يكون من السلف الصالح ، أو ممن لا تخرج أخلاقه عن مضمون الكتاب والسنة من أمر بالمعروف ، ونهي عن المنكر وتقرب إلى الله بالأعمال الصالحة وهذه الصفات لا تخرج في مضمونها عن آداب السنة الشريفة ولا تخرج عن تعاليم الكتاب الكريم .

ويقول ابن تيميه عن الشيخ مقترباً من رأي السُّلمي " الشيوخ الصالحين هم الذين يقتدي بهم في الدين ، وهم المتبعون لطريق الأنبياء والمرسلين ، وهم بمنزلة الأئمة في الصلاة ، وبمنزلة الدليل الذي للحاج ، هو يدلهم على البيت وهو وهم جميعا يحجون إليه ". [٢]

١ـ السُّلمي ، وصيه صـــ٤٦ ، ضمن كتاب عيوب النفس ، تحقيق : مجدي السيد .
٢ـ ابن تيميه ـ فقه التصوف ـ تعليق وتهذيب الشيخ زهير شفيق الكبي ، صـــ٢٧٣: ٢٧٥ دار الفكر العربي بيروت بدون تاريخ .

والصحبة بين المريد والشيخ لها شقان:أولهما آداب الشيخ مع المريد والآخر آداب المريد مع الشيخ ، أما عن آداب الشيخ مع المريد فيقول السُّلمي " على الشيخ الرفق بالمريدين ، وأن يستعمل الأدب ليأخذ الصغير عنه طريقته ، وشمائله ما يؤخذ عنه استعمالاً لا قولاً " وعلى الشيخ أيضاً " ترك التصدر ومجانبة الأستاذية والعمل في القيام بخدمة الأخوان والأصحاب " [١]

وهذه الآداب تدل على أن السُّلمي يرى أن الشيخ إنسان عادي وليس معصوماً من الخطأ ، إذ عليه أن يلتزم بهذه الآداب مع المريدين ، وإلا فلن يصبح قدوة أو شيخاً، وهذه الآداب والتعاليم والأخلاق يأخذها المريد عن الشيخ ، فالمريد يتعلم عن الشيخ طريقته في الحياة أي أفعال ، ولا يأخذ من الشيخ الحكم والأقوال والحكايات النظرية . فالتصوف أخلاق عملية لا أقوال نظرية . وانطلاقاً من هذا فإن السُّلمي يدعو الشيخ إلى ترك الكبر والتزام التواضع .

أما عن آداب المريد مع الشيخ عند السُّلمي ، فيرى أنها تكون بـ " التأدب بأوامر المشايخ وحسن الطاعة لهم ، ... وإذا بدا لأحدهم بركة من صحبة شيخ من مشايخهم أن يلزمه ولا يفارقه بسبب من الأسباب ، ... وإذا عدم العالم الناصح والولي السالك ، رجع بالكلية إلى ربه ليكون هو متولي تأديبه وتعليمه إذا رأي منه صحة الإرادة والعزم " [٢] .

ويقول القشيري عن اتخاذ الشيخ " أن اتخاذ الشيخ ضرورة لتوجيه المريد ، ويسهم في حل مشاكله ويرشده ويلهمه بكل الهمة ، كأنما يتولى غرساً حتى مراحل الحصاد " [٣]

١ـ السُّلمي ، جوامع آداب الصوفية وعيوب النفس ومداواتها، تحقيق وتقديم أيتان كولبرغ ، صـــ١١ ، ١٥ ، معهد الدراسات الأسيوية والأفريقية ، الجامعة العبرية، أورشليم ١٩٧٦ .
٢ـ نفس المرجع ، أماكن متفرقة .
٣ـ عبد الكريم القشيري ـ ترتيب السلوك في طريق الله ـ تحقيق د . إبراهيم بسيوني ، صـــ٥٤ من كنوز التراث الصوفي ، ١٩٨٥ .

ويقول الشعراني (ت: ٣٥٣هـ) عن الشيخ " أن من فوائد الشيخ اختصار الطريق على المريد ، وإراحته من شدة التعب من غير ترقي ". كما أن الشيخ ليس واسطة عنده إنما هو من باب موالاة من والى الله ومعاداة من عاداه. (١)

وعلى هذا فإن السُّلمي والشعراني أقرّا باتخاذ الشيخ ، وأكدا أن هذا لاختصار الطريق ومعرفة مخاطره ومن باب موالاة من والى الله ، فالطريق إلى الله يتربص بالسالك فيه أعداء أشداء ، منهم الشيطان والنفس والهوى ، ويرى السُّلمي أنه إن لم يجد السالك شيخاً ، فليجعل السالك نور طريقه هو نور الله ، وليسلك الطريق إلى الله بالله ، لأنه سبحانه قريب مجيب الدعاء ، وهذا القول دليل على تفهم السُّلمي لكيفية سلوك الطريق إلى الله بطرق متعددة جميعها لا يخرج عن تعاليم الكتاب والسنة سواء وجد شيخاً أو لم يوجد .

٤- الصحبة مع الأخوان :

الأخوان هم زينة في رخاء وعدة للمرء في بلاء، بدونهم يقف المرء وحيداً لا يجد له عونا على الخير ، فلماذا إذاً إن وجد المرء إخواننا فقدهم بعد حين ؟ السر في ذلك هو عدم معرفتنا ومعرفتهم لآداب الصحبة بين المسلمين بعضهم البعض ، فما هو موقف السُّلمي من آداب الصحبة بين الأخوان ؟ وهل هذه الآداب تتفق مع ما جاء في الكتاب والسنة ؟ أم لا ؟

وحتى تدوم الصحبة ولا يتفرق الأخوان بعدما يلتقون يضع السُّلمي عدة آداب في الصحبة مع الأخوان وهي كالتالي : " أن لا يواجه - الصوفي أو الإنسان - أخا من إخوانه بما يكره ، والصفح عن عثرات الأخوان ، وترك تأنيبهم عليها قال تعالى: [فَاصْفَحِ الصّفْحَ الْجَمِيلَ] **[سورة: الحجر - الأية: ٨٥]** قيل في التفسير أن لا يكون فيه تقريع

١- د. يحيي هاشم حسن فرغل ، أصول التصوف الإسلامي ، صـــ١٣٦ ، مطبعة الجبلاوي ، ط١، ١٩٨٣

ولا تأنيب ولا معاتبة ، ومن آدابهم ـ الصوفية ـ ستر عيوب الأخوان وحسن الظن بهم وكتمان قبائحهم " [١]

وهنا يريد السُّلمي أن تكون العلاقة بين الأخوان علاقة سماحة وصفاء ، فلا يوجه الصوفي أخيه بما يكره ، ويستر عليهم عيوبهم .

ومن جامع آداب بالصحبة مع الأخوان عند السُّلمي ، ما أورده في هذه الفقرة " أن لا يحسد إخوانه على آثار نعم الله عليهم بل يفرح لهم بذلك ، ولا يقبل على إخوانه مقالة واش ولا نمام ، ومن هذه الآداب أيضاً ، دوام البشر وبذل المعروف ونشر المحاسن وستر القبائح واستكثار قليل برهم ، واستصغار برك إليهم ، وتعهدهم بالنفس والمال ومجانبة الحقد والحسد ، والبغي والأذى وما يكرهون من جميع الوجوه ، وترك ما يعتذر منه " [٢]

وكل هذه الآداب لا تخرج في مضمونها عن سلامة الصدر وصفاء العلاقة بين الأخوان وهذا يبين اهتمام السُّلمي بالجانب الأخلاقي في التصوف ، وهذا الجانب الأخلاقي لا يخرج في مضمونه عن تعاليم الكتاب الكريم وآداب السنة المطهرة فللأخ عند السُّلمي حق على أخيه في النفس والمال ، فلا يوجد مكان للأنانية في الآداب التي ينادي بها السُّلمي بين الأخوان ، لأن الأنانية هي أساس للقطيعة والبعد بين الأخوان .

لقد اهتم الصوفية بالأخوة أبلغ اهتمام ، ولم يفرط منهم أحد في بيان آدابها وهم يرون أنفسهم مسئولين عن رعاية أخلاق الصداقة والأخوة ، ويتضح من خلال آداب الصحبة بين الأخوان عند السُّلمي أنها لم تخرج في مضمونها عن آداب القرآن والسنة .

---

١ ـ السُّلمي ، آداب الصحبة ـ تحقيق مجدي السيد ، صـ٤٤، ٤٦ ، راجع السُّلمي آداب الصحبة وحسن العشرة ، تحقيق قسطر صـ٢٨ ، ٢٩ .

٢ـ نفس المرجع صـ٤٨ ، ٩٢ ، ١٢٠ ، راجع أيضاً آداب الصحبة تحقيق قسطر صـ٣١ ، ٥٩ ، ٨٢.

٥- الصحبة مع الأهل :

الصحبة مع الأهل هي موضع اهتمام أي إنسان ، لذلك اهتم بها السُّلمي ، وقد جاءت هذه الآداب عنده متمثلة في آداب الصحبة مع الوالدين وأهل البيت والولد أو الأبناء .

فآداب الصحبة مع الوالدين كما يرها السُّلمي " بودهما بالنفس والمال وخدمتهما في حياتهما وإنجاز وعدهما والدعاء لهما في كل الأوقات ما داما في الحياة ، وحفظ عهدهما بعد الممات ، وإكرام أصدقائهما ، فعن أبي سيد مالك بن ربيعه قال : بينا نحن عند رسول ρ ، إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال : يا رسول الله ، هل بقي علي من بر أبوي شيء أبرهما بعد موتهما ؟ قال : نعم الصلاة عليهما - أراد الدعاء لهما - والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما ، وإكرام صديقهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما " [١] [٢]

أما الصحبة مع الأهل والولد ، فتكون عنده بحسن الخلق وسعة النفس ، وتمام الشفقة وتعليم الأدب والسنة ، وحملهما على الطاعات قال تعالى: [يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ قُوَاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النّاسُ وَالْحِجَارَةُ] **[سورة: التحريم - الأية: ٦]** والصفح عن عثراتهم والعفو عن مساوئهم ما لم يكن إثما ومعصية " [٢]

وكما أن للوالدين حقوقاً فإن عليهم واجبات نحو أولادهما وأهلهم ،ويظهر ذلك عند السُّلمي ، فعليهم آداب يلتزمون بها مع أبنائهم فيعلمون أبناءئهم مقومات دينهم وسنة نبيهم . وآداب الصحبة مع الأبناء أو مع الوالدين عند السُّلمي لا تخرج جميعها عن ما قال به القرآن الكريم وما أوصت به السنة الشريفة ، وهذا أن دل على شيء فإنما يدل على وضوح الجانب السني في تصوف السُّلمي .

١- أبو داود ٥١٢٠ – ابن ماجه ٣٦٦٤ أحمد ٣/ ٤٩٨ .
٢ - السُّلمي ، آداب الصحبة ، تحقيق مجدي السيد ، صـ١٢٠ ، ١٢١ ، كذلك السُّلمي آداب الصحبة تحقيق قسطر صـ٨٢ ، ٨٣ .
٣- نفس المصدر صـ١٢٩ ، كذلك السُّلمي آداب الصحبة تحقيق قسطر صـ٨١ .

٦ـ الصحبة مع أهل الدنيا ـ الآخرين ـ

من المسلم به أنه لا يستغني أي إنسان عن الآخر ، لأن الإنسان اجتماعي بالطبع ، ولهذا يجب أن تكون هناك ضوابط وآداب تنظم العلاقة بين الإنسان والآخر ، وقد جاءت آداب الصحبة مع الآخرين عند السُّلمي كما يلي : " أن لا يستخف بأحد من الخلق ، ويعطي كل فرد منهم على قدره ومكانته " فهناك آداب للعامة وآداب للسلطان، وآداب للجار وآداب للتجارة ، وغيرها من الآداب والضوابط مع الأصناف المختلفة من الناس . ولهذا ينصح السُّلمي السالك بـ " أن لا يصاحب إلا مؤمناً وأن لا يعاشر من يخالفه في اعتقاده ، يقول يحيي بن معاذ (ت: ٢٥٨ هـ) : من خالف عقدك عقده فقد خالف قلبك قلبه " [١]

وهاهو السُّلمي ينصح السالك بأن لا يصاحب إلا مؤمناً ، ولا يصاحب من يخالفه في الاعتقاد حتى لا يبعده عن دينه ، وعليه أن يحفظ إخوانه من لسانه (لفظه) وعينه (لحظه) فلا يذكرهم إلا بالخير ولا ينم عليهم ولا ينظر إلى عيوبهم إنما ينظر إلى محاسنهم . وعن آداب الصحبة مع الأصناف المختلفة من الناس عند السُّلمي فقد جاءت كما يلي :

أ ـ آداب الصحبة مع الجهال والأشرار ، يقول السُّلمي : " أن تنظر إليهم ـ الجهال ـ بعين الرحمة ورؤية نعمة الله عليك حيث لم يجعلك مثلهم ، والدعاء لهم ليعافيك الله من بلاء الجهل ، وأحذر صحبة الجهال " [٢] ويضيف " ويجب مجانبة صحبة الأشرار ، يقول بشر الحافي (ت : ٢٢٧هـ) : صحبت الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار ". [٣]

فعلى السالك لطريق الله كما يرى السُّلمي أن يحذر صحبة الجهال ، لما فيهم من نقص ودناءة وقد يصيب أي فرد يصحبهما بأمراض في النفس تجعله يسوء ظنه

١ـ المصدر السابق صـــ٩١، ١١٥ ، ١١٦، كذلك السُّلمي آداب الصحبة تحقيق قسطر صـــ٥٨ ، ٧٩
٢ـ نفس المصدر صـــ٤١، ٦٥ ، كذلك آداب الصحبة تحقيق قسطر صـــ٢٧ ، ٦٣ .
٣ـ السُّلمي ـ جوامع آداب الصوفية ، صـــ٤٤ .

بـالخلق جميعـاً ويسفل طباعـه ، وهـؤلاء الجهـال والأشـرار كمـا يبـدو لـي هـم مـن استعبدتهم الدنيا فهم يعملون لها .

وكالعادة فإن السُّلمي لم يكن في آدابه في الصحبه أنانياً ، بل كان محباً لغيره ، فإن نصح بالابتعاد عن الجهال والأشرار فقد أوصى بالدعاء لهم ليعافيهم الله من هذه الأمور ، وهذه الآداب والتعاليم جميعها هي تعاليم الإسلام من قرآن وسنة ، ولم يدخل في آداب السُّلمي أي مصدر غريب عن الإسلام .

ب ـ آداب الصحبة مع الضيف عند السُّلمي تكون " بحسن البشر وطلاقة الوجه وطيب الحديث وإظهار السرور والكون عند أمره ونهيه ، ورؤية فضله حيث أطربك بدخول منزلك وتكرم بأكل طعامك " [1] وهنا يتضح أيضاً بعد السُّلمي عن الأنانية ، فيقول لصاحب البيت ، أن يجعل الضيف يشعر أن البيت بيته ، فيستقبله بالتهليل والترحيب ، ويحدثه بالكلام الطيب حتى لا يشعر الضيف أن هناك فرقاً وكلفة بينه وبين صاحب البيت ، ومن ثم تكون قواعد الإخاء قد اكتملت ، كما يقول الشاعر :

يسترسل الضيف فيما بيننا كرما ** فليس يعرف فينا أينا الضيف [2]

وهذه الآداب الخاصة بالضيف ، هي ما دعي إليه الرسول صلى الله عليه وسلم من إكرام الضيف والإحسان إليه

جـ ـ أما عن آداب الصحبة مع الجار عند السُّلمي فيقول عنها يجب أن يلتزم الإنسان " بحسن المجاورة ، وأن يأمنك جارك في كل أسبابه ، في نفسه ودينه وأهله وماله وولده ، فإن النبي ρ قال : "لا يؤمن أحدكم حتى يأمن جاره بوائقه " [3] [4]

وآداب الصحبة مع الجار عند السُّلمي هي ما نادى به الرسول وأقرها القرآن وكأن آداب الصحبة مع الآخرين جميعها عند السُّلمي لا تخرج عن القرآن والسنة .

١ـ المرجع السابق ، صـ١٢١ ، كذلك آداب الصحبة ، تحقيق قسطر صـ١٨٣ .
٢ـ نفس المرجع صـ١٢٢ ، كذلك قسطر صـ١٨٥ .
٣ـ محيي الدين النووي ، رياض الصالحين ٣٠٨ .
٤ـ السُّلمي آداب الصحبة ، تحقيق مجدي السيد صـ٨٧ ، كذلك آداب الصحبة تحقيق قسطر صـ٥٦ .

د ـ وأما آداب الصحبة مع السلطان فيرى السُّلمي أنها تكون " بالطاعة إلا أن يأمر بمعصية أو مخالفة سنة ، فإذا أمر بهذا الأمر فلا سمع ولا طاعة ، والدعاء له بظهر الغيب ليصلحه الله ، ويصلح على يديه ، والنصيحة له في جميع أموره والصلاة والجهاد معه ". [١]

وعلى هذا فإن السُّلمي لم ينشق عن الجماعة في طاعة ولي الأمر ، فالطاعة للسلطان واجبة ، ما لم يأمر بمعصية ، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وخلاف هذا فعلى الرعية أن تدعوا إلى السلطان ليصلح الله أمره ، حتى تصلح رعيته ، وكأن الدعاء للسلطان دعاء للفرد ، لأن صلاح السلطان يعود على الفرد والجماعة .

هـ ـ وقد تناول السُّلمي آداب الصحبة مع السوقى والتجار فيقول : " أن لا تخلف وعدك معهم وتعذرهم في أخلاقهم ومواعيدهم ، ومن جاءك يشتري منك شيئاً فأعلم أن ذلك رزق ساقه الله إليك حلال ، وإذا ربحت فأحمد الله ، وإذا ربح أخوك وباع شيئاً تفرح بذلك كفرحك ببيعك وربحك ، فأنه روي عن النبي ρ أنه قال : " لا يجد حلاوة الإيمان ، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " [٢] ولا تشتري ببيعك معه يمين ، ولا بكذب ، ولا بخيانة ، ولا بهذه الصروف المحرمة ، وإذا أخذت الميزان بيدك فاذكر ميزان العدل ، والقسط الذي عليك احذر التطفيف فإن الله تعالى يقول: [وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ] **[سورة: المطففين ـ الآية: ١]** [٣]

وحسن العشرة مع السوقى والتجار عند السُّلمي تتسم بمعاملتهم بالأخلاق الطيبة واتباع المعروف ، وعلى الإنسان حب الخير لغيره كما يحبه لنفسه .

ومن خلال مناقشة آداب الصحبة عند السُّلمي بأقسامها المختلفة أستطيع أن أصل إلى أن السُّلمي ، لا يقصد بالصحبة الصداقة ، بمعناها صداقة فقط وإنما حمل

١ـ نفس المرجع صـــــ١١٨ ، ١١٩ ، كذلك تحقيق قسطر صـــــ٨١
٢ـ مسلم صحيح بشرح الإمام النوري ، جـ٢ صـــــ١٦ ، دار الكتب العلمية بيروت ، بدون تاريخ. .
٣ـ السُّلمي ، آداب الصحبة ، تحقيق نجدي السيد ، صـــــ٨١ ، ٨٢ ، كذلك السُّلمي ، آداب الصحبة وحسن العشرة ، تحقيق قسطر صـــــ٥٣ .

معنى كلمة صحبة عنده عدة معاني ، منها أن الصحبة هي المعاملة الحياتية وهي الموجودة مع السوقى والتجار ، أو تكون علاقة طاعة وانصياع مثل الموجودة بين السلطان والرعية ، أو أنها أخلاق تربوية ، كالتي وضعها السُّلمي بين الجيران والضيف وغيره ، أو تكون الصحبة بمعني الصداقة ، كالموجودة بين الإخوان أو تكون بمعنى العبادة وهي الموجودة بين العبد وربه .

وآداب الصحبة التي وضعها السُّلمي كلها لا تخرج عن الكتاب والسنة ، فلا يكاد يخلو كل قسم منها إلا ويضع آداباً جاءت في القرآن أو أوصى بها الرسول ρ في حديث له ، أو اتخذها الصحابة عنه ، فكل آدابه مؤيدة بآيات الكتاب وأحاديث النبي ρ . وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على بيان الجانب السني في تصوف السُّلمي.

د ـ آداب السلوك :

عندما نريد أن نسلك طريقاً ، غير ممهد ، أو غير معروف لنا فإننا نأخذ معنا دليلاً حتى يرشدنا كيفية السلوك في هذا الطريق . لذلك فإن لطريق التصوف آداباً في سلوكه هي بمثابة الدليل له ، وتشمل هذه الآداب آداباً للجوارح في سلوكها للطريق ولتعاملها مع أصحابها ومع إخوانها وربها ، وآداباً يلتزم بها المسافر في الطريق إلى الله ، وقد جاءت آداب السلوك عند السُّلمي على النحو التالي :

١ـ آداب الجوارح :

من المعلوم أن للعلاقات بين الأفراد آداباً أخلاقية ، سواء كانت آداباً في الصحبة أو آداباً في المعاملة ، كذلك فإن للجوارح آداباً يلتزم بها الفرد نفسه ، ويلزم جوارحه بها ، ولهذا ينصح السُّلمي الصوفي السالك للطريق إلى الله بقوله : " أن لا يشغلوا ـ الصوفية ـ جوارحهم إلا موافقة مولاهم ، وأن يعذروا إخوانهم فيما يجري عليهم ، ولا يعيرونهم إلا في ترك فريضة أو ارتكاب كبيرة " [1]

١ـ السُّلمي ـ جوامع آداب الصوفية ـ صـ١٣ .

ويضع السُّلمي لكل جارحة في الإنسان آدابا تلتزم بها وهي كما يلي :

- **آداب العين** : يقول السُّلمي : " أن ينظر - الصوفي - إلى إخوانه نظرة مودة ومحبة يعرفها منك هو ومن حضر المجلس ، وأن يكون نظره إلى محاسنه- أخيه الصوفي- وإلى أحسن شيء يصدر منه ، وأن لا يصرف عنه بصره في وقت أقاله عليه ، وكلامه معه " [(١)]

على السالك عند السُّلمي أن ينظر إلى محاسن أخيه ويغض النظر عن العيوب و ألا ينظر إلى ما حرم الله ، لأن للعين شهوة وعندما يستعمل الإنسان شهوة النظر ، فإنه ينزع من عينه الاعتبار بآيات الله ، وفي هذا يقول السُّلمي " فهناك شهوة في النظر ، ومن لم يحفظ العين على العبرة عمي عن الاعتبار ". [(٢)]

- **وآداب الأذن** عند السُّلمي هي : " أن يستمع إلى حديث أخيه سماع مشتهي لما سمعه ومتلذذ به " [(٣)] وعلى السالك أيضاً عند السُّلمي أن " يصن نفسه وسمعه عن الاستماع إلى الكذب ، والغيبة والبهتان والفضول فإن الله تعالى يقول: [إِنّ السّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلّ أُولـَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً] **[سورة: الإسراء - الآية: ٣٦]** [(٤)] وكما أن للبصر شهوة فإن للسمع شهوة وعلى الإنسان أن لا يستعملها وليستمع إلى أحسن الحديث وأفضل القول .

- **وآداب اللسان** عند السُّلمي يقول : " أن تكلم إخوانك بما يحبون ، وتبذل لهم نصيحتك وتدلهم على ما فيه صلاحهم ، وتسقط من كلامك ما تعلم أن أخاك يكرهه ، من حديث أو لفظ أو غيره ، ولا ترفع عليه صوتك ، ولا تخاطبه بما لا يفهم ، وكلمه بمقدار فهمه وعلمه " [(٥)] وعلى السالكين كما يرى السُّلمي " أن يطهروا أفواههم ظاهراً بالماء

١- السُّلمي - آداب الصحبة ، تحقيق مجدي السيد ، صـ١٢٢ ، كذلك السُّلمي آداب الصحبة - تحقيق قسطر صـ٨٥ .
٢- السُّلمي - جوامع آداب الصوفية ، صـ١٨ .
٣- السُّلمي ، آداب الصحبة - تحقيق مجدي السيد صـ١٢٢ كذلك آداب الصحبة تحقيق قسطر صـ٨٥
٤- السُّلمي ، وصية ، صـ٥١ ، ضمن كتاب عيوب النفس ، تحقيق مجدي السيد.
٥- السُّلمي ، آداب الصحبة ، تحقيق مجدي السيد صـ١٢٣ ، كذلك تحقيق قسطر صـ٨٥ .

والسواك ، وباطنا بالتوبة والندم والاستغفار " [١] وعن آداب اللسان فإن السُّلمي يريد أن لا ينطق اللسان إلا بالصدق والأمانة ويبتعد عن الكذب والغيبة ، فقد قال ρ " وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم " [٢]

واللسان هو عضو هام في الجسم رغم أنه أصغر الأعضاء حجماً وأضعفها قوة ، من الناحية الجسمية ، أما من الناحية المعنوية فأنه أكبرها حجماً وأقواها لأنه هو الذي يعبر عن الجسم كله ، وهو الذي ينطق باسم صاحبه من آراء ومعتقدات وأفكار وتعبيرات ، وهذا كله يجعل اللسان ذا قيمة كبيرة بل يجعل اللسان هو الإنسان ككل ، فإن حفظ الإنسان لسانه أدخله الله نعيمه وجنته وأن ترك الإنسان لجام لسانه وأعطى له الحرية ، ساقه هذا إلى جحيم الله وناره ، وعلى الإنسان أن يطهر لسانه ظاهرا وباطنا ، فعلى اللسان أن يكون طوعاً لصاحبه ، ولا يكون صاحبه طوعاً له لأنه أكبر سائق إلى النار ، لذلك أوصى السُّلمي بطهارة اللسان ظاهراً وباطناً .

- **وآداب اليدين** عند السُّلمي في السلوك بأن " تكون مبسوطتين لإخوانه بالبر والمعونة ، ولا تقبضها عنهم وعن الأفضال عليهم ومعونتهم فيما يستعينون به ، وآداب الرجل أن يماشي إخوانه على حد التبع ، ولا يتقدمهم ، فإن قربهم إلى نفسه تقرب إليه بمقدار ما يعلم أنه يحتاج إلى موضعه " [٣]

واليد والرجل عند السُّلمي عضوان هامان في الإنسان فلا يبطش بهما ، ولا يستعملها فيما يبغض الله ويجلب غضبه ، بل على الإنسان أن يشغلهما في خدمة إخوانه وفي أعمال الخير .

١- السُّلمي ، وصية ، صـ٥١ ، ضمن عيوب النفس ، تحقيق مجدي السيد .
٢- ابن ماجة السنن ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، جـ٢، ٣٩٧٣ ، المكتبة العلمية بيروت ، الترمذي ، السنن ، جـ٤ ، ٢٧٤٩ .
٣- السُّلمي ، آداب الصحبة - تحقيق مجدي السيد ، صـ١٢٣ ، ١٢٤ ، كذلك تحقيق قسطر ، صـ٨٥، ٨٦ .

ـ **وآداب البطن** عند السُّلمي هي " كراهية الأكل وحده ، وقلة الأكل ، واجتناب الشبع ، قال الجنيد (ت: ٢٩٧هـ) : " الصوفي طعامه طعام المرضى ونومه نوم الغرقى ". [١]

وكعادة السُّلمي وشعاره اللا أنانية ، ويستخدم هذا الشعار حتى في الأكل ، فيرى كراهية الأكل وحده ، لأن هذا من دواعي الأنانية ، كما أن كثرة الأكل والنوم إسراف ويرى السُّلمي اجتناب الشبع . وهذا من وجهة نظري لعدة أسباب: لأن الشبع يضيع على الإنسان خيرات كثيرة منها ، أن الشبع يخرج من قلب السالك رحمة الفقير ، لأنه عندما يشبع يظن الناس كلهم شبعى ، والشبع يثقل من أداء الفرائض ، ويزيد شهوات النفس من النظر والسمع والكلام وغيرها .

وهذه هي آداب الجوارح الظاهرة التي هي عنوان آداب السرائر ، يقول السُّلمي على السالك " مراعاة ظاهره لصحبة الخلق وعشرتهم . فإن مراعاة باطنه- السالك- أولى لأنه موضع نظر الله ، وآداب الباطن ، تكون بملازمة الإخلاص والتوكل والخوف والرجاء والرضا والصبر وسلامة الصدر وحسن الظن بهم ـ الصوفية ". [٢]

أن كانت آداب الجوارح الظاهرة (من سمع وبصر وبطن ويد ولسان) وضعها السُّلمي على نهج الكتاب والسنة ، فهو أيضاً يضع آداب الباطن هي الأخرى على منهج الكتاب والسنة ، وأول هذه الآداب الإخلاص أو التوحيد المطلق لله ، وهذا الأصل هو لب الإسلام ، وأما التوكل والخوف والرجاء وسلامة الصدر ، فهذه توابع الإخلاص والتوحيد ، وتوجد عند الإنسان عندما يكون صادقاً في إخلاصه ، وهذه الآداب لا تخرج عن الكتاب والسنة في شيء .

٢ـ آداب السفر :

ومن آداب السلوك آداب السفر ، ويوصي السُّلمي المسافر (السالك) قائلاً : " على المسافر في طريق الله أن يتبع هذه الآداب ، إذا سافر عليه أن يسلم على إخوانه

١ـ السُّلمي ، جوامع آداب الصوفية ـ صـ١٢، ٤٢ .
٢ـ السُّلمي ، آداب الصحبة ، تحقيق مجدي السيد صـ١٢٥ ، كذلك تحقيق قسطر ، صـ٨٦ .

ويزورهم لعله أن يكون لأحدهم حاجة في وجهه الذي يتوجه إليه " [١] ، وعليه أيضاً " حسن الصحبة وخدمة الرفقاء وترك الخيانة في الأسباب وعلى المسافر حمل ما لابد منه في السفر مما لا يصلح أداء الفرائض إلا به ".[٢]

ومن الأخطاء التي يقع فيها الصوفي في سفره عند السُّلمي ، أن يجعل سفره تكبراً على أبناء جنسه ممن لم يسافروا ، يقول السُّلمي :" ومن غلطات الصوفية أن يجعلوا أسفارهم لأنفسهم وللقاء المشايخ تكبراً على أبناء جنسهم ممن لم يسافروا سفرهم ، وهذا غلط لأنه ما لهذا سافر القوم ، وإنما سافروا لتستبين لهم أخلاقهم، فيعلموا مالا يصلح من أخلاقهم فيبدلونه ، ومن كان قصده من لقاء المشايخ أن يأخذ منهم كلامهم فيروح به على العامة فهو متعن في سفره وقصده ، ومن كان قصده الافتخار بأنه رأي فلانا أو فلانا فهو مراء ، ومن كان قصده التأدب بهم والأخذ عنهم والائتمار بأمرهم ، فأولئك هم المسافرون الظافرون ، ومن طلبت نفسه إقبال شيخ عليه أو كرامة له فإن سفره كسفر من انتقل من العلم إلى الجهل ولا ينتفع بذلك أبداً ". [٣]

والسفر إذا عند السُّلمي إنما القصد والغرض منه تعديل أخلاق الرجال ، فمن كانت أخلاقه بها شوائب فعليه أن ينقها من خلال سفره ، ولا يكون غرضه من سفره وسياحته التكبر على الآخرين أو سماع الحكايات عن المشايخ وترديدها لجذب النظر إليه ، وإنما الغرض الأول من سفر الصوفية هو التحلي بالأخلاق الحميدة والحسنة ونبذ الأخلاق السيئة والرديئة .

وآداب السلوك إذاً عند السُّلمي هي الأخرى سار فيها على نهج الكتاب والسنة ولم يوجد فيها أي نوع من الأفكار الشاذة أو الغريبة عن الإسلام ، وإن كان من الملاحظ أن هذه الآداب اقتصرها السُّلمي على الصوفية خلال تعاملاتهم مع بعضهم أو مع الآخرين ، وكأن السُّلمي يرى أن يكون الجميع صوفية ، فهو يعلي من شأنهم

١ـ المرجع السابق ، صـــ١١٣ ، كذلك آداب الصحبة ، تحقيق قسطر صـــ٧٦ .
٢ـ السُّلمي ، جوامع آداب الصوفية ، صـــــ٨ ، ٢٣ .
٣ـ السُّلمي ، غلطات الصوفية ، صـــ١٨٠ ، ١٨١ ، ضمن كتاب (أصول الملامتية وغلطات الصوفية) ، تحقيق عبد الفتاح الفاوي .

ويجل من قدرهم ، ويقصد السُّلمي بالصوفية أنهم السائرون على منهاج النبي ρ والمطبقون لدستور القرآن الكريم ، وكأنه يرى الصوفية هنا من أهل السنة والسلف ، فهذه الآداب وتلك الأخلاق لا تخرج عن الكتاب والسنة ولا تخرج عن الأخلاق التي ألزم بها السلفية وأهل السنة أنفسهم ، وبهذا فأني أرى أن الصوفي عند السُّلمي هو الإنسان العادي ولكنه من طبق آداب السنة وتعاليم الكتاب .

هـ ـ مصدر الإلزام الخلقي عند السُّلمي :

عندما نتساءل لماذا ينبغي علينا أن نعمل ما يجب علينا عمله ؟ فإننا نتطرق إلى موضوع هام في الأخلاق وهو مصدر الإلزام الخلقي ، الذي اختلف في تحديده بين المفكرين والعلماء ، فقيل أن مصدر الإلزام الخلقي هو الدين ، أي الأوامر والنواهي التي وردت في الكتب المقدسة ، وهذه الأوامر والنواهي هي بمثابة ضوابط يضعها الدين ليسير عليها الأفراد ، وقيل أن مصدر الإلزام هو الضمير ، والضمير هو الصوت الداخلي الذي ينادي الإنسان بأن يفعل هذا ولا يفعل هذا ، وهذا الصوت هو الذي يحكم على أفعال الإنسان وتصرفاته . وقيل أن مصدر الإلزام هو المجتمع والقوانين أو العادات والتقاليد وغيرها .

وبعد هذه المقدمة ما هو مصدر الالتزام عند السُّلمي إذن ؟ نادى السُّلمي بأن مصدر الإلزام الخلقي هو الدين ، واتباع الأوامر التي جاءت في القرآن الكريم وسنة النبي ρ ، فقد قال تعالى: [خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ] **[سورة: الأعراف ـ الآية: ١٩٩]** ، يقول السُّلمي : لما نزلت هذه الآية قال جبريل : يا محمد أتيتك بمكارم الأخلاق ! فقال : ما هي ؟ قال : أن تعفو عن من ظلمك وتعطي من حرمك ، وتصل من قطعك ، وتعرض عن من جهل عليك ، وتحسن لمن أساء إليك ، فقال بذلك رسول الله ρ لكي يقتدي به ، في أمته من بعده ". [(١)]

وفي هذا يتفق السُّلمي مع الأشاعرة في مصدر الإلزام الخلفي ، فيرى الأشاعرة أن الأفعال لا توصف بأنها حسنة أو قبيحة بل مرجع ذلك إلى الشرع ،

١ـ السُّلمي ، المقدمة في التصوف ، صـــ٦١ .

فالحسن ما أثني الشرع على فاعله والقبيح ما يذم فاعله . فالواجبات كلها سمعيه والعقل لا يوجب شيئا ولا يقتضي تحسينا ولا تقبيحاً . [١]

ويقول السُّلمي مؤكداً أن مصدر الالتزام الخلقي هو الدين (من قرآن وسنه) " أن من الآداب التي تأدب بها أرباب الأحوال من أولياء الله ما أدب الله تعالى نبيه ρ بقوله : [وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمْرِ] [سورة: آل عمران - الأية: ١٥٩] هذا عن مصدر الإلزام المأخوذ من السنة وهو أخلاق النبي الكريم ρ ، أما مصدر الإلزام من داخل القرآن فيرى السُّلمي أن تعاليم القرآن كلها آداب وأخلاق فيقول السُّلمي " ومن ذلك ما أدب الله به الخلق بقوله تعالى: [إِنّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِي الْقُرْبَىَ وَيَنْهَىَ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ] [سورة: النحل - الأية: ٩٠]. [٢]

وهذه الآداب والتعاليم الموجودة داخل القرآن والسنة دليل على أن مصدر الإلزام الخلقي عند السُّلمي هو الدين .

و- السعادة عند السُّلمي :

ما دام السُّلمي جعل مصدر الإلزام الخلقي هو الدين ، وتطبيق أوامر الكتاب والسنة ، فهل السعادة في تطبيق هذه الأوامر ؟ والانصياع للدين ؟ أم أن السعادة في تحقيق اللذات الحسية والشهوات الطبيعية عند السُّلمي ؟

إن الاختلاف حول مصدر الإلزام الخلقي ، هو نفسه الاختلاف حول السعادة ، فهل السعادة في تحقيق اللذات الحسية ؟ أم أنها في إطاعة أوامر القانون ؟ أم أن السعادة في تحقيق الخيرات والأمر بالمعروف والوصول إلى الغايات ؟ أم أن السعادة في الخلوة والبعد عن الناس ؟

١- د. محمود ماضي ، منهج بن القيم في أصول الدين ، صـــــ١٦١ .
٢- السُّلمي ، جوامع آداب الصوفية ، صـــــ١، ٢ .

لقد وجد سقراط (ت: ٣٩٩ق. م) أن السعادة في إطاعة القوانين على أساس أنها مقياس الفضيلة ، وكان يطلب سقراط من الآخرين أن يكونوا معتدلين في تحقيق شهواتهم ، فلا يكون الإنسان عبداً لهذه الشهوات .

وقد رأي أفلاطون أن السعادة ليست في إشباع الرغبات وإنما تتحقق بالتمسك بالفضيلة ، ويرى أفلاطون أن من ينساق وراء إشباع رغباته فهو شقي ،لأنه يرغب دائما في الاستزادة، شأنه شأن من يحاول ملئ قربة مثقوبة ، فالسعادة عند أفلاطون تقوم في تحقيق النظام وحياة الفضيلة ، والفضائل ثلاث هي الحكمة والعفة والشجاعة وجميعها يدخل تحت فضيلة واحدة هي العدالة ، فالسعادة في تحقيق العدالة التي هي أسمى وأبهي الغايات .[١]

فالسعادة عند أفلاطون وسقراط تتمثل في تحقيق الفضيلة ، وهذا ما ذهب إليه المعلم الثاني الفارابي ، فرأي أن الإنسان السعيد هو الإنسان الفاضل والمدينة السعيدة هي المدينة الفاضلة ، والإنسان يصل إلى غايته باكتساب الفضائل والخيرات ، ذلك أن الفضائل مفاتيح السعادة ، والإنسان يحصل على السعادة عن طريق اكتساب الفضائل وعلى رأسها الفضائل الأخلاقية [٢] ، وبهذا فأن نظرية السعادة عند الفارابي متأثرة بآراء كل من سقراط وأفلاطون .

ويرى ابن سنيا أن كمال الوجود هو كمال الخير ، والنفوس البشرية تتطلع إلى الجواهر العلوية ، لأن السعادة إدراك الكمال ، فالخير المطلق عشق مطلق ، لأن الخير يتجلى لعاشقه والخير المطلق هو غاية النفوس البشرية والحركات السماوية ، وبقدر علو النفس وصفائها بما اكتسبه من الخيرات والكمالات تكون بهجتها وسعادتها . [٣]

أما السعادة عند الغزالي تكون بالقرب من الله ، وهذا لن يتم إلا بتهذيب الخلق وترويض النفس ، حتى ينكشف النور الجلي ؟ ويظهر معدن الإنسان الحقيقي وجوهره

١ـ د. محمد محمود عبد الحميد أبو قحف ، تاريخ الفلسفة اليونانية، جـ١، صــ٥٦ ، ٧٧ ، ٧٨، دار الحضارة للطباعة والنشر طنطا ، ١٩٩٧ .
٢ـ د . سعيد مراد ، نظرية السعادة عند فلاسفة الإسلام ، صـ٥٠، ٥٢ ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ، ١٩٩٢ .
٣ـ نفس المرجع ، صـ٧٠ .

الروحاني . يقول الغزالي : " إذا كان مقصد ذوي الألباب لقاء الله تعالى في دار الثواب فلا طريق إلى ذلك إلا بالعمل والتخلق بأحسن الخلق ، ومن خالف ذلك فقد هلك " ، ويقول أيضاً أن " كيمياء السعادة لا تكون إلا في خزائن الله سبحانه وتعالى ففي السماء جواهر الملائكة وفي الأرض قلوب الأولياء العارفين فكل من طلب هذه الكيمياء من غير حضرة النبوة ، فقد اخطأ الطريق " وهذا النص يرى أن طريق السعادة هو الأخذ عن النبي ρ ، الذي جاء بالشريعة قولاً وبالحقيقة عملاً وسلوكاً . (١)

إن كانت السعادة عند الفلاسفة هي الوصول إلى الفضائل وعمل الخيرات وتحقيق الغايات وإشباع الرغبات وتحقيق اللذات ففي أي شيء وجد السُّلمي السعادة ؟ وما هو السبيل إليها ؟

إن السعادة عند السُّلمي في طاعة الله حيث يقول السُّلمي : " إلا يشغلك عن الله تعالى أهل ولا مال ولا ولد فتخسر عمرك ، قال الله تعالى: [يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ] **[سورة: المنافقون ـ الآية: ٩]** ، ويقربك إلى الله تعالى ذكره بقراءة كتابه والتدبر والتفكر والتفهم فيما خاطبك به من أوامره ونواهيه ، فتمتثل لأمره وتنزجر عن نواهيه " (٢)

فاللذة الحسية من مال وولد أذن ليست مقصداً أو غاية عند السُّلمي ، إنما هي وسيلة لغاية أخرى " وهي رضا الله " فالسعادة الحقيقية عند السُّلمي تكون في طاعة الله واتباع أوامره والبعد عن نواهيه .

والطريق الموصل لهذه السعادة يكون عن طريق اتهام النفس الأمارة بالسوء وقبول النصيحة من الغير ، واتباع سنة رسول الله ρ والعمل بأخلاق الصحابة والتابعين .

يبدو أن شغل السُّلمي الشاغل هو رضا الله ، فالسعادة عنده في رضا الله وعدم عصيانه فيما دق وجل ، والسعادة عنده تشبه السعادة عند الغزالي ، فهما متفقان في

١ـ المرجع السابق ، صـــ١١٤ ، ١٢٠ .
٢ـ السُّلمي ، وصية ، صــ٤١ ، ضمن كتاب " عيوب النفس " تحقيق مجدي السيد .

البعد عن النواهي والعمل بالأوامر الإلهية ، والسعادة الحقيقية في الآخرة عندما يثاب المطيع ويعاقب العاصي .

لهذا يقول السُلمي " وواجب على المؤمن أن يتجنب عشرة طلاب الدنيا ، فإنهم يدلون على طلبها وجمعها ومتعها وذلك الذي يبعده عن طلب نجاته ويقطعه عنها ويجتهد في معاشرة أهل الخير ومن يدله على طلب الآخرة وطلب مولاه " [١] ، ويقول أيضاً على الصوفي " التعزز بالانقطاع إلى الله علما بأن من سواه فقير إليه وأنه الغني المتعال وأن من تعزز بغيره فهو ذليل أبداً ، فالتعزز به ليعزه في الدارين ويكفيه من همهما ولا يقدر على ذلك غيره " [٢]

ثانياً : النفس عند السُلمي :

كما سبق وقلنا أن العلاقة بين النفس الإنسانية والأخلاق ، علاقة تبعية ، أي أن كلاً منهم تابع للآخر ، فإن كانت النفس هي الحاملة للأخلاق ، أي لا توجد أخلاق بدون نفس تلتزم بها ، فإن الأخلاق هي السائسة لهذه النفس ، فبدون الأخلاق تترك النفس لرعونتها وشهواتها ، وتكون نفساً حيوانية ، وإن كانت الأخلاق هي الطباع والعادات والأوامر والنواهي ، فبدون النفس لا يوجد ناحية علمية تطبق فيها هذه الأخلاق .

وللنفس أكثر من معنى فهي من ناحية أخرى يقصد بها الإنسان وحقيقته أو يقصد بها الروح التي بها حياة الإنسان ، ومن ناحية أخرى يقصد بها القوة الجامعة للشهوة في الإنسان ، ولهذا دعا المتصوفة إلى مجاهدة النفس وترويضها للوصول إلى الكمالات الأخلاقية ، وكذلك تقع النفس موقع القلب والضمير الذي يكون فيه السر الخفي أو هي معنى في الإنسان يوجهه إلى أفعال الخير والشر كما يقال : " أمرتني نفسي ".[٣]

١ـ السُلمي ، آداب الصحبة ، تحقيق مجدي السيد ، صــ٤٦ ، ٤٧ .
٢ـ السُلمي ، جوامع آداب الصوفية ، صــ٦٤ .
٣ـ د. حسن الشرقاوي ، ألفاظ الصوفية ومعانيها ، صــ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، ١٩٧٥ .

فإذا لم يعرف الإنسان نفسه على حقيقتها ، فيعرف أغوارها وغوائلها ويقف على آفاتها ذهبت مجاهدته سدى ، ولذلك كان من أوائل ما انتدب الصوفية أنفسهم له التأمل والنظر في النفس ومحاسبتها . [١]

ومن ذلك يتضح أن مرادفات كلمة نفس كثيرة ، قد تكون الروح أو الضمير أو الإنسان ككل ، أو النفس التي يحيا بها الإنسان ، وأين كانت المسميات فإن النفس تحمل بداخلها المتناقضات ، فهي مبدأ الشر ورأس الرذيلة ، وهي أيضا مبدأ الخير والفضيلة، فقد قال تعالى: [إِنّ النّفْسَ لأمّارَةٌ بِالسّوَءِ] **[سورة: يوسف - الأية: ٥٣]** وقال تعالى : [يَأَيّتُهَا النّفْسُ الْمُطْمَئِنّةُ * ارْجِعِي إِلَىَ رَبّكِ رَاضِيَةً مّرْضِيّةً] **[سورة: الفجر - الأية:٢٧، ٢٨]** وأن كانت النفس أمارة بالسوء ومطمئنة ، فما هو موقف السُّلمي منها ؟

<u>أ - ماهية النفس :</u>

يقول القشيري (ت: ٤٦٦هـ) نفس الشيء في اللغة وجوده ، وعند القوم - الصوفية - ليس المراد من إطلاق لفظ النفس الوجود ولا القالب الموضوع (أي الجسم) إنما أرادوا بالنفس : ما كان معلولا لأي ذي علة وصفة ذميمة من أوصاف العبد ومذموما من أخلاقه وأفعاله " [٢]

وإلى قريب من هذا المعنى يقول السُّلمي " أن النفس أصل الشرور ورأس البلاء ، قال تعالى: [إِنّ النّفْسَ لأمّارَةٌ بِالسّوَءِ] **[سورة: يوسف - الأية: ٥٣]** ، وقال تعالى: [وَنَهَى النّفْسَ عَنِ الْهَوَىَ] **[سورة: النازعات - الآية: ٤٠]** وقال: [أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتّخَذَ إِلَـَهَهُ هَوَاهُ] **[سورة: الجاثية - الآية: ٢٣]** وغيرها من الآيات ما يدل على شرور النفس وقلة رغبتها في الخير " [٣] ويقرر السُّلمي أيضاً أن النفس معيبة وناقصة وكلها شرور إذ يقول " مع إقراري بأنه لا يمكن استيفائي معايبها - النفس - وكيف يمكن ذلك ، والنفس معيبة لجميع أوصافها ، فهي لا تخلو من عيب ، وكيف يمكن إحصاء عيب

١- د . أبو العلا العفيفي ، التصوف الثورة الروحية ، صـ٨٨ ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٤٢ .
٢- القشيري ، الرسالة القشيرية ، جـ١، صـ٢٤٨ .
٣- السُّلمي عيوب النفس ودوائها مع مقدمة عن الدراسات النفسية عند الصوفية ، تحقيق وتقديم د. محمد السيد الجليند ، صـ٧٧ ، دار قباء القاهرة ٢٠٠١ ، كذلك السُّلمي، عيوب النفس ، تحقيق مجدي السيد صـ٥

ما كلها عيوب ؟ وقد وصفها الله تعالى بأنها لأمارة بالسوء إلا أنه ربما يصلح العبد من عيوبها شيئا ببعض المداواة فيسقط عنه من عيوبها " [(١)]

النفس إذن عند السُّلمي والقشيري ليست هي أصل وجود الأشياء وليست هي الجسم ككل ، إنما هي رأس الخطيئة وبؤرة المعصية ، إنها الأمارة بالسوء الباحثة عن المعصية ، المطالبة بالشهوة ، الباعثة للأخلاق الدنيئة ، وعلى الإنسان أن لا يطلق اللجام لنفسه ، وعليه أن يسيطر عليها ويكسر شهوتها ، ورعونتها لهذا يوصي السُّلمي الإنسان بأن " يطالب نفسه في كل وقت بما هو أولى بها في ذلك الوقت ، ويطالب أيضاً نفسه بالصدق في إخلاصه وفي جميع تصرفاته ". [٢]

وإقرار السُّلمي بأن النفس معيبة وكلها عيوب ، يجعلني أرى أن النفس عنده قريبة من الجسد ، حيث أن الجسد هو المركب أو الغلاف الذي يحمل بداخله النفس التي تجري من الجسد مجرى الماء في الورد ، والنار في الفحم ، فهي والجسد مهيئان لعمل المعصية في أي وقت ، حيث أن الجسد بطبيعته ميال إلى الشهوة والنفس هي الأمارة له بها . وقول السُّلمي أن النفس كلها عيب لا يقصد إعابة على الخلقة أو نقص فيها بأن النفس ميالة بطبيعتها إلى العيب أو فعل المعصية والرذيلة ، فقد اهتم السُّلمي والقشيري بالنفس من الناحية الصوفية، مبتعدين عن الناحية الفلسفية أما فلاسفة الإسلام فقد حذوا حذو فلاسفة اليونان في تعريفهم للنفس وجوهريتها عن البدن وعلو شأنها ورفعة مكانها ، فقد عرف الكندي (ت: ٢٥٢هـ) النفس بأنها " تمامية جسم طبيعي ذي آلة قابلة للحياة ، ويقال هي استكمال أول لجسم طبيعي ذي حياة بالقوة ، ويقال هي جوهر عقلي متحرك من ذاته بعدد مؤلف " [(٣)]

ويعرف ابن سنيا (ت: ٤٢٨هـ) النفس بأنها " كمال أول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يفعل الأفعال الكائنة بالاختيار الفكري ، والاستنباط بالرأي ، ومن جهة ما

١ـ المرجع السابق ، صـــ١١٧ ، راجع كذلك عيوب النفس تحقيق ، مجدي السيد ، صـــ٣٨ .
٢ ـ السُّلمي ، وصية صـ ٤٤ ضمن كتاب عيوب النفس ، تحقيق مجدي السيد .
٣ـ د. فيصل بدر عون ، الفلسفة الإسلامية في المشرق ، صـــ١٧٣ ، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة ، بدون تاريخ.

يدرك الأمور الكلية " .[١]

وتعريف النفس عند فلاسفة الإسلام مأخوذ من تعريف أرسطو للنفس حيث يقول: " النفس كمال أول لجسم طبيعي آلي " فيرى أرسطو أن النفس جوهر مجرد عن المادة ، لا هو جسم ولا حال في جسم غير أن له علاقة بذلك الجسم ، وهي علاقة التدبير والتصرف " .[٢]

ومن خلال تعريف فلاسفة الإسلام للنفس نلاحظ أن الإنسان يتكون من جزأين هما الكمال والنقص أو بلغة الفلاسفة الصورة والهيولا ، أو النفس والجسد والنفس عندهم ترمز للكمال بينما الجسد رمز النقص والاحتياج ، وهذا مغاير لرأي السُّلمي في النفس التي يرى أنها ، عيب بل كلها عيب ، ويتضح لنا هنا اختلاف الصوفية خاصة السُّلمي مع الفلاسفة المسلمين خاصة (ابن سينا والكندي) في النفس وتعريفها .

وما دام السُّلمي قد جعل النفس كلها عيوب ، فهل ممكن تصليح هذه العيوب وعلاج هذه الأمراض ؟ هل يستطيع الإنسان أن يتخلص من رعونة نفسه ويصلح من شأنها ؟ أجاب السُّلمي بأنه يمكن ذلك عن طريق معرفة عيوب النفس ومعالجتها .

لكن في البداية هل هناك أنواع مختلفة من النفس أم أنها نفس واحدة : أرى أن النفس عند السُّلمي واحدة لكنها لها صور كثيرة ، فهي واحدة من حيث العدد متعددة من حيث الصور أو الأشكال ، أستطيع أن أستخلص من خلال مؤلفات السُّلمي هذه الصور أو الأشكال المختلفة للنفس وهي :

١ـ **النفس الأمارة** : وهي التي تميل إلى الطبيعة الدنيئة ، وتأمر باللذات والشهوات الحسية وتجذب القلب إلى الآثام والشرور، وهذا الشكل يتضح من تعريف النفس عند السُّلمي بأنها " كلها عيب " [٣]

١ـ الشيخ الرئيس الحسين بن علي بن سينا ، النجاة (مختصر الشفاء) (وهو في الحكمة المنطقية والطبيعة الإلهية)، صـ٢٥٨ مطبعة السعادة مصر ١٣٣١ هـ.
٢ـ د. محمود ماضي ، في فلسفة أبن سينا تحليل ـ نقد صـ١٠٧ در الدعوة ط ١الإسكندرية ١٩٩٧ .
٣ـ السُّلمي ، عيوب النفس ودواؤها ، تحقيق محمد السيد الجليند ، صـــ١١٧ .

٢ ـ **النفس اللوامة** : وهي التي تلوم نفسها عندما يصدر منها إثم أو سيئة وتتوب منها ، وتتضح هذه النفس ، وهذا الشكل من خلال تأليف السُّلمي لكتاب " أصول الملامتية" .

٣ ـ **النفس المطمئنة** : وهي التي عالجت الصفات المذمومة في النفس الأمارة ، وتحلت بالأخلاق الحميدة ، فقد عالجت نفسها من العيوب وتخلصت منها ، حتى صفت وأصبحت نقيه ، ففازت بالطمأنينة ، وهذه النفس واضحة من قوله تعالى [يَأَيّتُهَا النّفْسُ الْمُطْمَئِنّةُ * ارْجِعِي إِلَىَ رَبّكِ رَاضِيَةً مّرْضِيّةً] **[سورة: الفجر ـ الآية:٢٧، ٢٨]** وفي هذا الرجوع تكون النفس قد تخلصت من جهالتها وتنبهت من غفلتها ، وهنا تكون النفس مستعدة لتلقي ما يأتيها من العالم العلوي من الهامات ، وهي أعلى أنواع أو أشكال النفس .

وهذه الأنفس الثلاثة أو الأشكال الثلاثة ، هي بمثابة قوى النفس عند الفلاسفة فقد قسم ابن سينا القوى النفسانية إلى ثلاث مراتب : " أولها تعرف بالقوة النباتية لأجل اشتراك الحيوان والنبات فيها ، وثانيها تعرف بالقوة الحيوانية ، وثالثهما : تعرف بالقوة الناطقة ، الأولى كالتغذية والنمو (في النبات والحيوان) والثانية يشترك فيها الحيوان فقط مثل الإحساس والتخيل والحركة الإرادية ، والثالثة تختص بالإنسان وهو العقل " والقوى الثلاثة من الملاحظ أنها متداخلة ، أي أن القوى الناطقة تشتمل على القوى الحيوانية والنباتية ، فهي تنمو وتتغذى ، وكذلك تحس وتتخيل ، فضلاً عن وظيفتها الأساسية وهي التعقل ، والنفس الإنسانية هي ذلك الخليط من الثلاث قوى فهي نباتية تتغذى وتنمو وهي حيوانية تحس وتدرك وتتخيل وهي ناطقة تعقل وتفكر " . [(١)]

وهذه القوى الثلاثة هي أشكال أو صور النفس عند السُّلمي ، فنستطيع أن نربط بين قوى النفس عند ابن سينا وأشكال النفس عند السُّلمي ، حيث أن النفس الأمارة هي النفس النباتية والحيوانية ، أو النفس الشهوانية والحسية التي لا تعرف سوى التغذي والنمو والحس ، أما النفس اللوامة والمطمئنة ، فهي النفس الناطقة العاقلة ، التي تحكم الإنسان وتسوسه إلى طريق الصواب ، وتلومه عند فعل المعصية والخطأ ، وتأمره

١ـ د. محمود ماضي ، في فلسفة أين سينا صـــ١٢١ .

بالتوبة من الذنب وإصلاح العيب.

ب ـ العلاقة بين النفس والروح عند السُّلمي :

بعد الحديث عن النفس وصورها عند السُّلمي ، نجد مصطلح آخر يجب توضيحه وهو الروح ، فهل كانت الروح هي النفس عند السُّلمي ؟ أم أنها مخالفة لها متغايرة عنها ؟

يرى بعض السلفية ومنهم ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) ، أن النفس والروح اسمان مرادفان لمعنى واحد ، ويدلك على ما ذهب إليه بقوله أن النفس في القرآن تطلق على الذات بجملتها ، لقوله تعالى: [فَسَلِّمُواْ عَلَىَ أَنفُسِكُمْ] **[سورة: النور ـ الأية: ٦١]** وقوله تعالى: [يَوْمَ تَأْتِي كُلّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نّفْسِهَا] **[سورة: النحل ـ الأية: ١١١]** ، وتطلق على الروح وحدها ، كقوله تعالى [يَأَيّتُهَا النّفْسُ الْمُطْمَئِنّةُ] **[سورة الفجر ـ آية: ٢٧]** وتطلق الروح على القرآن في قوله تعالى: [وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مّنْ أَمْرِنَا] **[سورة: الشورى ـ الأية: ٥٢]** .

وسميت الروح روحاً لأن بها حياة البدن ومنها الروح والإيمان فسميت النفس روحاً لحصول الحياة بها ... فالفرق بين النفس والروح فرق بالصفات لا فرق بالذات ، فإذا أضيفت إلى قوى البدن سميت أيضاً روحاً . (١)

وقد فرق الغزالي بين الروح والنفس ، فيرى أن الروح جسم لطيف بخاري ينشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن وهو من يفيض بأنوار الحياة على الجسم ، والروح أيضاً هي اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان ، وهي أحد معنى القلب وهي التي أرادها الله تعالى بقوله: [وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرّوحِ قُلِ الرّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبّي وَمَآ أُوتِيتُم مّن الْعِلْمِ إِلاّ قَلِيلاً] **[سورة: الإسراء ـ الأية: ٨٥]** وهي أمر عجيب رباني تعجز أكثر العقول والأفهام عند درك الحقيقة ، أما النفس فهي الجامع لقوتي الغضب والشهوة في الإنسان وهذا هو الغالب عند الصوفية ، وهي أيضاً اللطيفة ، وهي حقيقة

١ـ د. محمود ماضي ، منهج بين القيم في أصول الدين ، صــ٩٦ ، ٩٧ .

الإنسان ونفسه وذاته ، ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها وهي النفس المطمئنة واللوامة والأمارة بالسوء ". [١]

ونعود الآن إلى السُّلمي ورأيه في العلاقة بين الروح والنفس ، فيرى أن النفس متغايره عن الروح حيث يقول " أن الروح خصها الله بالطاقة الخلقية " [٢] بينما يصف السُّلمي النفس بأنها" كلها عيب " [٣] وهذا يدل على التمايز بين النفس والروح عند السُّلمي ، فالنفس عنده مركب الشهوات واللذات ، بينما الروح لطيفة بسيطة بعيده عن الشهوات واللذة .

ويسير القشيري (ت: ٤٦٥هـ) على نهج شيخه السُّلمي تفرقته بين النفس والروح إذ يقول " النفس عندهم ـ الصوفية ـ شر محض وهي محل الأخلاق المذمومة وموضع نظر الخلق ، أما الروح فهي مبدأ الحياة ، ومحل الأخلاق المحمودة ، وهي لطيفة نقية متحررة من سلطان النفس يعزو إليها الصوفية جميع مظاهر الإنسان الروحية ، وهي من أمر الله ، لا يدرك كنهها ، كما أنها محل المحبة ". [٤]

ويتفق السُّلمي مع الغزالي والقشيري في التمييز بين النفس والروح ، بينما يختلف مع ابن قيم الجوزية ، وهذا الاتفاق والاختلاف يدل على أن معظم الصوفية اتفقوا على مغايرة النفس للروح .

<u>جـ ـ حدوث النفس والروح وفناؤهما عند السُّلمي :</u>

وكالعادة فقد اختلف الفقهاء والفلاسفة والمتصوفة في حدوث الروح والنفس وقدمهما ، وفنائهما ، وخلودهما، و سوف أوضح هذا فيما يلي :

ذهب ابن سينا قائلاً : " أن النفس تحدث كما يحدث البدن الصالح لاستعمالها إياه ، ويكون البدن الحادث مملكتها وآلتها " ، ويضيف ابن سينا " أن النفس الإنسانية

١ـ د . سعيد مراد ، نظرية السعادة عند فلاسفة الإسلام ، صـ١١١ .
٢ـ السُّلمي ، غلطات الصوفية ، صـــ١٩٤ ، ضمن كتاب أصول الملامتية غلطات الصوفية تحقيق د. عبد الفتاح الغاوي .
٣ـ السُّلمي ، عيوب النفس ومداواتها ، تحقيق الجليند صـــ١١٧ ، كذلك راجع عيوب النفس ، تحقيق مجدي السيد صـ٣٨ .
٤ـ القشيري ، الرسالة القشيرية ، جـ١، صـــــ٢٤٨ ، ٢٥٠ .

لم تكن قائمة مفارقة للأبدان ثم حصلت في الأبدان . فلا تكون قديمة لم تزل ، ويكون حدوثها مع بدن ، فقد صح إذن أن الأنفس تحدث كلما تحدث مادة بدنية صالحة لاستعمالها إياها ، فيكون البدن الحادث مملكتها وآلتها ". [١]

ورغم أن ابن سينا قال بحدوث النفس مع حدوث البدن إلا أنه أكد خلود النفس وأبديتها وقد أثبت ابن سينا خلود النفس بعدد من الأدلة منها :

- دليل الاتصال : فيرى أن النفس خالدة باقية بعد فناء بدنها لذلك يقول " أن النفس لا تموت بموت البدن ولا تقبل الفساد أصلاً " أما أنها لا تموت بموت البدن ، فلأن كل شيء يفسد بفساد شيء آخر فهو متعلق به نوعاً من التعلق ، والنفس غير متعلقة بالبدن ، لأن النفس جوهر بسيط غير البدن [٢]

- ومن الأدلة على خلود النفس عند ابن سينا دليل البساطة ، يقول ابن سينا : " النفس جوهر روحاني بسيط ، والأشياء البسيطة المفارقة الذات لا يجتمع فيها التركيب والبسيط ، لا يفسد بحال من الأحوال ويبين أن جوهر النفس ليس فيه قوة تفسد " [٣]

وقد ذهب الغزالي نفس مذهب ابن سينا القائل بخلود النفس ، ويضع الغزالي أدلة خلود النفس وعدم فنائها قائلاً : " أن كل جوهر ليس في محل يستحيل عليه العدم بل البسائط لا تنعدم قط " ويقول أيضاً " النفس بسيطة وهي صورة مجردة عن المادة لا تركيب فيها أي أنها موجود أحادي الذات ، وكل موجود أحادي الذات يستحيل عليه العدم ". [٤]

ويرى ابن قيم الجوزية (ت : ٧٥١هـ) وهو من السلفية أن النفس محدثة مخلوقة هي والروح - لأن النفس والروح عنده شيء واحد أو مترادفتان - وهي من أمر الله تعالى ، فيرى أن العالم حادث وأن معاد الأبدان واقع وأن الله تعالى وحده الخالق ،

١- ابن سينا ، النجاة ، صـــ٣٠١ .
٢- نفس المرجع ، صــ٣٠٢ .
٣- نفس المرجع صـــــ٣٠٨ .
٤- الأمام الغزالي ، تهافت الفلاسفة ، تحقيق وتقديم د. سليمان دنيا صـــ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، دار المعارف ط٧ القاهرة ، ١٩٨٧ .

وكل ما سواه مخلوق له ، ويقول نعلم أيضاً أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد أجمعوا على أن الأنفس محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة ، فضلاً عن إجماع الصحابة التابعين على ذلك فلا قديم إلا الله ". (١)

أما رأي السُّلمي في قدم النفس والروح وحدوثهما ، فقد رأي أن النفس والروح مخلوقان ، وما داما مخلوقين فإنهما حادثان ، فقد وصف السُّلمي النفس بأنها " كلها عيب " ، ويقول السُّلمي عن الروح " أنها مخلوقة ليس بينها وبين الله نسب ، إلا أنه خصها بلطافة خلقة " ، والدليل على ذلك قوله تعالى : [وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرّوحِ قُلِ الرّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبّي] **[سورة: الإسراء - الآية: ٨٥]**. (٢)

والنفس كلها عيب عند السُّلمي ، والروح عنده خصها الله بلطافة خلقة ، وهذا دليل على تباين النفس والروح ، فالروح رمز البساطة واللطافة ، والنفس رمز الخسة والعيب ، " كل منها مخلوق لله ، أذن هما حادثان عنده .

ويرى السُّلمي فناء الروح والنفس لأنهما مخلوقان وكل مخلوق فأني لأن رب العزة أقسم قائلاً: [كُلّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] **[سورة: القصص - الآية: ٨٨]** وإن لم يقل السُّلمي بالفناء صراحة فإن هذا واضح من خلال قوله بأن الروح مخلوقة وحادثة ، وأن الله وحده هو الأزلي الخالد ، وعلى ذلك يختلف السُّلمي مع ابن سينا والغزالي في قولهما بخلود النفس بينما يتفق مع ابن قيم الجوزية في قوله بفنائها.

وأرى أن النفس والروح حادثان لأنهما مخلوقان لله عز وجل ، لأنه لو قلنا بأزلية أي منهما لأوقعنا هذا في الشرك ، لأنه لا قديم إلا الله ، فهو الواحد الصمد ، لا قديم معه ، وإلا لفسدت الأرض والأكوان جميعاً ، وما داما مخلوقين فهما فانيان ، فالله خص نفسه بالوحدة والخلود ، وكتب على عباده الفناء ، فخص الله نفسه بالديمومة ، وخص خلقه بالزوال والفناء ، يقول تعالى : [لّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ] فلا أحد يجب غيره عز وجل قائلاً: [للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهّارِ] **[سورة: غافر - الآية: ١٦]**.

١ـ د. محمود ماضي ، منهج ابن قيم الجوزية في أصول الدين ، صـ١٠٠ .
٢ـ السُّلمي ، أصول الملامتية وغلطات الصوفية ، صــــ٩٤ .

وما دامت النفس كلها عيوب عند السُّلمي ، فهل يمكن إصلاح هذه العيوب ؟ هل من توبة ورجوع للتخلص من هذه العيوب ؟ وهنا نصل إلى مداواة السُّلمي لعيوب النفس .

د ـ عيوب النفس ودواؤها عند السُّلمي :

لقد تحدث كثير من الصوفية عن عيوب النفس واجمعوا كلهم على وجوب علاج هذه العيوب ، وقد اعتني التصوف الإسلامي بالنفس وأمراضها وطريقة علاجها ، وكما يبحث الأطباء في أمراض الجسد وعلاجه ، يبحث الصوفية في أمراض النفس وعلاجها . وقد شخص السُّلمي هذه الأمراض والعيوب ، ورسم طريقة علاجها ، ويمكنني تقسيم هذه العيوب التي أوردها السُّلمي في كتاباته إلى ثلاثة أنواع رئيسية ، أضع تحت هذه الأنواع عيوب النفس التي حددها السُّلمي وهذه الأنواع هي :

١ـ عيوب تتصل بالنفس وعلاقتها بالله .

٢ـ عيوب تتصل بعلاقة النفس بالآخرين .

٣ـ عيوب تتصل بالنفس مع ذاتها ، أو علاقة النفس بذاتها .

وقد استخرج السُّلمي هذه العيوب عن طريق الكتاب والسنة وقام بعلاج هذه العيوب عن طريقهما أيضاً ، مستعيناً بسيرة السلف الصالح والتابعين .

١ـ عيوب النفس التى تتصل بعلاقتها بالله :

أن علاقة النفس بالله علاقة وطيدة ، وهي علاقة الخالق بالمخلوق ، علاقة احتياج من النفس الناقصة إلى الله الكامل ، ولهذا كان على النفس أن تحدد في البداية ما ينبغي أن يقصد لذاته وما يقصد لغيره أو تفرق بين الغاية والوسيلة ، لهذا فقد حدد السُّلمي عيوباً كثيرة تقع فيها النفس في علاقتها بالله ، وقد جمع السُّلمي هذه العيوب حتى تكون العلاقة بين النفس وخالقها علاقة نقية ، ليس بها أي شوائب ، ولهذا قام السُّلمي بعلاج ومداواة هذه العيوب ، وأهم هذه العيوب التي تتصل بعلاقتها بالله كما يراها السُّلمي :

* " استكشاف الضر ممن لا يملكه ، ورجاؤه ممن لا يقدر عليه ، واهتمامها بالرزق وقد تكفل لها الرزق ، وقلة اهتمامها بعمل افترضه الله عليها لا يقوم عنه غيرها ، ومداواة هذا العيب ، بالرجوع إلى صحة الإيمان بما أخبر الله في كتابه: [وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] [سورة: يونس - الأية: ١٠٧] ، وعلى الإنسان أن يعلم أن الله الذي خلقه ضمن له كفاية رزقه ، فقال عز وجل: [اللّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ] [سورة: الروم - الأية: ٤٠] ويقول أيضا: [وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا] [سورة: هود - الأية: ٦] ، فكما لا يشك في الخلق لا يشك في الرزق "[1]

وفي هذا يرجع السُّلمي الأمر كله لله فهو الضار النافع الرزاق ، ويرى أن الاهتمام بالرزق وضمانه عيب في النفس ، لأن الضامن له هو الله ، الذي خلق الإنسان وخلق معه رزقه ، وعلى الإنسان أن يقوم بعمله الذي خلق لأجله وهيئ له ألا وهو العبادة .

فالسؤال لغير الله وطلب الرزق والاهتمام به إنما هو ضعف إيمان وقلة اطمئنان في القلب ، فعلى الإنسان أن يطلب سؤاله من الله : لا أنه عز وجل كريم يعطي من يشاء بغير حساب ، ولا يعتني الإنسان برزقه ولا يهتم به وليعمل عمله الذي كلف به لأن الله هو الرزاق العليم .

* ومن عيوب النفس مع الله أيضاً عنده " أنها تستخير الله تعالى في أفعالها ثم تسخط فيما يختار لها ، ومن عيوبها كثرة التمني ، وهو الاعتراض على الله تعالى ، في قضائه وقدره " .

ومداواة هذا " أن يعلم الإنسان ، أنه لا يلم من الأشياء إلا ظواهرها ، والله يعلم بواطنها وحقائقها فإن حسن اختيار الله له خير من اختياره لنفسه ، ويعلم الإنسان أنه مُدَبرَ لا مدبِر ، وأن سخطه للقضاء لا يغير المقضي ، ويلزم نفسه طريق الرضا

١ـ السُّلمي ، عيوب النفس ، تحقيق محمد السيد الجليند صـ٨٠، ٨١، ٩٧ ، كذلك عيوب النفس تحقيق مجدي فتحي السيد صـ٧ ، ٢٢ .

بالقضاء ويسترح ، وعليه أن يعلم أنه لا يدري ما يعقب التمني ، أيجره إلى خير أم شر ، إلى ما يرضيه أو إلى ما يسخطه ، فإذا أيقن عاقبة تمنيه أسقط من نفسه ذلك ، ورجع إلى الرضا والتسليم فيسترح " (١)

وهذا العيب وعلاجه يبين أن السُّلمي شديد التسليم لله راضيا بقضاء الله ، ويرشد السُّلمي الآخرين إلى عدم الوقوع في مثل هذا العيب ، الذي يصيب أي إنسان وهو لا يدري ، فعلى كل إنسان أن يضع نصب عينيه الرضا بالقضاء ، وقبول الموجود ، وعدم تمني غيره .

* ومن العيوب أيضاً" كثرة الذنوب والمخالفات إلى أن يقسو القلب ، وقلة الاعتبار بما يراه من إمهال الله إياه في ذنوبه ، والإصرار على الذنب مع تمني الرحمة ورجاء المغفرة ".

ومداواة هذا كثرة الاستغفار ، والتوبة في كل نفس ، ومداومة القيام والتهجد بالليل ، وخدمة أهل الخير ، ومجالسة الصالحين ، وحضور مجالس الذكر ، فقد قال رسول الله ρ " إني لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة " (٢) وعلى العبد أن يرى ذلك الإمهال من الله إمهال ليس إهمال ، كما أن الله يغفر لمن لا يصر على الذنب ، حيث قال: [وَلَمْ يُصِرّواْ عَلَىَ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ] **[سورة: آل عمران - الأية: ١٣٥]**. (٣)

وهنا ينادي السُّلمي الإنسان العاصي بالتوبة من عصيانه والرجوع إلى ربه ، وعدم الإصرار على ذنبه ، وعليه أن يستغفر الله ، ويعتبر من إمهال الله له ، حتى ينجو من حبائل النار . والتوبة من هذا العيب أو المرض عند السُّلمي حتى يخرج العاصي من حديث الرسول ρ يقول فيه " إن العبد إذا أذنب نكت في قلبه نكتة سوداء فإن تاب واستغفر الله ذهبت ، فإن أذنب نكت في قلبه نكته أخرى إلى أن يصير القلب

١- المرجع السابق صـــ٩١ ، ٩٢ ، كذلك راجع عيوب النفس، تحقيق مجدي السيد ، صـــــ١٧، ١٨ .
٢- أبن ماجة ، السنن جـ٢، ٣٨١٦ .
٣- السُّلمي ، عيوب النفس ، تحقيق الجليند ، صـــ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٨ ، كذلك عيوب النفس ، تحقيق مجدي السيد ، صـــــ٣، ٢٦٠، ٣١ .

غيتا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا ، ثم قرأ النبي ρ [كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىَ قُلُوبِهِمْ مّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ] [سورة: المطففين ـ الأية: ١٤] (١)

* ومن أكبر العيوب التي تقع فيها النفس في علاقتها بالله عند السُّلمي ، هو الرياء ويتضح هذا من قول السُّلمي " أن يطيع ـ العبد ـ ولا يجد لطاعته لذة ، وذلك لشوب طاعته بالرياء ، وقلة إخلاصه في ذلك ، ... وفقدان لذة الطاعة أيضاً من سقم القلب وخيانة السر ، ... ومن مظاهر الرياء عند السُّلمي أيضا ، الاشتغال بتزيين الظاهر والتخشع من غير خشوع ، والتعبد من غير حضور ، ... ومن مظاهره أيضاً الترسم برسم الصلاح من غير مطالبة القلب بالإخلاص ".

وللتخلص من هذا العيب ، يقول السُّلمي " بمطالبة النفس بالإخلاص وملازمة السنة في الأفعال ، وتصحيح مبادئ الأمور ليصح لها منتهاها ، وأكل الحلال ومداومة الذكر ، والتضرع إلى الله في ذلك ليمن على قلبه بالصحة بزوال ظلمات الأسقام فيجد لذة الطاعة ـ كما يجب على الإنسان ـ الاشتغال بحفظ الأسرار لتزين أنوار باطنه أفعال ظاهرة ، فيكون مزيناً من غير زينة ، ولذا قال ، ρ " من أصلح الله سريرته ، أصلح الله علانيته " (٢) وعليك بترك الخشوع الظاهر إلا بقدر ما يرى من خشوع الباطن في قلبه وسره ، لأن النبي ρ قال ، " المتشبه بما لم يعط كلابس ثوبي زور ". (٣) (٤)

وقد جمع السُّلمي في هذا العيب فروع الرياء من رعاية ظاهر وإهمال باطن ، وفقد لذة الطاعة ، وغيرها من ألوان الرياء ، والرياء هو نقطة انطلاق باقي العيوب ، وهو البذرة التي تتفرع منها باقي العيوب والذنوب ، فالرياء يجعل الإنسان كذابا ، خائنا ، سارقا ، ينم ويغتاب الناس ، يهتم بإرضاء الناس ولا يهمه رب الناس ، وهذه أحد مظاهر الرياء المتعددة ، لهذا أكد السُّلمي على الخلاص من هذا العيب وعلاج

١ـ أحمد بن حنبل المسند ، جـ٢، صـ٢٩٧ ، الترمذي ، ٣٣٩٠ .

٢ـ الحافظ بن شيروية الديلمي ، الفردوس ، تحقيق وتقديم فؤاد أحمد الزمرلي ، جـ٤، ٦٢٢٨ ، دار الكتاب العربي ، بدون تاريخ .

٣ـ أحمد بن حنبل ، المسند ، جـ٦ ، صـ١٦٧ ، سنن أبي داود ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، جـ٤، ٤٩٩٧ المكتبة العصرية ببيروت ، بدون تاريخ.

٤ـ السُّلمي ، عيوب النفس ، تحقيق الجليند ، صـ٨١ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١٠٢ ، كذلك عيوب النفس ، تحقيق مجدي السيد، صـ٨ ، ١٣ ، ٢٦ .

هذا الرياء بالإخلاص في العبادة وتوحيد الله وعدم الإشراك به شيئاً ، ويقول المحاسبي عن الرياء :" إن العبد يعمل العمل له عند الناس قدر عظيم ولا يعلمون به ، فتغلى بذلك غليانا ـ نفسه ـ لتقول به ، مثل هذه الفضيلة لا يعلم بها أحد ، لو علموا منك لقمت عندهم مقاماً كبيراً ، لا يعلم العبد أن في ذلك ضعت قدره عند الله عز وجل "[١]

وبذلك يرى السُّلمي والمحاسبي بأن الرياء نوع من الشرك ، حيث أن المرائي يهتم لأمر الناس ويخشاهم ، ويزين ظاهره لهم ، ويهمل رب الناس ولا يهتم لأمره ، ويخرب باطنه ، ولهذا فلا خلاص من هذا العيب إلا بالإخلاص في العبادة لله ، وتجنب الكبر والبعد عن مظاهر الرياء التي تقرب منه مثل الكذب والغيبة والنميمة وغيرها من الأخلاق المذمومة.

كما أن السُّلمي يريد أن يصل العبد في عبادته إلى حد اللذة ، واللذة تنبع من المحبة ، فمن أحب شيء ونال ما أحبه وجد اللذة به ، والله هو الغاية وهو النهاية ، فلا يستحق أن يطلب ويقصد ويحب لذاته سواه عز وجل ، فالعبادة عند السُّلمي ، ليست خوفاً من نار الله ، ولا طمعاً في جنته ، بل هي عبادة خالصة لوجه الله الكريم ، ويجب التلذذ بهذه العبادة وليس تأديتها فقط ، فلا يتدخل إليها الضيق أو الضجر ، فهي لذة وسعادة ، ليس بها شقاء أو ندم ، وقد اتبع السُّلمي في علاج عيوب النفس وعلاقتها بربها آداب وتعاليم الكتاب والسنة ، فلا يكاد يخلو معالجة عيب من آية أو حديث .

<u>٢ـ عيوب النفس مع الآخرين :</u>

لا تخلو الحياة من الآخر ، والآخرين هم من نحيا معهم ونعاملهم ونعاشرهم ، والنفس بطبيعتها تميل إلى السوء ، ولهذا فهي كثيراً ما تسيء إلى الآخرين ممن نحيا معهم ، ولهذا بحث السُّلمي في العيوب والأمراض التي تلحق بالنفس عند تعاملها مع الآخرين ، ولا ننسى حديث الرسول ρ " المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من

١ـ المحاسبي ، الرعاية لحقوق الله ، تحقيق د. عبد الحليم محمود ، صـــ١٨٠ ، ١٨١ ، دار المعارف ، ط١ القاهرة، بدون تاريخ .

يخالل " [١] كما قال عليه الصلاة والسلام " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " [٢] . هذه الأحاديث وغيرها من سنة المصطفى ρ ما يجعلنا نتعلم كيفية معاملة الآخرين ، ولكن النفس مريضه دائماً ، ولهذا ذكر السُّلمي العيوب التي تتصل بالنفس وعلاقتها بالآخرين وقام بعلاج هذه الأمراض ، ومن هذه العيوب ما يلي :

* " اشتغالها - النفس - بعيوب الناس وعماها عن عيبها ، ومحبتها الإفشاء لعيوب إخوانه وأصحابه ".

ومداواة هذا العيب " أقل ما فيه إذا لم يعمل في مداواة عيوب نفسه أن يسكت عن عيوب الناس ، ويعزرهم فيها ، ويستر عليهم خزاياهم ، رجاء أن يصلح الله بذلك عيوبهم ، فإن النبي ρ قال " من ستر على أخيه المسلم ستر الله عورته ، ومن تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته حتى يفضحه في جوف بيته ". [٣] [٤]

أن من السهل على الإنسان أن يرى عيوب الآخرين ، ويبحث عنها ، وربما يواجههم بها ، ويحاسبهم عليها وفي ذلك تنصيب من النفس حكماً على الآخرين ، أما رؤية الإنسان عيوبه أو بحثه عنها ، فإن ذلك عسير ومن الصعب على النفس فعله ، وإن رأي الإنسان عيوبه ، فإن التخلص من هذه العيوب أشد صعوبة ، ويضرب حجة الإسلام الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) مثالاً لهذا بقوله : " فهل رأيت قط رجلاً يشاهد تحت ثوبه حيات وعقارب أقبلت عليه لتهلكه فأخذ المروحة يدفع الذباب عن وجه غيره ، فهل يستحق من يفعل ذلك إلا الخذي ". [٥]

* ومن عيوب النفس مع الآخرين " طلب الرياسة بالعلم والتكبر والافتخار به والمباهاة على أبناء جنسه ، وإصلاح هذا العيب ، برؤية منة الله عليه في أن جعله وعاء لأحكامه ورؤية تقصره في شكره من نعمة الله عليه بالعلم والحكمة والتزام التواضع

١- أحمد بن حنبل، المسند جـ٢ ، صـ٣٠٣ ، وأبي داوٗد ، السنن ، جـ٤ ، ٤٨٣٣ .
٢- صحيح مسلم ، جـ٢، صـ١٦ ، سنن النسائي جـ٨ صـ١١٥ .
٣- ابن ماجة ، جـ٢، ٢٥٤٦ .
٤- السُّلمي ، عيوب النفس ، تحقيق الجليند صـ٨٥ ، كذلك عيوب النفس ، تحقيق مجدي السيد صـ١٢
٥- زكي محمود عدل الدين سالم ، الإنسان في فلسفة الغزالي وتصوفه ، صـ١٣٨ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، بدون تاريخ .

والانكسار والشفقة على الخلق والنصيحة لهم ، فأنه روي عن النبي ρ ، أنه قال : " من طلب العلم ليباهي به العلماء أو ليماري به السفهاء أو ليصرف به وجوه الناس إليه ، فليتبوأ مقعده من النار. [١] [٢]

يرى السُّلمي أن أكثر ما يواجه الإنسان من مخاطر الكبر والمباهاة والافتخار ، والتي من السهل أن يقع فيه أي إنسان ، فإن وهب الله الإنسان إي متاع من أمتعة الدنيا سواء مال أو ولد أو غيره افتخر على من لم يعطه الله مثله ، وذلك من عيوب النفس وأمراضها مع غيرها ، لهذا يقول السُّلمي أن وهب الله إنسان علماً ، فليزداد خشية ، وليترك التكبر جانباً ، فقد قال تعالى: [إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ] **[سورة: فاطر - الأية: ٢٨]** ، وهذا يعني أن من وهبه الله علماً أو مالاً أو ولداً فليزداد خشية وتواضع ، حتى يرفعه الله ويزيده .

* ومن عيوب النفس مع الآخرين عند السُّلمي " أنها إذا رضيت مدحت الراضي عنها فوق الحد ، وإذا غضبت ذمته وتجاوزت الحد ، وإصلاح هذا العيب ومداواته ، برياضة النفس على الصدق والحق حتى لا تتعدى في مدح من رضي عنها ولا في ذم من سخط ، فإن أكثر ذلك من قلة المبالاة بالأوامر والنواهي ، يقول النبي ρ " احثوا في وجه المادحين التراب " .[٣][٤]

وآفة أخرى يضعها السُّلمي للنفس مع الآخرين هي المدح أو الذم ، ويرى السُّلمي أنه يجب الإمساك عن المدح أو الذم ، لأنهما من رعونة النفس وهو نوع من الرياء ، ولذلك على الإنسان أن يلتزم الصدق ، ويعتاد عليه ، فمن استحق المدح مدح في حدوده ، وإن استحق الذم ذم في حدوده ، وليس خروجا عن الحد حتى لا يدخل في باب الرياء .

١- الترمذي ، جـ٤ ، ٢٧٩٢ .
٢- السُّلمي ، عيوب النفس ، تحقيق الجليند ، صـ٨٩ ، كذلك عيوب النفس ، تحقيق مجدي السيد ، صـ١٥ .
٣- أخرجه مسلم ١٨ / ١٢٨ / أبو داود ٤٨٠٤ .
٤ - نفس المصدر صـ٩١ ، كذلك عيوب النفس ، تحقيق مجدي السيد صـ١٧ .

* ومن عيوب النفس مع الآخرين أيضاً " حرصها على الدنيا ، والتكثر منها ، وتضييع أوقاتها بالاشتغال بما لا يعنيها من أمور الدنيا ، والخوض فيها مع أهلها ، وينتج عن حب الدنيا عند السُّلمي عيوب أخرى وهي الشح والبخل" .

ومداواة هذه العيوب " أن يعلم الإنسان أن الدنيا ليست بدار قرار ، وأن الآخرة دار مقر ، والعاقل من يعمل لدار قراره لا لمراحل سفره قال تعالى: [اعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ] **[سورة: الحديد ـ الأية: ٢٠]** ، كما أن الوقت هو أغلى الأشياء فعلى الإنسان أن يشغله بأغلى الأشياء وهو ذكر الله والمداومة على طاعته ، وعلى المرء ترك مالا يعنيه فقد قال النبي ρ : " من حسن إسلام المرء ترك مالا يعنيه " [1]ومن ترك مالا يعنيه شغل بما يعنيه ، وعليه أن يعلم أن الدنيا قليلة وأنها فانية وإن حلالها حساب وحرامها عقاب وعذاب ، فلا يبخل بها ولا يشح ولا يمسك إلا مقدار ما يدافع به وقته " [1]

وحب الدنيا رأس كل خطيئة ، ولهذا فإن السُّلمي يحذر من أن تأخذنا الدنيا في طياتها فتبعدنا عن الغاية التي من أجلها خلقنا ألا وهي العبادة ، ولهذا فيجب ـ كما يرى السُّلمي ـ مداومة ذكر الله وطاعته ، لأن بهما ينجي الإنسان من الهلاك .

* ومن عيوب النفس مع الآخرين الكذب والحسد ، وصحبة المخالفين والمعرضين عن الحق ، وإصلاح هذا العيب ومداواته ، بترك الاشتغال برضا الخلق ، وسخطهم فإن الذي يحمل صاحب الكذب على الكذب طلب رضى الناس أو التزين لهم وطلب الجاه عندهم كما أن الحسد عدو نعم الله ، وشيمة الحسد من قلة الشفقة على المسلمين ، وهذا سببه صحبة المخالفين المعرضين ، فيجب الرجوع إلى صحبة الموافقين والمقبولين عند الله ، فقد قال بعض السلف ، صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار".[2]

١ـ أخرجه الترمذي ١٤١٩ ـ ابن ماجه ٣٩٧٦

٢ـ السلمي : عيوب النفس ، صـــــ٩٥ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، كذلك عيوب النفس ، تحقيق مجدي السيد ، صـــــ٢٠،٢٨ ، ٣٠ .

٣ـ نفس المصدر ، صـــــ١٠٦، ١٠٨، ١١٠ ، كذلك عيوب النفس ، تحقيق مجدي السيد ، صـــــ٢٩، ٣١، ٣٢ .

وينصح السُّلمي في هذا العيب الإنسان بأن يقلع عن صفاته المذمومة التي تضر بالآخر دون أن تجلب خير للإنسان أو غيره ، فعليه أن يتبع الصدق وأن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه ، وعلى الإنسان مصاحبة الأخيار لأنهم زخر في بلاء وعدة في رخاء .

* ومن عيوب النفس مع الآخرين " رؤية فضله على إخوانه وأقرانه ، ومداواة ذلك رؤية فضل إخوانه وأقرانه ليحمله ذلك على احتقار نفسه ، ولا يصلح ذلك إلا بعد أن ينظر إلى الخلق أجمعين بعين الزيادة وينظر إلى نفسه بعين النقص ". [١]

ومن خلال عيوب النفس مع الآخرين عند السُّلمي أستطيع أن أرى أن دعوة السُّلمي لعلاج عيوب النفس مع الآخرين كانت واضحة وترمي إلى التواضع ، والبعد عن الرياء ، وتجنب الكبر ، لأن التواضع هو أساس الأخلاق الحميدة ، التي يناشدها الإسلام وينادي بها ، لأن بالتواضع شفقة ورحمة وحب للآخرين ، كما أن البعد عن الرياء يجعل المجتمع مجتمعاً صالحاً صادقاً فيما يقول ، صائباً فيما يفعل لأن البعد عن الرياء من أول خطواته الصدق في الحديث والإخلاص في العمل ، وتجنب الحسد هو الآخر من الأخلاق التي كان ينشدها السُّلمي ويحث عليها . وقد استعان السُّلمي في علاجه لعيوب النفس في علاقتها بالآخرين بالكتاب والسنة ، فكانت دعوة السُّلمي دائماً هي عبادة الله بإخلاص ، كما جاء ذلك في الكتاب الكريم والسنة المطهرة .

٣ـ عيوب النفس مع ذاتها :

من المسلم به أن النفس أمارة بالسوء ، ولهذا فقد وقعت وأصابها أمراض في علاقتها بربها ، وفي علاقتها بالآخرين ، وأصابها أيضاً أمراض مع ذاتها ، وهذه الأمراض ـ أمراض النفس مع ذاتها ـ هي أشدها ، لأنه عندما يكون اللص من داخل البيت يصعب اكتشافه ، ويكون ضرره كبير هكذا النفس ، فإنها عدو من الداخل ، ولهذا فإن مجاهدة الإنسان لها تكون أشق وأصعب ، وهذا النوع من العيوب قد يحبه المرء ولكن ينكره ، ويكره من يذكره به أو ينصحه للعلاج منه ، وهذا لأن النفس

١ـ المرجع السابق ، صـــــ١١٢، ١١٣ ، كذلك عيوب النفس ، تحقيق مجدي السيد صــــــ٣٥ .

محبوبة من الإنسان ، وهو دائماً أعمى عن عيب حبيبه ، وهذه العيوب التي تتصل بذات النفس ، توافق هواها ، لهذا فإنها لا تحاول الابتعاد أو الإقلاع عنها ، فهي دائماً راغبة في تحقيقها ، بعيداً عن علاجها لأن العلاج دائماً مخالف لهواها .

لذلك بحث السُّلمي في عيوب النفس مع ذاتها وأوضح هذه الأمراض والآفات وقام بعلاجها وهذا يتضح فيما يلي :

* من عيوبها " إماتتها باتباع الهوى والشهوات وموافقة رضاها ، فإن النفس إذا مكنت من ذلك ماتت عن الطاعات والموافقات كما أنها تألف الخواطر الرديئة ، فتستحكم عليها المخالفات".

ومداواة هذا " منعها عن مراداتها وحملها على المكاره ، ومخالفتها ، وهذا ما أمر الله به إذ يقول: [وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىَ] **[سورة: النازعات ـ الآية: ٤٠]** كما أنه يجب على الإنسان رد هذه الخواطر في الابتداء لئلا تستحكم ، وذلك بالذكر الدائم ، وملازمة الخوف ، وهذا يكون بالعلم ، حيث أن الله يعلم ما في سرك كما يعلم الخلق ما في علانيتك ، فتستحي منه أن تصلح للخلق موضع نظرهم ولا تصلح موضع نظر الحق ". [١]

دائماً تميل النفس إلى الشهوات والرغبات فإن استحكمت هذه الآثام من النفس ، فإنها لا تستطيع أن تسيطر عليها وبهذا تصبح نفساً أمارة ، أما عندما يقلع الإنسان عن هذه الخواطر والآفات في بدايتها ، فإنه يستطيع كسر جنوح نفسه ويروضها ويجعلها نفس مطمئنة ، تألف الخير وتحب الصالح ، وهذا ما أوصى به السُّلمي الإنسان ، بأن يراقب الله في سره وعلنه ويذكره كثيراً ، حتى تعود نفسه عن مخالفتها ، وتقلع عن سيئاتها .

* ومن عيوب النفس مع ذاتها " فترتها في حقوق كان يقوم بها قبل ذلك وأتم منه عيب من لا يهتم بتقصيره وفترته ، وأكثر من ذلك عيب من لا يرى فترته وتقصيره ، ثم

١ـ المرجع السابق ، صـ٨٤، ١٠٠، ١٠١ ، كذلك ، عيوب النفس ، تحقيق مجدي السيد ، صـ١٠، ٢٤ ، ٢٥ .

الأكثر من ذلك عيبا من يظن أنه متوفر مع فترته وتقصيره ، وهذا من قلة شكره في وقت توفيقه للقيام هذه الحقوق فلما قل شكره أزيل من مقام التوقير إلى مقام التقصير ، ويستر ـ الله ـ عليه نقصانه ، واستحسن قبائحه ، قال تعالى: [أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوَءَ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً] **[سورة: فاطر ـ الأية: ٨]**.

ومداواة هذا العيب ، بدوام الالتجاء إلى الله تعالى ، وملازمة ذكره وقراءة كتابه ، والبحث عن مطعمه ، وتعظيم حرمة المسلمين ، وسؤال أولياء الله الدعاء له بالرد إلى الحالة الأولى لعل الله أن يمن عليه بأن يفتح عليه سبيل خدمته وطاعته ".[١]

وهذا العيب أرى أنه مرتبط بالكسل والرياء والكذب ، فالإنسان يترك أعمال كان يقوم بها وهي أعمال الخير والعبادة ، ولا يهتم لتركه هذه الأعمال حتى ينتهي به الأمر إلى عدم فعل الخير ، وهو يظن في قرار نفسه أنه رجل خير وصالح وصادق كثير عمل الخير ، وهذا مثل من عمل كذب وصدق كذبه ، فيرى سوء عمله خير ، والإنسان يتخلص من هذا العيب بذكر الله وشكره وإطابة المطعم ، ورؤية تقصيره وأن زاد عملاً للخير .

* ومن عيوبها " الكسل ، ورؤية الشفقة عليها ، وطلبها الأعواض على أعمالها والطمع ، ويمكن التخلص من هذا بالتجويع فإنها إذا جاعت عدمت حظها وضعفت فغلب عليها القلب ، وحملها على الطاعة واسقط عنها الكسل ، لأن الكسل ميراث الشبع الذي يقوي النفس حتى تأخذ بحظها، وعلى النفس رؤية فضل الله عليها في جميع الأحوال ، حتى يسقط عنه رؤية النفس ، ويرى تقصيره في عمله وقلة إخلاصه فإن الكبير في عمله من أعرض عن طلب الأعواض أدبا ، علماً بأن الله قدر له بيته دنيا وآخره ، لأن طمعه يدخله في الرياء ، وينسيه حلاوة العبادة ويصير عبداً للعبيد بعد أن خلقة الله حراًَ من عبوديتهم ". [٢]

١ـ المرجع السابق ، صـــــ٨١ ، كذلك ، عيوب النفس ، تحقيق مجدي السيد ، صـــــ٨ .
٢ــ نفس المرجع ، صـــــ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٤ ، كذلك ، تحقيق مجدي السيد، صـــــ١١، ١٣ ، ١٤ ، ١٩.

ويجمع السُّلمي بين الكسل والطمع وهما نتائج طلب الأعواض ، فمن كسلت نفسه عن أداء ما هو مفروض عليها ، دعاه هذا إلى الطمع فيما ليس له ، ومن طلب العوض عن أي فعل أو عمل يفعله ، أداه ذلك إلى طلبه زيادة العوض له ، وهذا يتم معالجته ، بعدم إشباع رغبات الإنسان أي تجويع النفس عن رغباتها ، حتى لا تركن إلى الكسل وتتجه للعمل .

* ومن عيوبها " مد أملها وحرصها على الجمع والمنع ، ومداواتها تقريب الأجل وأن يعلم انتهاء عمره وقرب أجله ، فيجمع على قدر نفسه ويمنع بقدر حياته فمن لا يؤمن على نفسه من أنفاسه مجمعه غرور ومنعه لغيره ". [١]

* ومن عيوبها مع ذاتها " الغضب والحرص ، ومداواتها حمل النفس على الرضا بالقضاء لأنه لا يستجلب بحرصه زيادة ما قدر الله من رزقه ، كما روى ابن مسعود عن النبي ρ : " أن الله تعالى يقول للملك : أكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد " [٢] كما أن الغضب جمره من الشيطان ، والغضب يخرج العبد إلى حد الهلاك إذا لم يصحبه من الله زجر ومنع ، " فقد جاء رجلاً إلى رسول الله ρ فقال: أوصني ، فقال : لا تغضب ". [٣] [٤]

وبعد توضيح بعض عيوب النفس عند السُّلمي وعلاجها ، أستطيع أن أقول أن علاج السُّلمي لعيوب النفس لم يخرج عن الكتاب والسنة ، فلا يخلو علاج أو مداواة إلا ويأتي فيه بآية أو حديث أو سيرة السلف الصالح والتابعين .

ومن خلال العلاج والمداواة لهذه الأمراض كما وضعها السُّلمي ، أستطيع أن أستخلص وأبين علاج شامل لعيوب النفس فيما يلي :

١- المرجع السابق ، صـــــ١٠٧ ، ١١٠ ، كذلك عيوب النفس ، تحقيق مجدي السيد ، صـــــ٣٠، ٣٢
٢- صحيح مسلم ، جـ١٦، صـــــ١٨٩ ، أحمد ، المسند، جـ١، صـــــ٣٨٢ ، أبو داود ، جـ٤ ، ٤٧٠٨
٣- محيي الدين النوري - رياض الصالحين ، ٦٤٢ .
٤- السُّلمي ، عيوب النفس ، تحقيق السيد الجليند ، صـــــ١٠٦، ١٠٨ ، كذلك عيوب النفس ، تحقيق مجدي السيد ، صـــــ٢٩ ، ٣١ .

١ـ الحذر من النفس لأنها الأمارة بالسوء كما أنها تتلون بألوان كثيرة ، لهذا يقول المحاسبي (ت: ٢٤٣هـ) " أعرف نفسك فإنك لم ترد خيراً قط مهما قل إلا وهي تنازعك في خلافه ، ولا أعرض لك شراً إلا وكانت هي الداعية إليه ، فحق عليك حذرها لأنها لا تفتر عن الراحة إلى الدنيا والغفلة عن الآخرة " (١)

٢ـ التوبة والاستغفار والندم من كل عمل ، مما عملت ومما لم تعمل لأن مداومة التوبة والاستغفار حصن من الذنوب والآثام وإن حدث ذنباً أو إثم فأن بمداومة الاستغفار يغفر الله هذا الذنب ، فقال تعالى: [وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ] **[سورة: الأنفال - الآية: ٣٣].**

٣ـ تدبر القرآن الكريم والتفكر في معانيه ، فتلتزم بما أمر وتنتهي عما نهي ، لهذا يقول السُّلمي " الائتمار بأوامر القرآن ليدلهم على الخيرات ويرشدهم إلى سني المراتب ، وعرضهم في كل الأوقات أحوالهم وأخلاقهم وأفعالهم على القرآن ليعرفوا بذلك نقصهم " (٢)

فالقرآن الكريم هو دستور المسلمين الخالد وقد جمع كل شيء ، سواء كان دنيوي أو أخروي ، قال تعالى: [مّا فَرّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ] **[سورة: الأنعام - الأية: ٣٨].**

٤ـ الإقلاع عن المعصية والعزم على عدم العودة إليها بذكر الله كثيراً ومعرفة قدرة وجلاله.

٥ـ صحبة أهل الصلاح ، لأن أصحاب السوء صحبتهم تجعلنا نسيء الظن بأصحاب الصلاح وأهل الخير " فالمرء على دين خليله وعلى هذا يجب على الإنسان الابتعاد عن أهل السوء وأصحابه ، والالتجاء إلى أهل الخير وأحبابه ، لأنهم يدلون الإنسان إلى طريق الفلاح ويرشدونه إلى الخير والصلاح ، أما أصحاب السوء فيدلون على طريق جهنم وبئس المهاد .

١ـ المحاسبي ، الرعاية لحقوق الله ، صـــ٥٧ .
٢ـ السُّلمي ، جوامع آداب الصوفية صــــ٣٥ ، ٣٩ .

٦ـ كسر شهوة النفس وترويضها بمخالف هواها ورغباتها ،وجعلها تتبع أوامر الله وسنة رسوله ، عن الطاعة والعبادة وعمل الخير والتحلي بالأخلاق الطيبة.

٧ـ تحري الحلال من الطعام والكسب فالحلال من الكسب والطعام يؤدي إلى علاج عيوب النفس عامة .

٨ـ عداوة الشيطان ، لأنه عدو الإنسان قال تعالى: [إِنّ الشّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوّ فَاتّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَابِ السّعِيرِ] **[سورة: فاطر ـ الأية: ٦]** ، ولهذا على النفس مقاومة الشيطان لأنه غويا والنفس تميل دائماً إلى الهوى ، فعند معاداته ومقاومته ينكسر ويضعف وتبعد النفس عن هواها وتتبع ما هو مطلوب منها من الطاعة .

٩ـ يجب على الإنسان تقصير أمله واستعداده للموت بأخذ زاده للآخرة . من حسنات وطيبات والبعد عن السيئات والخبائث .

١٠ـ أن تجويع النفس من رغباتها وشهوتها ، حتى تضعف وتوهن وتنصاع لأوامر الله وتبعد عن أوامر الهوى ، أما بتحقيق رغباتها تزداد قوتها ولا يستطيع الإنسان السيطرة عليها ، بهذا العلاج الشامل ننتهي من عيوب النفس ، وتصفو النفس من أهوائها وتصبح نفساً مطمئنة وهذا هو الغرض المنشود من الحياة ، بأن تكون النفس راضية مرضيه لتدخل جنات عدن وتتقي النار التي وقودها الناس والحجارة .

الفصل الثالث

التفسير الإشاري عند السُّلمي

تمهيد

أولاً : التفسير وأنواعه وآراء العلماء في التفسير الصوفي

أ - مفهوم التفسير
ب - أنواع التفسير
جـ - آراء العلماء في التفسير الإشاري

ثانياً : منهج السُّلمي في التفسير

أ - سبب تأليف السُّلمي لتفسيره
ب - شرعية التفسير الإشاري
جـ - وصف التفسير
د - مصادر تفسير السُّلمي
هـ - مدرسة السُّلمي في التفسير

ثالثاً : حقائق التفسير بين الجرح والتعديل

أ - الجرح
ب - التعديل

رابعاً نماذج من تفسير السُّلمي

الفصل الثالث

التفسير الإشاري عند السُّلمي

تمهيد :

بعد التعرف على التصوف عند السُّلمي وآدابه وبعد معرفة الأخلاق الصوفية عنده من آداب الصحبة وحسن العشرة وبعد التعرف على النفس وغوائلها ومعالجة عيوبها وأمراضها عند السُّلمي . بحث السُّلمي في حقل شائك وهو تفسير القرآن الكريم على الطريقة الصوفية ، وهذا النوع من التفسير ، به ما به من مخاطر على العقيدة ، ولهذا وجه لهذا التفسير الكثير من أيدي النقد من قبل الفقهاء والعلماء ، وهذا ما سوف أبينه في هذا الفصل .

أولاً : التفسير وأنواعه وآراء العلماء في التفسير الصوفي

تناول علماء المسلمين القرآن الكريم بالتفسير والتأويل على تباين فرقهم واختلاف مذاهبهم ، وعلى هذا فإننا نشير هنا في البداية إلى معنى كلمة " تفسير" وأنواع التفسير وما هي مكانة التفسير الإشاري بين التفاسير الأخرى .

أ ـ مفهوم التفسير :

التفسير في اللغة ، يقول عنه ابن منظور : " فسر : الفسرُ : البيان وفسر الشيء : أبانه " [١] أذن التفسير في اللغة هو الإيضاح والتبيين ، والتفسير من الناحية الاصطلاحية يقول عنه الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) " هو علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ρ ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه ، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ، ويحتاج إلى معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ ". [٢]

١ـ أبن منظور ، لسان العرب ، المجلد الخامس ، صـــ٥٥ ، دار صادر ، ط١، بيروت : ١٩٩٢ .
٢ـ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، جـ١، صـ١٣، المكتبة العصرية ، صيدا ، ط٢ ، بيروت ١٩٧٢م .

وقد عرف السيوطي (ت:٩١١هـ) التفسير قائلاً : " هو علم نزول الآيات وشئونها وأقاصيصها ، والأسباب النازلة فيها ، ثم ترتيب مكيها ومدنيها ، وبيان محكمها ومتشابهها ، وناسخها ومنسوخها ، وخاصها وعامها ، ومطلقها ومقيدها ، ومجملها ومفسرها ، وحلالها وحرامها ، ووعدها ووعيدها ، وأمرها ونهيها ، وعبرها وأمثالها ونحو ذلك ".[١]

من خلال التعريفين السابقين يتضح أن المفسر في حاجة إلى معرفته بالعديد من العلوم الأخرى ، فليس التفسير علماً قائماً بذاته ، إنما هو بحاجة إلى علوم الدين الأخرى من علم اللغة وعلم القراءات وعلم أصول الفقه ، وأصول الدين ، وأسباب النزول وغيرها من العلوم التي تساعد التفسير وتدعمه .

وللقرآن نوع آخر من البيان وهو التأويل ، فما الفرق بين التأويل والتفسير ؟ الفرق بينهما هو " أن التفسير معناه الكشف والبيان واعتماد ذلك على الكتاب والسنة وما أثر عن الصحابة ، أما التأويل فملحوظ فيه الاجتهاد في ترجيح أحد محتملات اللفظ بالدليل وبذل الجهد في استنباط المعاني من الكتاب العزيز ". [٢]

ويعرف الغزالي التأويل قائلاً : " هو بيان معناه ـ اللفظ في القرآن الكريم ـ بعد إزالة ظاهره ". [٣]

والتأويل ليس هو التفسير أو العكس إنما التأويل هو الوصول باللفظ إلى المراد الحقيقي قال تعالى: [وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاّ اللّهُ] **[سورة: آل عمران ـ الأية: ٧]** ، أما التفسير فهو الاجتهاد في بيان وتوضيح معاني الألفاظ ، وبيان الأحكام والضوابط والأوامر والنواهي التي وضعها القرآن الكريم الذي هو دستور المسلمين، وهذا بإجماع علماء الأمة بعيداً عن الاجتهاد .

١ـ جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم جـ٢ ، صـ١٨، المكتبة العصرية صيدا بيروت ١٩٨٧ .

٢ـ د . عبد الله شحاته ، علوم التفسير ، صـ١٠، دار الشرق ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠٠١ .

٣ـ أبو حامد الغزالي ، إلجام العوام في علم الكلام ، تصحيح وتعليق محمد المعتصم بالله البغدادي ، صـ٦٦، ٦٧ ، دار الكتاب العربي ط١، ١٩٨٥ .

وتفسير القرآن من العلوم المهمة التي يجب تعلمها ، وقد أوجب الله على الأمة حفظ القرآن وكذلك أوجب عليهم فهمه وتدبر معانيه ، قال تعالى: [أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىَ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ] [سورة: محمد - الأية: ٢٤]، وقال أيضاً: [كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لّيَدّبّرُوَاْ آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكّرَ أُوْلُو الألْبَابِ] [سورة: ص - الأية: ٢٩] وهذه الآيات تدل على أن القرآن أنزل للتدبر ، وتدبره بدون فهم معانيه غير ممكن ، وفهم معانيه إنما يكون بمعرفة تفسيره ، فتفسير القرآن فرض على الأمة ولكنه فرض كفائي ، بمعنى أنه إذا قام به أهل العلم المتأهلون له من الأمة الإسلامية سقط عن الباقين " [١] وبذلك تتضح أهمية التفسير في حياة المسلم .

وإذا نحن تتبعنا كتب التفسير على اختلاف أزمانها وتنوع مناهجها واتجاهاتها وجدنا أنها تنحصر في خمس أنواع من التفاسير هي : التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي والتفسير الموضوعي والتفسير العلمي ، والتفسير الصوفي .

ب - أنواع التفسير

١ - **التفسير المأثور :** وهو ما نقل عن الرسول ρ وما نقل عن صحابته رضوان الله عليهم أجمعين وما نقل عن التابعين في كل ما هو مبين وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم . [٢]

٢ - **التفسير بالرأي :** أو التفسير العقلي : معناه تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر بكلام العرب ومناحيهم في القول ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي ، ووقوفه على أسباب النزول ، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن الكريم . [٣]

٣ - **التفسير الموضوعي :** ونريد به تناول جانب واحد من جوانب القرآن الكريم بالدراسة والبحث ، وغالباً ما تكون الدراسة لموضوع معين نتناول له من كل

١- د. محمد بن محمد أبو شهبة ، الأسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، صـــ٤٤، الهيئة العامة للمطابع الأميرية ١٩٧٢ .
٢- د. محمد حسين الذهبي ، علم التفسير ، صـــ٣٩، ٤٠ ، دار المعارف القاهرة ، ١٩٧٧ .
٣- نفس المرجع صـــ٤٧ .

الجوانب، مستوعبة لكل ما فيه من جزئيات ، ربما لا يتاح تناولها في التفسير العام ، وغالباً ما يجري هذا اللون من التفاسير على أيدي رجال برعوا في نواحي معينة من التفسير . [١]

٤ ـ **التفسير العلمي :** وهو التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية عنها ، فالقرآن في نظر أصحاب هذه الطريقة يشتمل على العلوم الدينية والاعتقادية والعلمية وسائر علوم الدنيا على اختلاف أنواعها وتعدد ألوانها . [٢]

٥ ـ **التفسير الصوفي :** يقوم التفسير الصوفي على نظرية الفيض " [٣] وهي تشبه نظرية الفيض الأفلوطينيه ـ حيث أن ـ الصوفي يجاهد نفسه حتى يصل إلى درجة تنكشف له فيها معاني القرآن ، فالمعرفة عند الصوفية تأتي بالإشراق والانكشاف والإلهام . [٤] وعلى هذا فإن التفسير الصوفي من وجهة نظر الصوفية فيض أو هبة من الله على عباده الذين وصلوا إلى درجة عالية من العبادة والزهد ولا يصل إلى هذا التفسير إلا المخلصون المتوكلون على خالقهم ، إلا أن هذا التفسير الصوفي يخرج بالقرآن ـ في الغالب ـ عن هدفه الذي يرمي إليه حيث يقصد القرآن هدفاً معيناً بنصوصه وآياته ، ويقصد الصوفي هدفاً معيناً بأبحاثه ونظرياته ، وقد يكون بين الهدفين تنافر أو تضاد ، فيأبى الصوفي إلا أن يحول القرآن عن هدفه ومقصده إلى ما يقصده هو ويرمي إليه ، وغرضه بهذا كله ، أن يروج لتصوفه على حساب القرآن ،

١ـ نفس المرجع ، صــــــ٦٩ .

٢ـ المرجع السابق ، صـــــــــ٧٣ .

٣ـ الفيض ، كلمة تستخدم في فلسفة الأفلاطونية المحدثة لوصف تتابع الأحداث الناتجة عن الواحد المطلق ، والتي تؤلف الواقع بأكمله ، ونظرية الفيض ، هي نظرية تفسير صدور الموجودات عن الواحد أو الأول ، ... ويعلل أفلوطين (ت : ٢٧٠م) صدور الموجودات عن الواحد ، بأن كل شيء كامل ينتج شيء آخر ، وأن الكمال منتج وخلاق بالضرورة ، والكمال عند أفلوطين ليس مجرد ثبات ، لأنه يعج بالحياة ، وهو قوة منتجه والواحد في رأيه حياة وقوة وهو مصدر لا نهائي للقوة وحياة ليس لها حدود وهو لذلك منتج بالضرورة . راجع د. مرفت عزت بالي ، أفلوطين والنزعة الصوفية في الفلسفة ، صــــــ٣١٧ ، ٣١٨ ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ، ١٩٩١ .

٤ـ د. الشحات السيد زغلول ، الاتجاهات الفكرية في التفسير ، صــــــ٢٣٠ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٢ ، ١٩٧٧ .

وأن يقيم نظرياته على أساس من كتاب الله وبهذا يكون الصوفي قد قدم فلسفته الصوفية ولم يعمل للقرآن شيئاً ، اللهم إلا هذا التأويل الذي كله شر على الدين . [١]

وعندما نبحث في التفسير الصوفي عند السُّلمي ، سوف نجده لم يريد ترويج نظرية فلسفية صوفية أو طريقة صوفية .

والتفسير الصوفي هو التفسير الإشاري ، وهو يعني تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها ، بمقتضى إشارات خفية يأخذ بها الصوفي نفسه حتى يصل إلى درجة تنكشف له فيها من العبارات ، والإشارات القدسية ، والمعارف السبحانية ، هذا ولا يرى الصوفي أن التفسير الإشاري هو كل ما تحتمله الآية من المعاني ، بل يرى أن هناك معنى آخر تحتمله الآية ، ويراد منها أولا ، وقبل كل شيء ، ذلك هو المعنى الظاهر الذي ينساق إليه الذهن دون غيره . [٢]

وينقسم التفسير الصوفي إلى قسمين : تفسير صوفي نظري ، وتفسير صوفي إشاري ، والفرق بينهما قد بينه د. محمد حسين الذهبي في هذه النقاط :

أولاً : التفسير الصوفي النظري ينبني على مقدمات علمية تنقدح في ذهن الصوفي أولاً ، ثم ينزل القرآن عليها بعد ذلك ، أما التفسير الإشاري فلا يرتكز على مقدمات علمية ، بل يرتكز على رياضة روحية يأخذ بها الصوفي نفسه ، حتى يصل إلى درجة تنكشف له فيها الإشارات القدسية ، وتنهل على قلبه من الغيب ما تحمله الآيات من المعارف السبحانية .

ثانياً : أن التفسير الصوفي النظري يرى صاحبه أنه كل ما تحتمله الآية من المعاني وليس وراءه معنى آخر يمكن أن تحمله الآية عليه ، وهذا بحسب طاقته ، أما التفسير الإشاري ، فلا يرى الصوفي أنه كل ما يراد من الآية بل يرى أن هناك معنى

١- د. أبو عمر نادي بن محمود حسن الأزهري ، الدخيل في كتب التفاسير وأثرة على الأمة ، صـــ٣٠٦ طبعة مزودة بفصول جديدة ط٢ ، ١٩٩٦ .
٢- د. محمد حسن الذهبي ، علم التفسير ، صـــ٧٠ .

آخر تحتمله الآية ويراد منها ، أولاً وقبل كل شيء ذلك هو المعنى الظاهر الذي ينساق إليه الذهن قبل غيره . (١)

وبناء على ذلك فإن التفسير الصوفي النظري غير مقبول ، لأنه يرى أن الآراء والنظريات والمقدمات هي الأصل والآيات نزلت لتخدم هذه النظريات ، فهو يريد أن يثبت نظرياته بجعل القرآن تابعاً لها ، وهذا غير مقبول شرعاً وعقلاً ، بينما التفسير الإشاري يمكن الأخذ به ما لم يغالي صاحبه فيه ، ويمكن تحديد شروط يتم من خلالها قبول التفسير الإشاري أو رفضه وهذه الشروط هي :

١- أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب بحيث يجري على المقاصد العربية، وهذا الشرط ظاهر من قاعدة كون القرآن عربياً ، فإنه لو كان له فهم لا يقتضيه كلام العرب لم يوصف بكونه عربياً بالإطلاق ، ولأنه مفهوم يلصق بالقرآن وليس في ألفاظه ولا في معانية ما يدل عليه ، وما كان كذلك فلا يصح أن ينسب إليه أصلاً ، إذ ليست نسبته إليه على أن مدلوله أولى من نسبة ضده إليه ولا مرجح يدل على أحدهما ، فإثبات أحدهما تحكم وتقول على القرآن ظاهر ، وعند ذلك يدخل قائله تحت إثم من قال في كتاب الله بغير علم . (٢)

وهذا يعني أن يبين التفسير الإشاري ويوضح الآية والمقصود منها ، ولا يزيدها غموضاًً ويبعد عن معناها لأنه بهذا يكون التفسير الإشاري مرفوضاً .

٢- أن يكون له شاهد نصا أو ظاهرا في محل آخر يشهد لصحته من غير معارض ، فالمعنى الباطن إن لم يكن له شاهد في محل آخر أو كان له معارض صار جملة الدعاوى التي تدعى على القرآن ، والدعوى المجردة عن الدليل غير مقبولة باتفاق العلماء . (٣)

١- د. محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ، جـ٢ ، صـ٣٣٨ ، مكتبة وهبه، ط٣ القاهرة ، ١٩٨٥ .
٢- نفس المرجع ، صـ ٣٤٤
٣- نفس المرجع والصفحة .

وهذا يعني أن يكون بينه وبين الآية ارتباط وتلازم ، وأن يكون في اللفظ إشعاراً به وأيضاً ألا يناقض الآية ولا يكون له معارض شرعي .

٣- أن لا يدعي أن التفسير الإشاري هو المراد وحده دون الظاهر ، بل لابد أن نعترف بالمعنى الظاهر أولاً ، إذ لا يطمع في الوصول إلى الباطن قبل أحكام الظاهر .[١]

يقول الغزالي أن " من ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن أدعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب ".[٢]

هذه هي الشروط التي إذا توفرت في التفسير الإشاري ، كان مقبولاً ، ومعنى كونه مقبولاً عدم رفضه لا وجوب الأخذ به ، وإنما الواجب الأخذ به هو التفسير الظاهر ، أما التفسير الإشاري فإنه زيادة بيان وإيضاح .

جـ - آراء العلماء في التفسير الإشاري :

لم يفرط كتاب الله من شيء في الدنيا والآخرة ، ومن المعروف أن كتاب الله له ظاهر وباطن ، لهذا فقد دارت حوله الخلافات والجدل ، هل يأخذ بالظاهر وحده أم بالباطن وحده ؟ أم يأخذ بالظاهر والباطن معاً ؟ وقد اختلف العلماء أيضاً حول التفسير الإشاري للقرآن الكريم وقد جاءت هذه الآراء على النحو التالي :

١- يقول ابن الصلاح (أبو عمر عثمان) (ت: ٦٤٣هـ) في فتاويه عندما سئل عن كلام الصوفية في القرآن فقال : " وجدت عند الإمام أبي الحسن الواحدي المفسر رحمه الله (ت: ٤٦٨هـ) أنه قال : صنف أبو عبد الرحمن السُّلمي حقائق التفسير ، فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسيراً فقد كفر " ويرد ابن الصلاح عليه قائلاً : " وأنا أقول : الظن بمن يوثق به منهم أنه إذا قال شيئاً من أمثال ذلك أنه لم يذكره تفسيراً ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة من القرآن العظيم ، فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية ، وإنما ذلك ذكر منهم لنظر ما ورد به القرآن فإن النظير يذكر بالنظير ، ومن ذلك قتال النفس في الآية المذكورة - يريد قوله تعالى: [يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ

١- د. محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ، جـ٢، صـ٣٦٣ .

٢- أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، جـ٣ ، صـ١١٨ ، دار الغد العربي، ط٢ ، ١٩٨٧ .

الّذِينَ يَلُونَكُمْ مّنَ الْكُفّارِ] [سورة: التوبة ـ الأية: ١٢٣]، قال أمرنا بقتال النفس ومن يلينا من الكفار ... ومع ذلك في ليتهم لم يتساهلوا في مثل ذلك لما فيه من الإبهام والإلباس " (١)

وفي حكم الإمام الواحدي على السُّلمي مغالة ، ويخفف منها ابن الصلاح قائلاً أنه لم يذكره تفسيرا ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة من القرآن ويشارك ابن الصلاح الواحدي الرأي بأن من يجعل التفسير الصوفي تفسيرا يكون سلك مسلك الباطنية ، ولكن تفسير الصوفية للقرآن جاء كنوع من الاستنباط أو كذكر النظير بالنظير .

٢ـ رأي ابن عربي : " وكما كان أصل تنزيل الكتاب من الله على أنبيائه ، كان تنزيل الفهم على قلوب بعض المؤمنين به ، فالأنبياء عليهم السلام ما قالت على الله ما لم يقل لها ، ولا أخرجت ذلك من نفوسها ولا من أفكارها ولا تعلمت فيه بل جاءت من عند الله ، قال الله تعالى: [تَنزِيلٌ مّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ] [سورة: فصلت ـ الأية: ٤٢]، وقال فيه [لاّ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ] [سورة: فصلت ـ الأية: ٤٢]، وإذا كان الأصل المتكلم فيه من عند الله لا من فكر الإنسان ورؤيته (وعلماء الرسوم يعلمون ذلك) فينبغي أن يكون أهل الله العاملون به أحق شرعه وبيان ما أنزل الله فيه من علماء الرسوم ، فيكون شرعة أيضاً تنزيلاً من عند الله على قلوب أهل العلم كما كان الأصل " (٢)

وفي ذلك أعترض على قول ابن عربي في التفسير الإشاري ، لأن شرح كتاب الله ليس قرأنا ، إنما هو تفسير وإيضاح ، وليس تنزيل من عند الله ، كما أن العمل بظاهر القرآن واجب شرعاً على كل مسلم عالماً بكتاب الله ، وليس كما يرى أبن عربي أن شرح كتاب الله حكراً على أهل العلم أو الصوفية ، فيرى أنهم أحق بشرح كتاب الله من أهل الرسوم أو علماء الظاهر ، ويجب أيضاً أن يوافق الباطن الظاهر ولا يناقده أو

١ـ د. محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون ، جـ٢، صـــــ٣٥٤ .
٢ـ محيى الدين أبن عربي ، الفتوحات الملكية ، جـ١، صـــــ٢٨٠ ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة .

يعارضه ، وعلى هذا فإن القول الفصل في ذلك ، أن للقرآن ظاهر وباطن والأخذ بالظاهر واجب والعمل بالباطن صحيح شرط إلا يعارض الباطن الظاهر .

٣- يقول النسفي (ت: ٧٠١هـ) " النصوص على ظاهرها والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطن إلحاداً " وقد علق سعد الدين التفتازاني على قول النسفي في شرحه " سميت الملاحده باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها بل لها معان باطنية لا يعرفها إلا المعلم وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية " ثم قال " وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان " [1]

وبهذا يضع النسفي تفسير الباطنية من ضمن تفاسير الملاحدة لأنهم اتبعوا التفسير الباطن ورفضوا الظاهر ، ولهذا هم ملاحدة ، وقد وضح التفتازاني قول النسفي مبينا أن الملاحدة هم من اتبعوا الباطن وأنكروا الظاهر في التفسير ، وهم بذلك يحرفون كتاب الله ويأولون نصوصه على ما يروق لهم ، فهم بهذا يهدموا الشريعة الإسلامية التي دستورها كتاب الله ، ويزيد التفتازاني إيضاحا بأن التفسير الصوفي المقبول هو من يجعل التفسير الظاهر أصلاً وأولاً ، ثم يبين ما في الآيات من إشارات خفية ، لا تنكشف إلا لمن شرح الله صدره لذلك ، وهذا هو كمال الإيمان .

٤- يقول تاج الدين ابن عطاء الله السكندري في كتابه (لطائف المنن) " أعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله بالمعاني الغريبة ليس إحالة للظاهر عن ظاهره ، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له ودلت عليه في عرف اللسان ، وثم إفهام باطنه تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه ، وقد جاء في الحديث " لكل آية ظهر وبطن " فلا يصدنك عن تلقي هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدل ومعارضة : هذا إحالة لكلام الله وكلام رسوله .. فليس ذلك بإحالة وإنما يكون إحالة لو قالوا : لا معنى

١- سعد الدين التفتازاني ، شرح العقائد النسفيه ، صـ١٠٥ ، ١٠٦ ، تحقيق ، د. أحمد حجازي السقاط ، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ، ١٩٨٨ .

للآية إلا هذا ، وهم لم يقولوا ذلك ، بل يقرون الظواهر على ظواهرها مراداً بها موضوعاتها ويفهمون عن الله تعالى ما أفهمهم ". [(١)]

ورأي ابن عطاء الله السكندري مثل آراء سابقيه (النسفي والتفتازاني وابن الصلاح) يرى أن التفسير الصوفي مقبول ما دام صاحبه أقر التفسير الظاهر أولاً ، ثم أتبعه التفسير الصوفي ، أما عند القول أنه لا يوجد إلا التفسير الصوفي للآية فهو إذن مرفوض ، ولا يكون مقبولاً إلا إذا أقر صاحبه بالظاهر .

٥ـ ويقول الغزالي: " لا تظن من هذا إلا نموذج وطريق ضرب الأمثال رخصة مني في رفع الظواهر واعتقاداً في إبطالها حتى أقول مثلاً ، لم يكن مع موسى نعلان ولم يسمع الخطاب بقوله (أخلع نعليك) حاشا الله . فإن إبطال الظواهر رأي الباطنية ، الذين نظروا بالعين العوراء إلى أحد العالمين ، وجهلوا جهلاً بالموازنة بينهما ، فلم يفقهوا وجهه ، كما أن إبطال الأسرار مذهب الحشوية فالذي يجرد الظاهر حشوي ، والذي يجرد الباطن باطن ، والذي يجمع بينهما كامل . بل أقول موسى فهم بخلع النعلين إطراح الكونين فامتثل للأمر ظاهراً بخلع النعلين ، وباطنا بخلع النعلين " [(٢)]

وتدل هذه العبارة على جمع الغزالي بين الظاهر والباطن معاً ، فلا يجوز عند الغزالي القول بالظاهر فقط ، وإلا أصبح من يقول بهذا حشوياً ، كما لا يجوز عنده القول بالباطن فقط ، وإلا أصبح قائله من الباطنية ، ولكن الكامل ، المعتدل ، من جمع بين الظاهر والباطن وحكم الاثنين ، فالظاهر والباطن وجهان لعملة واحدة لا يمكن الاستغناء عن أحدهما عنده .

٦ـ ويقول السيوطي :" فهذا يدل على فهم معاني القرآن مجالاً رحباً ومتسعاً بالغاً ، وأن المنقول من ظهر التفسير ليس ينتهي الإدراك فيه بالنقل والسماع لابد منه في ظاهر التفسير لينتفي به موضع الغلط ثم بعد ذلك يتبع الفهم والاستنباط ولا يجوز التهاون في حفظ التفسير الظاهر بل لابد منه أولاً إذ لا يطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام

١ـ جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، جـ٤ ، صـــــ١٩٧ ، ١٩٨ .
٢ـ أبو حامد الغزالي ، مشكاة الأنوار ، حققه وقدم لها د. أبو العلا عفيفي صـــ٧٣ ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ، ١٩٦٤ .

الظاهر ، ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب " [١]

والسيوطي مثل غيره من العلماء يرى تحكيم الظاهر أولاً ثم اتباع الباطن وليس العكس ، ولا يأخذ بالتفسير الباطن وحده بل يأخذ بكليهما ، مع جعل التفسير الظاهر أصلاً والصوفي فرعاً .

وحتى لا نطيل من ذكر الآراء التي وردت حول التفسير الصوفي نكتفي بهذه الآراء ، والتي نستطيع أن نصل من خلالها أن نرى ، أن هناك آيات تستدعي التأويل ، وهذه الآيات هي التي تحمل معنى آخر غير الذي يقوله ظاهر لفظ الآية ، مثل قوله تعالى: [أَفَلاَ يَتَدَبّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىَ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ] **[سورة: محمد - الأية: ٢٤]** وهذه الآية تعني عدم إيمانهم وتدبرهم في آيات الله ، ولا يعني كما يشير ظاهر اللفظ أن القلب باب وعليه قفل ، إنما هي دليل على عدم إيمانهم .

ورغم أن هناك آيات في القرآن تحتاج إلى تأويل أو تفسير صوفي إلا أن تفسير القرآن كله تفسيراً صوفياً ، يضع قائله في أخطاء كثيرة ، وخاصة عندما يظن الصوفية أنه لا معنى للقرآن غير هذا التفسير ، وعلى هذا فيا ليت الصوفية احتفظوا بهذه التفاسير لأنفسهم أو فيما بينهم ولم ينشروها أو يذيعوها للعامة أو على الجميع ، لأن هذه التفاسير هي ما جعلت يد النقد تتوجه إليهم وتقذف بعضهم بالإلحاد ، وعلى ذلك فإن التفسير الصوفي فرع والتفسير الظاهر أصل ، وإن أردنا الاستغناء عن أحدهما يكون التفسير الصوفي .

ثانياً : منهج السُلمي في التفسير

أ - شرعية التفسير الإشاري :

هل للتفسير الإشاري أساس شرعي موجود في القرآن والسنة ؟ أم لا ؟

نعم ، أن للتفسير الإشاري أصل شرعي ، فهو لم يكن بالأمر الجديد في إبراز معاني

١- السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، جـ٤ ، صـــ١٩٧ .

القرآن الكريم ، بل هو أمر معروف منذ نزول القرآن الكريم على النبي ρ ، ودليل شرعيته يظهر من القرآن والسنة وحياة الصحابة وهي كالتالي :

١ـ من القرآن :إما إشارات القرآن إليه فتظهر في قولـه تعالى: [فَمَا لِهَؤُلآءِ الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً] **[سورة: النساء ـ الأية: ٧٨]** ، والمعنى لا يفقهون عن الله مراده من الخطاب ولم يريد أنهم لا يفهمون نفس الكلام كيف وهو منزل بلسانهم ؟ ولكنهم لم يحظوا بفهم مراد الله من الكلام ؟ وقولـه تعالى [أَفَلاَ يَتَدَبّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىَ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ] **[سورة: محمد ـ الأية: ٢٤]** ، فالتدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد وذلك ظاهر في أنهم أعرضوا عن مقاصد القرآن ، فلم يحصل منهم تدبر .[١]

فهذه الآيات كلها تشير إلى أن للقرآن ظاهراً وباطناً ، ظاهره الألفاظ ، وباطنه مقصد الآية ومراد الله منها .

٢ـ شرعيته من السنة : وأما تنبيه الرسول لذلك ، فيتضح فيما أورده السُّلمي في مقدمة " حقائق التفسير " حديث لابن مسعود عن رسول الله ρ قال " أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حرف حد ومطلع " [٢]وقد جاء هذا الحديث عند ابن حيان " أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن ". [٣]

وهذا الحديث دليل على أن للقرآن ظهراً وبطناً ، وأن القرآن بحر عميق كل حرف منه يحتمل سبعة أحرف وكل حرف له ظهر وبطن ولكل حرف حد ظاهر للناس ومطلع لا يعلمه إلا من وصل إلى مراد الله.

٣ـ ومن آثار الصحابة : ما يدل على باطن القرآن وعمل الصحابة به ، فقد نقل عن الصحابة من الأخبار ما يدل على أنهم عرفوا التفسير الإشاري وقالوا به ، ومن هذا ما أورده السُّلمي لعلى بن أبي طالب (ت: ٤٠هـ) في مقدمة تفسيره " عن أبي جحيفه أنه قال سألت عليا رضي الله عنه هل عندكم من رسول الله ρ شيئاً من الوحي سوى القرآن

١ـ د. حسين الذهبي ـ التفسير والمفسرون ، جـ٢ صــــــ٣٤٥ .
٢ـ السُّلمي ، حقائق التفسير ـ تحقيق سلمان نصيف حاسم ، رسالة ماجستير صــــــ٨
٣ـ أنظر ، علاء الدين بن بلبان الفارسي ـ الإحسان بتصحيح ابن حبان ، جـ١ـ صــــ١٤٦ تقديم وضبط كمال يوسف الحوت ـ دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٨٧ .

؟ قال : لا ، والذي فلق الحب وبرأ النسمة إلا أن يعطي الله تعالى عبداً فهما في كتابه" ، كما أورد السُّلمي عن علي قولـه : " ما من آية إلا ولها أربعة معان ظاهر وباطن وحد ومطلع ، فالظاهر التلاوة والباطن الفهم والحد أحكام الحلال والحرام ، والمطلع مراد الله من التعبد بها " .(١)

ومن الروايات الدالة على أن الصحابة فسروا القرآن أو بعض آيات القرآن تفسيراً إشارياً ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : " كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وجد في نفسه ، فقال : لما تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : أنه من حديث علمتم ، فدعاه ذات يوم ، فأدخله معهم ، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم ، قال : ما تقولون في قوله تعالى: [إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ] [سورة: النصر - الأية: ١] .. فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً ، فقال لي : كذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت لا ، قال : فما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله ρ أعلمه له قال : [إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ] وذلك علامة أجلك قال تعالى: [فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابَا] [سورة: النصر - الأية: ٣] فقال عمر : ما أعلم منها إلا ما تقول ". (٢)

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : " أن القرآن ذو شجون وفنون وظهور وبطون ، لا تنقضي عجائبه ولا تبلغ غايته ، فمن أوغل فيه برفق نجا ومن أوغل فيه بعنف هوى ، أخبار وأمثال وحلال وحرام وناسخ ومنسوخ ، ومحكم ومتشابه وظهر وبطن ، فظهره التلاوة وبطنه التأويل ، فجالسوا به العلماء وجانبوا به السفهاء ". (٣)

١- السُّلمي ، مخطوطة حقائق التفسير ، صـ٢ ، رقم ١٥٠تفسير ، دار الكتب المصرية، القاهرة.
٢- راجع أبن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، تحقيق محب الدين الخطيب وأخرون جـ٨، صــــ٦٠٦ ، دار الريان للتراث ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٨٧ .
٣- السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، جـ٤ ، صــــ١٩٦ .

وبهذه الأدلة الموجودة في القرآن والسنة ومأثورات الصحابة يمكن أن نجعل التفسير الإشاري مقبولاً شرعاً أي عدم رفضه ، لا وجوب الأخذ به ، وشرعية قبوله ما لم يخالف الظاهر .

ب ـ سبب تأليف السُّلمي لتفسيره :

يعد تفسير السُّلمي من أوائل التفاسير الإشارية للقرآن الكريم ، وقد ألف السُّلمي هذا التفسير وجمعه عندما لم يجد تفسيراً صوفياً كاملاً للقرآن الكريم ، سوى تفسير القرآن العظيم لسهل التستري (ت: ٢٨٣هـ) ، وتفسير بعض الآيات للصوفية ، وهذا يتضح من خلال مقدمة كتابه " حقائق التفسير" حيث يقول : " الحمد لله الذي خص أهل الحقائق بخواص أسرار منه وجعلهم أهل الفهم لخطابه والعالمين بلطائف ودائعه في كتابه المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فأخذوا من معاني خطابه بمقدار ما فتح الله تعالى على كل واحد منهم من لطيف أسراره ومعانيه ، ونطقوا عن مفهوم كلامه حسب ما نسخ لهم من مكنونات بدائعه ، على أنه ما نطق أحد عن حقيقة حقائقه وإنما أخبر من أخبر عن مقدار ما يليق بفهمه بل قصرت الأفهام عن درك حقائقه واستيعاب فوائده لا على معنى المكاشفات والمنازلات فيخبرون به عن طريق منته بإشارات تخفي وتدق لا على أربابها لأنه كتاب عزيز من عزيز على أعز الخلق نسبة والبشر فهم همة وذلك محمد ρ ... ولما رأيت المتوسمين بالعلوم الظواهر سبقوا في أنواع فرائد القرآن من قراءات وتفاسير ومشكلات وأحكام وإعراب ولغة ومجمل ومفسر وناسخ ومنسوخ ولم يشتغل أحد منهم بجمع فهم خطابه على لسان أهل الحقيقة إلا آيات متفرقة نسبة إلى العباس بن عطاء (ت: ٣٠٩ أو ٣١١هـ) وآيات ذكر أنها عن عطا بن محمد ، على غير ترتيب ، وكنت قد سمعت منهم في ذلك حروفاً استحسنتها ، أحببت أن أضم ذلك إلى مقالاتهم وأضم أقوال مشايخ أهل الحقيقة إلى ذلك ، وأرتب السور حسب وسعي وطاقتي ،

واستخرت الله في جمع شيء من ذلك واستعنت به في ذلك وفي جميع أموري وهو حسبي ونعم الوكيل ". [١]

وهذه الفقرة تشير إلى أن السُّلمي لم يكن هو الوحيد أو هو أول من تناول القرآن الكريم بالتفسير الإشاري ، بل كانت هناك قبله كتابات وتفاسير وإن لم يظهر بشكل كامل للقرآن ، سوى تفسير سهل التستري " فلم يكن السُّلمي مبتدعاً لهذا اللون من التفسير ، كما أن السُّلمي لم يجعل التفسير الإشاري هو التفسير الوحيد للقرآن ، بل جعل التفسير الإشاري ضمن العديد من التفاسير للقرآن الكريم ، وهذه الأنواع المختلفة للتفسير جميعها مقبول عنده ، ولا يعترض على أي نوع من أنواع التفسير ، ومن أنواع التفسير كما يرها السُّلمي ، التفاسير اللغوية ، والأحكام والإعراب والقراءات والناسخ والمنسوخ وغيرها .

وقد جعل السُّلمي التفسير الصوفي الإشاري ، تفسير أهل الحقائق في مقابل أهل الشريعة ، ويفرق بينهم السُّلمي في رسالته " الفرق بين علم الشريعة والحقيقة " واليك بعض الأقوال التي أوردها السُّلمي في هذه الرسالة " ... العلم علمان علم باللسان وعلم بالقلب ، وعلم الشرع يعلمه علماء الشريعة ، وعلم الحقيقة يعلمه العلماء بالله ... والتحقيق في الشريعة هو الحقيقة والترسم بالأمر هو الشريعة ، والشريعة هو الأمر والحقيقة هو مراد الحق في الأمر ... وعلم الشريعة ظاهر نعم الله تعالى على عباده وعلم الحقيقة باطن النعم ، قال تعالى: [وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً] **[سورة: لقمان ـ الأية: ٢٠]**... وعلم الشريعة عام وعلم الحقيقة خاص ..." [٢]

وهذه الفقرة وسابقتها يبينان سبب تفسير السُّلمي أو جمعه لهذا التفسير الصوفي، والسبب هو إظهار كتاب كامل لتفسير القرآن الكريم على لسان أهل الحقيقة

١ـ السُّلمي ، مخطوطة حقائق التفسير ، صـــــ١، ٢ .
٢ـ السُّلمي ، مخطوطة الفرق بين علم الشريعة والحقيقة ، رقم٤١٢٨ ـ أياصوفيا أستانبول ، نقلا عن رسالة ماجستير غير منشورة ، بعنوان " حقائق التفسير السُّلمي " تفسير القرآن الكريم على الطريقة الصوفية ، تحقيق ودراسة سلمان نصيف جاسم التكريتي ، جامعة القاهرة كلية دار العلوم ، ١٩٧٥ .

أو الصوفية وتوضيح الجانب الباطن والإشاري للقرآن ، مقابل الجانب الظاهر أو المأثور للقرآن .

والفرق بين الظاهر والباطن للقرآن ، أن الظاهر : هو المنزل بلسان عربي مبين وهو المفهوم العربي المجرد (أي كلمات القرآن الكريم وألفاظه) ، والباطن : هو مراد الله تعالى وغرضه الذي يقصد إليه من وراء الألفاظ والتراكيب . [١]

فالمفسرون بالظاهر يقفون عند ظاهر النص ومعنى اللفظ لغوياً أما الصوفية فإنهم يكشفون الغطاء عن سر اللفظ وحجتهم في ذلك أن القرآن الكريم يتضمن آيات إذا وقفنا عند ظاهرها فإننا لا نستطيع أن نتعرض للمراد منها والمعنى الحقيقي لها ، ومثال ذلك قوله تعالى: [وَمَن كَانَ فِي هَـٰذِهِ أَعْمَىَ فَهُوَ فِي الآَخِرَةِ أَعْمَىَ وَأَضَلّ سَبِيلاً] **[سورة: الإسراء - الأية: ٧٢]** ، إذا أخذنا ظاهر اللفظ فإننا نحرم المكفوفين في الدار الآخرة نعمة رؤية الجنة ورؤية وجه الله عز وجل ، وحاشا أن يظلم الله أحداً من خلقه ، لأنه لحكمة يعلمها حرم إنسان نعمة البصر في الدنيا ، وقد يكون من عباد الله المتقين الذين لهم منزلة كريمة عنده ، وغيرها من الآيات . [٢]

هناك بعض الآيات تستوجب تأويلها أو فهمها بالمفهوم الباطن ، على شرط آلا يتجاوز الباطن الفهم أو أن يحملها المفسر ما لا تحتمله الآية ، أو يخرج بها من قصدها ، وإلا أنكر هذا التفسير الباطن .

<u>جـ - وصف التفسير</u> :

جاء تفسير السُّلمي للقرآن الكريم على الطريقة الصوفية في كتاب واحد سماه " حقائق التفسير " وهذا الكتاب يمتاز بأنه شامل لكل سور القرآن، ما عدا سورتي الفيل وقريش ، وهذا التفسير لا يتعرض في تفسيره للسورة بالكامل بل يترك آيات لم يجد لها السُّلمي تفسيراً عند أهل الحقيقة ، وهو أيضاً لا يتعرض للآية كاملة بل يأخذ جزءاً منها ويورد لآراء الصوفية فيها ، وربما يكون هذا الجزء من أول الآية أو

١- د. حسين الذهبي - التفسير والمفسرون ، جـ٢ صـ٣٤٣ .
٢- د. شمس الدين الفاسي ، مملكة التصوف ، صـ٥٢، ٥٣ ، ط١ ، ١٩٩٢م .

أوسطها أو أخرها أو كلمة واحدة من الآية ، وقد يطول تفسير الآية أو يقصر تبعاً لطبيعة الآية أو تبعاً لقلة أو كثرة من تعرض لتفسير هذه الآية من الصوفية .

وعندما انتهي السُّلمي من كتابه " حقائق التفسير" وجد أن هناك آيات لم يتم تفسيرها في هذا التفسير ، كما أن هناك آيات لم تجمع كل التفاسير التي وضعها الصوفية حولها، لذلك أراد السُّلمي إضافة الآراء والتفاسير الصوفية لهذه الآيات، وقد جمع السُّلمي جزءاً آخراً من التفسير الصوفي سماه " زيادات حقائق التفسير ، وهذا الكتاب لم تذكره العديد من المصادر الخاصة بمؤلفات السُّلمي . يقول السُّلمي في مقدمة كتابه " زيادات حقائق التفسير :" لما فرغت من جمع كتاب " حقائق التفسير " ، رأيت حروفاً منها أحببت أن أضمها إليه فأفردت له كتاباً لئلا يفسد سماع من سمعه ولا نسخة من نسخه وسميته " زيادات حقائق التفسير " واستخرت الله في ذلك واستوفقته في جميع أحوالي وهو حسبي ونعم الوكيل ". [١]

وهذا الجزء الثاني من تفسير السُّلمي أقصد " زيادات حقائق التفسير " قد شمل جميع صور القرآن الكريم ، وقد فسر السُّلمي فيه سورتي الفيل وقريش ، كما قام السُّلمي فيه بتفسير بعض الآيات التي لم يتم تفسيرها في حقائق التفسير ، ولكنه أيضاً لم يفسر كل آيات السور ، وقام السُّلمي أيضاً بتفسير بعض الآيات التي قام بتفسيرها من قبل في " حقائق التفسير " .

والملاحظ على تفسير السُّلمي أنه ليس تأليفاً أو إثبات لآراء ونظريات صوفية ، وإنما هو جمع لأقوال معظم رجال الصوفية حتى نهاية القرن الرابع وهو بهذا يخالف التفاسير المعتادة ، حيث أن التفاسير تعبر عن وجهة نظر قائليها ، بينما قام السُّلمي في هذا التفسير بجمع آراء ليست له لكنه مستحسنها ، ولأن هذا الكتاب جمع لا تأليف ، فقد احتوى على رجال كثيرة من الصوفية ولم يعتمد على شخصيات معينة ، فتجاوز في أسماء من أوردهم المائة والخمسين شخصية ، مختلفي المدارس الصوفية والمشارب

١ـ السُّلمي ، زيادات حقائق التفسير ـ حققها وقدم لها جيرهارد بوورينغ ، صـ١ ، دار المشرق ، ط١ بيروت ١٩٩٥ .

وهذا يعني أن التفسير احتوى على مذاهب ومدارس مختلفة ، وهناك بعض الآيات وأن كانت القلائل ، قام السُّلمي بتفسيرها .

د ـ مصادر تفسير السُّلمي :

لقد ضم تفسير السُّلمي العديد من المذاهب والعصور المختلفة ، لهذا فقد جاء تفسيره غني بالمصادر التي جعلته تفسيرا إشارياً، وهذه الصادر يمكن أن أذكر بعضها بطريقة مختصرة فيما يلي :

١ـ اشتمل تفسير السُّلمي على الكثير من التفسير بالمأثور وذلك مثل تفسير قولـه تعالى: [يَاأَيّهَا النّاسُ اعْبُدُواْ رَبّكُمُ] **[سورة: البقرة ـ الأية: ٢١]** ، قال بعضهم ، وحدوا ربكم ، وقال بعضهم : اخلصوا عبادة ربكم من غير اتخاذ شريك فيه فتوصلكم الوحدانية والإخلاص إلى التقوى " [١]

وهذا ما قال به ابن عباس في تفسيره لهذه الآية ، فقال : " اعبدوا ربكم " أي وحدوا ربكم الذي خلقكم ". [٢]

وهو بجانب ما فيه من تفسير بالمعنى الظاهر بطريقة مباشرة ، فأنه يحتوي على تأويل للآيات بالمعنى الظاهري بطريقة غير مباشرة ، (أي يأتي بالمعنى المأثور ولكن بطريقة صوفية) ، ففي سورة الفاتحة آية (١) قوله تعالى " الحمد لله " قال ابن عطاء (ت: ٣٠٩ أو ٣١١ هـ) : معناه الشكر لله ... وقيل الحمد لله الثناء لله . [٣] " وذكر عن جعفر الصادق رضي الله عنه في قولـه " الحمد لله " فقال : من حمده بصفاته كما وصف نفسه فقد حمده لأن الحمد ، حا وميم ودال ، فالحا من الوحدانية والميم من الملك والدال من الديمومة ، فمن عرف الله تعالى بالوحدانية والملك والديمومة فقد عرفة ." [٤]

١ـ السُّلمي ، حقائق التفسير ، تحقيق جاسم التكريتي ، رسالة ماجستير ، صـــ٦٦، ٦٧(من المقدمة)
٢ـ ابن عباس ـ تنوير المقباس من تفسير بن عباس ـ وضع محمد بن يعقوب الفيروزآبادي صـــ٥، مطبعة الحلبي، ١٩٥٩ م .
٣ـ السُّلمي ، مخطوطة حقائق التفسير صـــ٨ .
٤ـ السُّلمي ، نفس المرجع والصفحة

٢ـ كما أن هذا التفسير يحتوي ، على التفسير بالرأي بالطريقة الاستنباطية ففي قوله تعالى [قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ] **[سورة: يوسف ـ الأية: ١٤]** قال ابن عطاء : اعتمد يعقوب عليه السلام على كثرتهم وقوتهم فوكله الله إليهم حتى أتاه الحزن من قبلهم ، فالقوه في الجب ، ثم لما أرسل بنيامين قال:[فَاللّهُ خَيْرٌ حَافِظاً] **[سورة: يوسف ـ الأية: ٦٤]** فحفظة ورده إلى يوسف وردهما جميعاً إلى يعقوب.[١]

ويظهر التفسير بالرأي أيضاً في قوله تعالى: [يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ] **[سورة: البقرة ـ الأية: ٤٠]** قال بعضهم : ربط بني إسرائيل بذكر النعم واسقط من أمة محمد ρ ذلك ودعاهم إلى ذكره قال تعالى: [فَاذْكُرُونِيَ أَذْكُرْكُمْ] **[سورة: البقرة ـ الأية: ١٥٢]** ليكون نظر الأمم من النعم إلى المنعم ونظر أمة محمد ρ من المنعم إلى النعمة " [٢]

٣ـ اشتمل هذا التفسير على مقامات وأحوال الصوفية ، وجميع آياته تدعوا إلى تزكية النفوس وتطهير القلوب والحث على التحلي بالأخلاق والفضائل والتجرد لله ، ففي قوله تعالى: [فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ] **[سورة: يوسف ـ الأية: ٣١]** قال أبو سعيد القرشي (ت: ٢٨٢) نجى الله تعالى بهذه الآية أهل المحبة ، وقال : مخلوق في رؤية مخلوق لم يتألم بقطع اليد ولم يحس به ، وأنتم تتألمون أبدا فيما يصيبكم من أثقال المحبة الحقيقية ". [٣]

وقد ذكر السُّلمي في تفسيره كثيراً من المصطلحات الصوفية والمعاني الذوقية، كالصدق والصبر والتقوى والفقر وازدراء النفس والحذر من الكبر وحب الله وغيرها ومن أمثلة ذلك في مقام الصبر قوله تعالى: [أَنِ امْشُواْ وَاْصْبِرُواْ عَلَىَ آلِهَتِكُمْ] **[سورة: ص ـ الأية: ٦]** قال عمرو المكي (ت: ٢٩١هـ) : لقد وبخ الله تعالى التاركين الصبر على دينهم بما أخبر عن الكفار بقولة [أَنِ امْشُواْ وَاْصْبِرُواْ عَلَىَ آلِهَتِكُمْ] وهذا توبيخ لمن ترك الصبر من المؤمنين على دينهم . وقوله تعالى:

١ـ السُّلمي ، حقائق التفسير ، تحقيق جاسم التكريتي ، رسالة ماجستير ، صـ٥٥٢، ٥٥٣ .
٢ـ المرجع السابق ، صــــ٧٦.
٣ـ نفس المرجع ، صـــ٥٦٩ .

[اصْبِر عَلَىَ مَا يَقُولُونَ] **[سورة: ص ـ الأية: ١٧]** سئل بعضهم عن الصبر فقال " هو الفناء في البلاء بلا ظهور اشتكاء " [١] ، ومثال آخر ، مقام الإخلاص في قولـه تعالى: [فَادْعُواْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدّينَ] **[سورة: غافر ـ الأية: ١٤]**، قال أبو عثمان(ت:٢٩٨هـ) الإخلاص في الدعاء هو الذي إذا دعوته في كشف ضر فكشفه ألزمت نفسك شكره إلى الأبد ، وإذا دعوته لاستجلاب خير فأعطاك ألزمت نفسك الحمد إلى الأبد ، وأن لا تخص نفسك بالدعاء دون سائر المؤمنين فإن من خص نفسه بالدعاء كان ذلك من علامات النفاق والخذلان " .[٢]

ويظهر مقام الإخلاص أيضا في قولـه تعالى: [يَاأَيّهَا النّاسُ اعْبُدُواْ رَبّكُمُ] **[سورة: البقرة ـ الأية: ٢١]** قال بعضهم : أخلصوا عبادة ربكم من غير اتخاذ شريك فيه فتوصلكم الوحدانية والإخلاص إلى التقوى . [٣] وهو بهذا يربط بين التقوى والإخلاص والتوحيد فمن وحد الله أخلص له العبادة ومن أخلص له العبادة نزلت عليه التقوى .

٤ـ ويحتوي هذا التفسير أيضاً على تفسيرات بلاغية : وهذا يتضح في قولـه تعالى [يَأَيّهَا النّمْلُ ادْخُلُواْ مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ] **[سورة: النمل ـ الأية: ١٨]**، قال السلامي : تكلمت النملة بعشرة أجناس من الكلام : نادت ونبهت وسمت وأمرت ونصت وحذرت وخصت وعمت وأشارت وعذرت أما النداء (فيا) وأما التنبيه (فأيها) وأما التسمية (فالنمل) ، وأما الأمر (أدخلوا) وأما التحذير (ليحطمنكم) وأما التخصيص (فسليمان) وأما التعميم (فجنوده) وأما الإشارة (هم) وأما التعذير (لا يشعرون) ". [٤]

وتظهر الصورة البلاغية أيضا في قولـه تعالى: [وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنّةَ] **[سورة: البقرة ـ الأية: ٣٥]** قال القاسم : السكون إلى الجنة وفي الجنة

١ـ نفس المرجع صـــــ١١٧١ .
٢ـ المرجع السابق ، صـــــ١٢١١ .
٣ـ نفس المرجع صـــــ٦٧ .
٤ـ نفس المرجع صـــــ٨٨٩ : ٩٩٩ .

وحشة من الحق ، ولكنه رد المخلوق إلى المخلوق ، وهو رد النقص إلى النقص لامتناع الأزل عن الحوادث ، وقال بعضهم في قولـه (اسكن أنت وزوجك الجنة) السكنى تكون مدة ثم تنقطع ، فدخولهما في الجنة كان دخول سكن لا دخول ثواب " [١]

٥- واحتوى هذا التفسير على العديد من الأحاديث الصحيحة والضعيفة والموضوعة وهذا دليل على اهتمام السُّلمي بالسنة والأحاديث النبوية الشريفة ، ومن أمثلة الأحاديث الصحيحة ، في تفسير قولـه: [وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ] **[سورة: ص - الأية: ٢٠]** قال سهل التستري (ت : ٢٨٣هـ) بوزراء صالحين يدلونه على الخير كما قال النبي ρ " أن الله تعالى إذا أراد بوال خير جعل له وزير صدق ، أن نسي ذكره وأن ذكر أعانه ".[٢] [٣]

ومن الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة في تفسير قوله تعالى " بسم الله الرحمن الرحيم " روي عن الرسول ρ أن صح - على حد تعبير السُّلمي - أن الباء بهاؤه والسين سناؤه والميم مجده " [٤] [٥]

٦- كما احتوى هذا التفسير على العديد من أبيات الشعر الموجودة في دواوين الشعر المختلفة لشعراء مختلفين ومن أمثال هذه الأبيات :

نديمي غير منسوب إلى شيء من الحيفي

سقاني مثل ما يشرب كفعل الضيف بالضيف

فلما دارت الكأس دعا بالنطع والسيف

١- نفس المرجع صـــــــ٧٤ .

٢- النووي - رياض الصالحين - ٦٨٢ بزيادة وهي " (إذا أراد غير ذلك جعل لـه وزير سوء إن نسي لم يذكره وإن ذكر لم يعنه " صحيح .

٣- السُّلمي حقائق التفسير ، تحقيق جاسم التكريتي ، رسالة ماجستير ، صـــــــ١١٧٣ .

٤- أورده الطبري في تفسير جامع البيان، جـ١ ، صـ٤١ ، قال فيه " قال رسول الله ρ أن عيسى بن مريم أسلمته أمه إلى الكتاب ليعلمه فقال له المعلم أكتب بسم ، فقال لـه عيسى ومـا بسم فقال لـه المعلم ما أدري فقال عيسى الباء بهاءه الله والسين سناؤه والميم مملكتـه ، فأخشى أن يكون غلط من المحدث وأن يكون أراد (ب س مـ) على سبيل ما يعلم المبتدئ من الصبيان في الكتاب حروف أبي جاد " ضعيف .

٥- السُّلمي : مخطوطة حقائق التفسير ، صـــــــ٣ ، راجع كذلك أبي محمد سهل بن عبد الله بن رفيع التستري ، تفسير القرآن العظيم ، صـــــ٨٥ ، حققه وضبطه : ط عبد الرؤوف سعد ، د. سعد حسن محمد علي ، دار الحرم للتراث ، ط ١ ، القاهرة ، ٢٠٠٤ .

كذا من يشرب الراح من التنين فـي الصيف [١]

وهذه الأبيات من ديوان الحلاج [٢] وغيرها من الأبيات .

وإنني لا أستطيع أن ألم بكل ما جاء في (حقائق التفسير) من مصادر لأن التفسير عميق وبه متسع من المصادر ، فهو يحتاج إلى العديد من الرسائل لكشف ما به من أسرار ، لا صفحات تدل على ما فيه من معاني بشكل سريع ، وعلى هذا أعتذر على كل ما فاتني الإلمام به من مصادر .

وهناك ملاحظة أخرى على تفسير السُّلمي وهي أن السُّلمي لا يكرر تفسير آيتين متشابهتين بنفس التفسير ، إنما يأتي بمعاني غير التي ذكرها أول مرة ، ورغم أن هذا التفسير جمع لآراء الصوفية ذوي المشارب المختلفة إلا أن السُّلمي وضع تفسيرا لبعض الآيات ، مثل قولـه تعالى: [فَتَلَقَّىَ آدَمُ مِن رّبّهِ كَلِمَاتٍ] **[سورة: البقرة - الأية: ٣٧،** قال السُّلمي أدركته خصوصية الخلق باليد ونفخ الروح الخاص والاصطفاء " [٣] وقولـه تعالى: [وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ] **[سورة: البقرة - الأية: ٨٨]** قال السُّلمي أي حرم قسم السعادة لهم في الأزل " [٤] وغيرها .

<u>هـ - مدرسة السُّلمي في التفسير :</u>

عندما شرع السُّلمي في تأليف تفسيره فأنه أراد أن يضع تفسيرا لم يضعه أحد من قبله أو على الأقل لم يوضع بشكل كامل لكل سور القرآن الكريم ، لكن رغم ذلك فإن السُّلمي لم يضع تفسيرا للقرآن ، إنما كان جمع لآراء سابقيه من الصوفية حول آيات القرآن .

وعندما ننظر إلى تفسير السُّلمي " حقائق التفسير " نجده يمثل مدرسة في التأليف ومن أهم أساتذة هذه المدرسة السراج صاحب " اللمع " وأهم تلاميذ هذه

١- السُّلمي ، حقائق التفسير ، تحقيق جاسم التكريتي صـــ١٢٤٣

٢- طه عبد الباقي سرور ، الحسين منصور الحلاج شهيد التصوف الإسلامي ، صـــ١٧٦ ، المكتبة العلمية، ط١ ، القاهرة ١٩٦١ .

٣- السُّلمي ، حقائق التفسير ، تحقيق جاسم التكريتي صـــ٧٥ .

٤- نفس المرجع صـــ٩١ .

المدرسة هو القشيري صاحب " الرسالة القشيرية " ، أما السُّلمي فأنه يقع بين الأساتذة والتلاميذ أي أنه أستاذ للقشيري (ت: ٤٦٥هـ) وتلميذ للسراج (ت: ٣٧٨هـ) وهذه المدرسة قامت على الأيراد والسرد لآراء الصوفية حول موضوع ما ، مثل آرائهم حول النفس وآرائهم حول الحب الإلهي ، أو تفسيرهم للقرآن على طريقتهم الصوفية ، وغيرها من الموضوعات.

وعلى الجانب الآخر فهناك مدارس أخرى في التفسير وهي مدارس التفسير بالرأي والاجتهاد والأخذ بالمأثورة من أقوال الصحابة والتابعين ، وهذه المدارس تتناول القرآن من عدة اتجاهات مثل مشكل القرآن وأحكامه وناسخه ومنسوخه ومجمله ومفصله وأمثاله وغيرها من العلوم .

ثالثاً : حقائق التفسير بين الجرح والتعديل

أ ـ الجرح :

صنف السُّلمي كتابه " حقائق التفسير " وهو تفسير إشاري للقرآن ، يرى أن المعنى الباطني للقرآن يستدل عليه بالذوق والإشارة ، وقد وجه للسلمي العديد من سهام النقد والاعتراض بعد تصنيفه لهذا الكتاب ، ويمكن سرد هذه الاعتراضات والنقد فيما يلي :

فقد جاء في فتاوى ابن الصلاح (ت : ٦٤٣هـ) عندما سئل عن كلام الصوفية في القرآن قال " وجدت عن الإمام الواحدي المفسر (ت : ٤٦٨هـ) أنه قال : صنف أبو عبد الرحمن السُّلمي " حقائق التفسير " فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسيراً فقد كفر " وأنا أقول الظن بمن يوثق به منهم أنه إذا قال شيئاً من أمثال ذلك أنه لم يذكره تفسيراً ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة من القرآن العظيم فإنه لو كان كذلك كانوا

سلكوا مسالك الباطنية ، وإنما ذلك منهم لنظير ما ورد به القرآن ، فإن النظير يذكر بالنظير ... ومع ذلك فياليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك لما فيه من الإبهام والالتباس " . (١)

وعد السيوطي (ت: ٩١١ هـ) تفسير السُّلمي ضمن التفاسير المبتدعة بعلل ولذلك بقوله " وإنما أوردته في هذا القسم لأنه غير محمود " (٢)، ويقول الذهبي (ت : ٧٤٨هـ) في تذكرة الحفاظ " قلت ألف حقائق التفسير فأتى فيه بمصائب وتأويلات الباطنية نسأل الله العافية " (٣) ، ويزيد الذهبي تجريحا في حقائق السُّلمي قائلاً في سيره " وفي حقائق التفسير أشياء لا تصوغ أصلا ، عدها بعض الأئمة من زندقة الباطنية ، وعدها بعضهم عرفانا وحقيقة ، نعوذ بالله من الضلال ومن الكلام بهوى ". (٤)

وقد ذهب ابن تيمية مجرحا في" الحقائق " رامياً السُّلمي بوضع عبارات لجعفر الصادق قائلاً : " وما ينقل في حقائق التفسير عن جعفر الصادق عامته كذب على جعفر ، كما قد كذب عليه غير ذلك " (٥) ويزيد قائلاً : " وكذلك ما يؤثره أبو عبد الرحمن السُّلمي عن بعض المتكلمين في الطريق أو ينتصر له من الأقوال والأحوال في الهدى والعلم شيء كثير وفيه أحيانا من الخطأ أشياء وبعض ذلك يكون عن اجتهاد سائغ وبعضه باطل قطعا مصدره مثل ما ذكر في حقائق التفسير قطعة كبيرة عن جعفر الصادق وغيره من الآثار الموضوعة وذكر عن بعض طائفة أنواعا من الإشارات التي بعضها أمثال حسنة واستدلالات مناسبة وبعضها من نوع الباطل واللغو ". (٦)

وآخر التجريح في حقائق التفسير قول أبي الفرج بن الجوزي (ت : ٥٩٧ هـ) في تلبيس إبليس : " فمن هؤلاء ـ الصوفية الضالة ـ من قال بالحلول ومنهم من قال بالاتحاد وما

١ـ د. حسين الذهبي ـ التفسير والمفسرون ـ جـ ٢ـ صـــ٣٥٤ .
٢ـ جلال الدين بن أبي بكر السيوطي ، طبقات المفسرين ـ راجعه وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر ، صـــ٨٥ ، دار الكتب بيروت لبنان .
٣ـ شمس الدين الذهبي ـ تذكرة الحفاظ ـ المجلد الثاني ـ جـ٣ صـــ١٠٤٦ دار الفكر العربي ، بدون تاريخ.
٤ـ الذهبي ـ سير أعلام النبلاء جـ١٧ صـــ٢٥٢ .
٥ـ أبن تيمية ـ منهاج السنة النبوية ـ جـ4ـ صـ٥٥ ـ دار الكتب العلمية بيروت، بدون تاريخ .
٦ـ أبن تيمية ، مجموعة الرسائل والمسائل ـ تحقيق وتعليق محمد رشيد رضا ، جـ١ صـــ٢٩ مطبعة المنار ط١ مصر ١٣٤١ هـ .

زال إبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سننا وجاء أبو عبد الرحمن السُّلمي فصنف لهم كتاب السنن وجمع لهم حقائق التفسير ، فذكر عنهم فيه العجب في تفسيرهم القرآن بما يقع لهم من غير إسناد ذلك إلى أصل من أصول العلم ، وإنما حملوا على مذاهبهم والعجب من ورعهم في الطعام وانبساطهم في القرآن " ويزيد ابن الجوزي قائلاً " وجمهور هذه التصانيف التي صنفت لهم لا تستند إلى أصل وإنما هي واقعات تلقفها بعضهم عن بعض ودونوها وقد سموها بالعلم الباطن"[١] هذا عن الجرح الذي أصاب حقائق التفسير أما عن التعديل فهو كما يلي :

ب - التعديل :

في البداية وتأكيداً على ورع السُّلمي وزهده ، يقول زميله في الدرس الحاكم أبو عبد الله بن البيع (ت: ٤٠٥هـ) : " أن لم يكن أبو عبد الرحمن من الإبدال فليس لله في الأرض ولي "[٢] حيث أن المنهج الذي كان يتبعه السُّلمي في تصوفه هو الرجوع بالتصوف إلى حالته البسيطة التي كانت موجودة عند السلف الأول ويفهم ذلك من عبارة معاصره أبي نعيم الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ) في " حلية الأولياء " حيث يقول : " أنه - أي السُّلمي - أحد ممن لقيناه ومن له العناية بتوطئة مذهب المتصوفة وتهذيبه على ما بينه الأوائل من السلف ، مقتد بسيمتهم ملازم طريقتهم ، متبع لأثارهم ، مفارق لما يؤثر عن المتخرمين من المتهوسين من جهال هذه الطائفة منكر عليهم ". [٣]

وهذه الفقرة وسابقتها تخرجان السُّلمي من زمرة الباطنية أو المنحرفين المغالين في الدين بشهادة معاصريه وأصحابه ، وهذا دليل أيضاً على مدى اعتدال السُّلمي.

ويمكن التعديل من رأي الذهبي ، الذي يصف حقائق التفسير بالتحريف والقرمطة ، فلقد وصف الذهبي السُّلمي بأنه " وافر الجلالة " ويقول السبكي " لا ينبغي أن يصف بالجلالة من يدعي فيه التحريف والقرمطة ، وكتاب حقائق التفسير

١- جمال الدين أبي الفرج بن عبد الرحمن الجوزي - تلبيس إبليس ، تحقيق د. السيد الجيلي صـــ٢٠٣، ٢٠٦ دار الريان للتراث ١٩٨٨ .
٢- يوسف بن قيز أوغلي المعروف بسبط بن الجوزي ، مخطوط مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، جـ١١ ورقم ٣ حوادث سنة ٤١٢ .
٣- أبي نعيم الأصبهاني ، حلية الأولياء ، جـ٢، صـــ٢٥ .

المشار إليه قد كثر الكلام فيه من قبل ، رغم أنه اقتصر فيه على ذكر تأويلات ومحامل للصوفية ينبو عنها ظاهرة اللفظ " [١] ، وقول الذهبي أن تفسير السُّلمي كتفسير القرامطة من الباطنية ، فإن هذا الأمر غير صحيح لأن السُّلمي يبقي الظواهر على ظواهرها وهذا واضح في مقدمة تفسيره حيث يقول : " لما رأيت المتوسمين بالعلوم الظواهر سبقوا في أنواع غرائب القرآن من قراءات ، وتفاسير ومشكلات وأحكام وإعراب ولغة ، ومجمل ومفسر ، وناسخ ومنسوخ ، ولم يشتغل أحد منهم يجمع فهم خطابه على لسان أهل الحقيقة إلا آيات متفرقة ... " [٢]

وهذه العبارة تدل على إقرار السُّلمي بوجود الظاهر بكل أشكاله وأنواعه ، فلم ينكر السُّلمي أي نوع من أنواع التفسير الظاهر بينما على الجانب الآخر نجد فكر الباطنية خارج عن الدائرة الإسلامية ، والمسلمون منهم براء .

ويتلخص فكر الباطنية في " أنهم يؤولون أحكام الشريعة على مثل أحكام المجوس ، فزعموا أن الصلاة معناها موالاة إمامهم ، وأن الحج زيارة وإدمان خدمته ، وأن الصوم إمساك عن إفشاء سر الإمام ، .. وأن من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها ، ... وأباحوا لأتباعهم نكاح البنات والأخوات وشرب الخمر وجميع اللذات .... ويدعون إلى إنكار المعاد والنشور من القبور ويقولون بقدم العالم ... [٣] ، هذا عن بعض أفكارهم ، أما عن نظرتهم إلى القرآن من حيث الظاهر والباطن ، فقد لقبوا بالباطنية لأنهم : " رفضوا الأخذ بظاهر القرآن ، وقالوا للقرآن ظاهر وباطن ، والمراد منه باطنه دون ظاهره ، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: [فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ] **[سورة: الحديد - الأية: ١٣]** ، فلقبوا بالباطنية لقولهم بباطن القرآن دون ظاهره ، أو لقولهم بالإمام الباطن المستور ، وهذه الفرقة غير داخلة في عداد طوائف المسلمين ، وإنما هي في الأصل جماعة من المجوس ، رأوا شوكة الإسلام قوية لا تقهر ، وأنهم لا سبيل لهم إلى قلب المسلمين

١- السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ،جـ٤ صـــ١٤٧ .
٢- السُّلمي ، مخطوطة حقائق التفسير ، صـــ٢ .
٣- د. محمد سيد أحمد المسير ، مقدمة في دراسة الفرق الإسلامية ، صـــ١٦٤ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

بقوة الحديد والنار ، فسلكوا طريق الاحتيال الذي يوصلهم إلى مآربهم وأهوائهم ، ليطفئوا نور الله بأفواههم ، وخفي على هؤلاء الملاحدة أن الله متم نوره ولو كره الكافرون ". [١]

وعلى هذا فإن حقائق التفسير ، ليست من زندقة الباطنية ، لأن السُّلمي اعترف بوجود التفسير الظاهر ، ولم يأخذ بالتفسير الباطني للقرآن وحده معتداً به دون التفسير الظاهر .

أما قول الإمام الواحدي : " أن السُّلمي لو اعتقد أن حقائقه تفسير فقد كفر" فإن الرد على هذا موجود في مقدمة حقائق التفسير نفسها حيث يقول السُّلمي : أن ما في الحقائق ليس تفسيرا إنما هو " إشارات تخفي وتدق إلا على أربابها " [٢] ، كما أن السُّلمي لم يجعل ما في حقائقه تفسيراً عاماً وإنما هو كما يقول " فهم خطابه ـ القرآن على لسان أهل الحقيقة ـ الصوفية ـ " [٣] ، فحقائق التفسير إنما هي فهم الصوفية لآيات القرآن ، وإن دخل في ذلك شطح أو غلو فهم مآخذون عليه هم ، وهذا واضح أيضاً في رد ابن الصلاح على الواحدي حيث يقول " أنه لم يذكره تفسيراً ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة للقرآن العظيم ". [٤]

وأما قول السيوطي أن تفسير السُّلمي ضمن التفاسير المبتدعة فهذا القول فيه مبالغة وغلو لأن السُّلمي لم يكن هو أول من قال به ، وليس هو أول من شرع في تفسير القرآن على الطريقة الصوفية ، كما أن السُّلمي أقر بالتفسير الظاهر .

وأما قول ابن تيمية أن ما يقولـه السُّلمي في حقائق التفسير عن جعفر عامته كذب عليه، فيؤكد د. محمد حسين الذهبي أن هذه كلمة حق من ابن تيمية " إذ أن غالب

١ـ أبو عمر نادى ـ الدخيل في كتب التفاسير وأثره على الأمة ، صــــ٢٩٣ .
٢ـ السُّلمي ، مخطوطة حقائق التفسير صـــــــ١ .
٣ـ نفس المرجع ، صـ١ .
٤ـ د. حسين الذهبي ـ التفسير والمفسرون ـ جـ ٢ـ صــــ٣٥٤ .

ما جاء فيه عن جعفر الصادق كله كذب ومن وضع الشيعة عليه ، ولست أدري كيف أغتر السُّلمي وهو العالم المحدث بمثل هذه الروايات المختلقة الموضوعة ". [١]

وأنا أوافق أبن تيمية و د. حسين الذهبي الرأي في أن كثيراً من العبارات من وضع الشيعة وهي ليست للإمام جعفر الصادق ، إلا أن السُّلمي في مقدمته يعلن أن هناك أقوالاً لجعفر الصادق ، وهو غير متأكد من أنها له على الحقيقة حيث يقول في مقدمة تفسيره " وآيات يذكر أنها عن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه ". [٢]

ومن التعديلات التي وردت في حق السُّلمي التي توضح نزاهة السُّلمي وزهده وورعه ، ما جاء في مقدمة " حقائق التفسير " للباحث سلمان نصيف جاسم التكريتي ، حيث يقول " أن السُّلمي رحمه الله في أول التفسير وفي تفسير قوله " بسم الله " يروي حديث عن النبي ρ ، بحذر وشك وريبة فيقول : روي عن النبي ρ إن صح " أن البهاء بهاؤه والسين سناؤه ، والميم مجده " يقول الباحث : " وهذه حسنه أسجلها للسلمي ولورعة " . ويرى هذا الباحث وقفة أخرى للسلمي يذكرها بأنها وقفة رائعة يقول: " عندما أورد السُّلمي حديثا غريبا يعلق عليه تعليقا شديداً ففي قولـه تعالى : [وَأَيّوبَ إِذْ نَادَىَ رَبّهُ أَنّي مَسّنِيَ الضّرّ] **[سورة: الأنبياء - الأية: ٨٣]**... عن أنس قال جاء رجل إلى النبي ρ فسأله عن قول أيوب : " مسني الضر " فبكى النبي ρ ، ثم قال : " والذي بعثني بالحق نبياً ما شكي فقرا نزل به من ربه ، ولكن كان في بلائه سبع سنين وسبعة أشهر ، وسبعة أيام وسبع ساعات ، فلما كان في بعض الساعات وثب قائما فلم يطق النهوض فجلس ثم قال (مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) ، ثم قال النبي ρ : أكل الدود سائر جسده حتى بقي عظاما نخره فكانت الشمس تطلع من قلبه لا يخلو من ذكر الله عز وجل ولسانه لا يخلو من ثنائه على ربه ، فلما أحب الله له الفرج بعث إليه دودتان إحداهما إلى لسانه والأخرى إلى قلبه فقال : يا رب ما بقي إلا هاتان الجارحتان قلبي ولساني أذكرك بهما وقد أقبلت هاتان الدودتان إحداهما إلى قلبي والأخرى إلى لساني ليشغلاني عنك ويطلعان على سري (مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) ، قال أبو

١- نفس المرجع ، صـــ ٣٧١ .
٢- السُّلمي ، حقائق التفسير ، تحقيق جاسم التكريتي ، رسالة الماجستير ، المقدمة صـــ٣٠، ٣١ .

عبد الرحمن السُّلمي : وأنا أبرأ من عهدة هذا الحديث ، وليس يشبه هذا كلام النبي ". [١]

وهذان الحديثان يبرآن السُّلمي من تهمة وضع الأحاديث التي رماه بها محمد بن يوسف القطان وغيره من اللاحقين عليه .

وهنا فأنا لا أبرئ السُّلمي ولا أدافع عنه ، عندما أرى أنه ليس بوضاع للأحاديث، وإنما ذلك للخلط عليه أو لعدم الحفظ ، فهو ليس محدثاً ، إنما هو رجل تصوف ، وزهد ، وعبادة ، وإن كنت أدافع عنه ، فإن دفاعي الأول والأخير عن الحق وعن سيرة رجل قال فيه كثير من المؤرخين كلمات ثناء وحمد وإجلال وتقدير ، رغم هذا فإني آخذ على السُّلمي جمعه لهذه الحقائق دون التحقق من مدى صحة رواية بعض الآراء عن أصحابها ، فكان عليه انتقاء ما جاء بحقائقه ، كما أن هذه الحقائق نسبت إليه ولم تنسب إلى من نقل عنهم ، كما أن هذه الحقائق هي التي وجهت له سهام التجريح والنقد من قبل معاصريه ومن جاء بعده .

ورغم هذا أيضاً فإن هذه الحقائق تحمل بداخلها آراء صوفية وفلسفية وكلامية يمكن من خلالها تكوين عدة مذاهب كلامية وفلسفية للمدرسة الصوفية حول القرآن الكريم .

والسُّلمي شأنه شأن أي عالم أو فقيه أو مؤرخ أو محدث ، وقع بين الجرح والتعديل ، فإن كان هناك جرح حولـه وحول كتبه ، فإن هناك تعديلا أيضاً حولهما ، وبين الجرح والتعديل أرجو أن لا أكون قد انحزت إلى أيهما أو انحزت إلى جانب السُّلمي لأنه موضوع الدراسة ، وأرجو لو كنت موضوعياً في تناول الجرح أو التعديل حول السُّلمي وحول حقائقه .

رابعاً : نماذج من تفسير السُّلمي:

١ـ نفس المرجع ، صـــــــ٢٨، ٢٩ .

هذه بعض نماذج من تفسير السُّلمي أبين فيها مدى توافق السُّلمي أو اختلافه مع باقي التفاسير .

- ففي تفسير قولـه تعالى " بسم الله الرحمن الرحيم " حكي عن العباس بن عطا (ت: ٣٠٩ أو ٣١١ هـ) أنه قال : " الباء بره لأرواح الأنبياء بإلهام الرسالة والنبوة والسين سره مع أهل المعرفة بإلهام القربة والأنس والميم منه على المريدين بدوام نظره إليهم بعين الشفقة والرحمة . وقال الجنيد في " بسم الله الرحمن الرحيم " في بسم الله هيبته وفي الرحمن عزته وفي الرحيم مودته ومحبته ، وقيل في " بسم الله " أي بالله ظهرت الأشياء وبه فنيت ، وبتجليه حسنت المحاسن ، وباستتاره قبحت وسمجت " [(١)] ، وهذا التفسير جميعه تفسير صوفي وإشاري لا يظهر فيه التفسير الظاهري أو المأثور، كما أنه جمع لآراء الصوفية لا تظهر فيه شخصية السُّلمي .
- أما عن قولـه " الرحمن الرحيم " في البسملة : يقول السُّلمي: " قولـه الرحمن باسم الرحمن خرج جميع كرامات المؤمنين مثل الإيمان والطاعات والولاية والعصمة وسائر المنن وكل نعمه تدوم ولا يستحق أحد من المخلوقين هذا الاسم لأن المخلوق عاجز عن إعطاء شيء لأحد يدوم ويبقى ، وأيضاً فإن رحمة الرحمانية للمريدين بها منفصلون عما دون الرحمن وإنما عمت رحمته في العاجلة على الولي والعدو في معايشهم وأرزاقهم، وغير ذلك لذلك رحمان ". [(٢)]

وفي هذا القول بيان واضح بأن القرآن عند السُّلمي إما أنزل للصوفية أو أن الخلق كلهم عنده صوفية وعباد زهاد مخلصون لله في العبادة ولا ثالث بينهما ، وأرى أن السُّلمي جعل الخلق كلهم صوفية زهاد ، وهذا أوضح في تفسير السُّلمي لقولـه " الرحمن " الذي هو رمز العطاء الدائم لأوليائه وأعدائه،

١- السُّلمي ، مخطوطة حقائق التفسير، صـــــــ٢، ٣ .
٢- نفس المرجع ، صــــــــ٧.

فالرحمة التي هي للرحمن هي التي تهب الكرامات وهي التي تحمي المريدين، وهذا القول قريب من تفسير ابن عباس لقولـه تعالى " الرحمن " حيث يقول " هو العاطف على البر والفاجر بالرزق لهم ودفع الآفات عنهم " الرحيم " خاصة على المؤمنين بالمغفرة وإدخالهم الجنة ومعناه الذي يستر عليهم الذنوب في الدنيا ويرحمهم في الآخرة فيدخلهم الجنة " [١]

- أما عن تفسير الحروف الموجودة في بدايات السور فقد ذكر السُّلمي في قوله تعالى " الم " [**سورة البقرة آية :١**] قيل معناه " أنا الله أعلم " ، ويقال أي نزل هذا الكتاب برسالة جبريل على محمد عليهما السلام " [٢] ، وهذا ما قاله ابن عباس في تفسيره " الم " قال " أنا الله أعلم " وقال أيضاً أن الألف الله واللام جبريل ، والميم محمد " [٣] ، وقال بهذا التفسير القشيري حيث يقول : " أن الألف تدل على أسم " الله " واللام تدل على اسم " جبريل " والميم تدل على اسم " محمد" ρ، فهذا الكتاب نزل من الله على لسان جبريل إلى محمد ρ".[٤]

وقال السُّلمي في تفسير قولـه تعالى " الم " أيضاً " قال بعضهم : لكل كتاب أنزلـه الله تعالى على النبيين سر، وسر الله تعالى في القرآن هذه الحروف في أوائل السور " [٥] ، وهذا ما قال به الطبري وبينه القشيري والقرطبي ، حيث قال الطبري " قال بعضهم لكل كتاب سر وسر القرآن فواتحه " [٦] وقال القشيري " هذه الحروف المقطعة في أوائل السور من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله ، وعند قوم يقولون : لكل كتاب سر وسر الله في القرآن هذه

١- ابن عباس ، تنوير المقباس ، صـــــ٢ .
٢- السُّلمي ، مخطوطة ، حقائق التفسير ، صـــــ١٦ .
٣- أبن عباس ، تنوير المقباس ، صـــــ٣ .
٤- القشيري ، لطائف الإشارات ، المجلد الأول ، صـــــ٥٣ .
٥- السُّلمي ، مخطوطة حقائق التفسير ، صـــــ١٦ .
٦- راجع ، الطبري ، جامع البيان ، جـ١ ، صـــــ٦٨ .

الحروف المقطعة "[(١)] ، وقال القرطبي عن أبي بكر الصديق عن علي رضي الله عنهما : هي سر الله في القرآن ولله في كل كتاب من كتبه سر فهي من المتشابه الذي انفرد الله بعلمه ، ولا يجب أن يتكلم فيها ". [(٢)]

وفي تفسير هذه الحروف المقطعة يلم السُّلمي بالجانب الظاهر أو القول بالمأثور وبين الجانب الباطن أو تأويل الصوفية لها ، وهذا ما بيناه من خلال مقارنة تفسير السُّلمي والتفاسير الأخرى .

- وفي تفسير صورة الإخلاص يقول السُّلمي " قال أبو سعيد الخراز (ت: ٢٧٩هـ) " أن الله تعالى أول ما دعا عباده دعاهم إلى كلمة واحدة من فهمها فقد فهم ما ورائها ، وهي قولـه الله ، الا تراه يقول [قل هو الله] فتم به الكلام لأهل الحقائق ، ثم زاد بيان للخاص فقال [أحد] ثم زاد بيانا للأولياء فقال [الصمد] ثم زاد بيانا للعام فقال [لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد] فأهل الحقائق استغنوا باسمه " الله " وهذه الزيادة لما نزلت مرتبتهم عن مراتبهم " [(٣)]

وهذا التفسير يبين أن الله دعا الخلق جميعهم كل حسب فهمه وعقليته إلى توحيده وعبادته ، يقول الخراز في قولـه تعالى [قل هو الله] ففهم أهل الحقائق المراد منها وهو التوحيد والإخلاص والعبادة فيها ، ثم قال تعالى [لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد] بهذه الأشياء المحسوسة يستطيع العامة فهم المراد من قولـه [قل هو الله] ، وعلى هذا يكون كتاب الله منزل على جميع الإفهام والعقول . وقال ابن عطاء أيضاً في قولـه [قل هو الله أحد] إشارة منه ـ النبي ρ ـ إليه حين قال الكفار أنسب لنا ربك " [(٤)] . وهذا ما قال به الطبري حيث ذكر أن المشركين سألوا رسول الله ρ عن نسب رب العزة فأنزل

١ـ القشيري ، لطائف الإشارات ، المجلد الأول ، صـــــ٥٣ .
٢ـ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، جـ١ ، صـــــ١٥٤ .
٣ـ السُّلمي ، حقائق التفسير ، تحقيق جاسم التكريتي ، صـــــ١٥٩٩ .
٤ـ نفس المرجع ، صـــــ١٦٠٢ .

الله هذه السورة جواباً لهم .[١] ، وقال ابن عباس وذلك أن قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك من أي شيء هو ، من ذهب ، أم من فضه ، فأنزل الله في بيان صفاته ونعته فقال ، قل يا محمد لقريش هو الله أحد لا شريك له ولا ولد له ". [٢]

وبهذه النماذج القليلة أستطيع أن أجد في حقائق التفسير بحرا عميقا جامعا لكل ألوان التفاسير ففيه : التفسير بالمأثور والتفسير الصوفي واللغوي وأسباب النزول

وغيرها ، ورغم هذا لم يظهر رأي السُّلمي فيه إلا قليل جداً ، فهو جمع وتوليف ، لا اختراع وتأليف .

وحقائق التفسير أثرت وتأثرت بالتفاسير الأخرى ، فهي متأثرة بتفسير سهل ونقل السُّلمي عنه الكثير ، ومتأثرة بتفسير ابن عباس والطبري وأثرت في تفسير القشيري والقرطبي ، حيث نجد فقرات كبيرة بنصها موجودة في هذه التفاسير .

وعلى هذا وبعد الانتهاء من التفسير الإشاري عند السُّلمي فإن التفسير الصوفي أو الإشاري مقبول شرعاً ولكن بشرط - كما يرى جميع العلماء - أن يجعل التفسير الظاهر أصلاً ، والتفسير الإشاري فرعاً ، وإذا تعارض أحدهما نأخذ بالتفسير الشرعي أو الظاهر ، أما الاعتزاز بالتفسير الباطن أو الإشاري وحده وعدم الأخذ بغيره فهو في هذه الحالة يدخل في زمرة الباطنية ويكون غير مقبول شرعاً . وتفسير السُّلمي مقبول ، لأن السُّلمي اعترف بوجود باقي التفاسير ، ولم يجعل تفسيره تفسيراًً عاماً بل جعله فهما لأهل الحقيقة ، أو تفسير على لسان أهل الحقيقة ، وليس تفسيراً للجميع يجب الأخذ به .

١ـ الطبري ، جـ٣٠ ، صـ٢١ .
٢ـ ابن عباس ، صـ٥٢٢ ، راجع القرطبي ، جـ٢٠ ، صــــــ٢٤٦ .

الفصل الرابع

تحليل لأصول وتعاليم الملامتية وأهل الفتوه عند السُّلمي

أولاً : بين الملامتية وأهل الفتوة:

أ ـ من هم الملامتية وأهل الفتوة ؟
ب- أصول الملامتية وآداب أهل الفتوة عند السُّلمي .
جـ- الصلة بين الملامتية وأهل الفتوة .

ثانياً : الملامتية وأهل الفتوة بين السُّلمي والصوفية والسلف .

الفصل الرابع

تحليل لأصول وتعاليم الملامتية وأهل الفتوه عند السلمي

أولاً : بين الملامتية وأهل الفتوة

أ ـ من هم الملامتية وأهل الفتوة ؟

١ـ الملامتية :

في بداية الحديث عن الملامتية وأهل الفتوة أتساءل من هم الملامتية وأهل الفتوة ؟ وهل الملامتية هم أهل الفتوة ؟ أم أن هناك اختلاف فيما بينهما ؟ وإن كان هناك اختلاف فما هو ؟ وإن لم يكن هناك اختلاف ، فما هو الدليل على ذلك ؟ وما هي الآداب والصفات التي تميز الملامتي أو الفتي عن غيره من الرجال أو الصوفية ؟ وهل هذه الطائفة من الطوائف الضالة ؟ أم أنها من الطوائف المعتدلة ؟ وما هو موقف العلماء من هذه الطوائف ؟

كل هذه التساؤلات إن تم الإجابة عليها ، فإننا نستطيع أن نلم إلماماً كاملاً بهذه الطائفة الصوفية ، وعلى هذا فإننا نوضح تعريفاً للملامتية وأهل الفتوة ، وسنوضح الآداب والأصول لكل منهما والتي تميزهما عن غيرهم ، ولنبدأ في ذلك :

الملامتية هي إحدى الطوائف الصوفية التي ظهرت في القرون الأولى من الهجرة فقد ظهرت في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري بمدينة نيسابور بخراسان خاصة وقد أسسها رجال من أصدق رجال الطريق في ذلك القرن ، ولنرى الآن مردود الكلمة اللغوي ، فهي ترجع إلى غير اشتقاق إلى اللوم ، يقول صاحب القاموس المحيط : " لام لوماً وملاما وملامة ، فهو مليم وملوم وآلامه ولوّمه للمبالغة ". [1]

وليس للملامتية كتب مؤلفة ، وأول من صنف للملامتية كتباً هو السُّلمي ، فقد وضع لهم أصولاً من يتتبعها يستطيع أن يعرف كل تعاليم هذه الطائفة ، وأهم ما

١ـ الفيروزآبادي ـ القاموس المحيط . تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي ، جـ ٢، صــــ١٥٢٦

يميزها عن غيرها من الطوائف الأخرى ، فقد جاء على لسان السُّلمي في رسالة أصول الملامتية " أعلم رحمك الله أنه ليس للقوم ـ الملامتية ـ كتباً مصنفة ولا حكايات مؤلفة ، وإنما هي أخلاق وشمائل ورياضات وأنا ذاكر من ذلك قدر وسعى وطاقتي إطرافاً يستدل بها على ما ورائها من سيرهم وأحوالهم [١]

وعلى هذا أرى كما يرى د. أبو العلا عفيفي أن الملامتية لم تكن لهم طريقة منظمة أو قواعد ثابتة مقررة ، وأتباع ينتمون إلى المشايخ ، كما ينتمي أهل الطرق الصوفية المتأخرة ولكن كان لهؤلاء الملامتية صفات وآداب تكفي في التمييز بينهم ، وبين طوائف الصوفية الأخرى ، ممن عاصروهم أو عاشوا بعدهم ، .. كما أن السُّلمي أول من كتب في الملامتية وأصولهم على الإطلاق ، وجميع من جاءوا بعده أو كتبوا في الملامتية بعد ظهور رسالة الملامتية أخذوا ما كتبه السُّلمي عليهم وعن أصولهم وأفاضوا في شرح ما كتبه عنهم ، فهم على حد تعبير د . أبو العلا عفيفي " عيال على السُّلمي ". [٢]

وما ذهب إليه د . أبو العلا عفيفي أن من كتب بعد السُّلمي في الملامتية هم عيال على السُّلمي دليل على أن السُّلمي ملم بأصول وآداب وأخلاق هذه الطائفة ، واهتمام السُّلمي بهذه الطائفة ليس من فراغ ، إنما جاء اهتمامه بها من ضمن اهتمامه بالتصوف والصوفية ، فقد سخّر السُّلمي حياته للبحث في التصوف والصوفية وأخلاقهم التي تميزهم عن غيرهم ، وأخلاق طوائفهم التي تميزهم عن بعضهم .

ويوضح السُّلمي مكانة الملامتية بين العباد والزهاد ، فيقسم أرباب العلوم والأحوال أو أهل العلم الظاهر وأهل العلم الباطن إلى ثلاثة أقسام :

أ ـ الطبقة الأولى : وهم الفقهاء ، علماء الشريعة المشتغلين بظواهر الأحكام وهم أهل الظاهر .

---

١ ـ السُّلمي ، أصول الملامتية ، تحقيق د. أبو العلا عفيفي صـ٨٦ ، ضمن كتاب الملامتية والصوفية وأهل الفتوة ، راجع أيضاً ، السُّلمي ، أصول الملامتية وغلطات الصوفية ، تحقيق د . عبد الفتاح الفاوي صـ١٣٩ .

٢ ـ راجع د . أبو العلا عفيفي ، الملامتية والصوفية وأهل الفتوة ، صـ٤ ، ٥ .

ب ـ الطبقة الثانية : هم الصوفية ، وهم الخواص الذين خصهم الله تعالى بمعرفته ، وقطعهم عما في الخلق من جميع الأشغال والإرادات ، فشغلهم بالله وإرادته له ... وهم من خصهم الله بأنواع الكرامات ، وقطع أسرارهم عن المكنونات ، فكانوا له وبه وإليه، وهذا بعد أن أحكموا طريق المعاملات ، ولا يخالف ظاهرهم شيئاً من سنن الشرع ، ولا يغيب باطنهم عن ملاحظة الغيب.

جـ ـ الطبقة الثالثة : هم الملامتية ، الذين زين الله باطنهم بأنواع الكرامات من القربة والزلفة والاتصال ، فلما تحققوا في الرتب السنية من الجمع والقربة والأنس والوصلة غار الحق عليهم أن يجعلهم مكشوفين للخلق ، فأظهر للخلق منهم ظواهرهم التي هي في معنى الافتراق من علوم الظواهر ، ... فيسلم لهم حالهم مع الحق في جمع الجمع والقربى ، وهذا من أسنى الأحوال ألا يؤثر الباطن على الظاهر ، وهذا شبيه بحال النبي ρ ، لما رفع إلى المحل الأعلى من القرب والدنو ، وكان قاب قوسين أو أدنى ثم رجع إلى الخلق يتكلم معهم في الأحوال الظاهرة ، ولم يؤثر من حال الدنو والقرب على ظاهره شيء ، والحال التي تقدم ذكرها ـ حال الصوفي ـ حال موسى عليه السلام أنه لم يطق أحد النظر إلى وجهه بعد أن كلمه الله ، وهذا شبيه بحال الصوفية وهم الطبقة الثانية " [(١)] .

ومن خلال هذا التقسيم لأرباب العلوم والأحوال يتضح أن السُّلمي يعلي من شأن الملامتية ويجعلهم من أعلى قائمة تصنيفه للزهاد والعباد ، ويشبه السُّلمي حال الملامتية بحال النبي ρ عندما صعد إلى السماء إلى سدرة المنتهى ، ثم هبط إلى الأرض فتحدث إلى الناس وكأنه منهم ، أما الصوفية فيشبّه السُّلمي حالهم بحال موسى عليه السلام عندما لم يطق النظر إلى نور الله عندما تجلى ربه للجبل ، لهذا فإن السُّلمي يرى أن الحق غار على الملامتية حتى لا يعرفهم غيره ، وفي هذا لا أوافق السلمي لأن الإنسان مهما بلغ من عبادة وعمل لن يصل إلي درجة النبوة أو يكون حاله مثل حال النبي ، لأن النبي معصوم من الله أما أي إنسان فهو غير معصوم .

---

١ ـ السُّلمي ، أصول الملامتية ، صـ ٨٦ ، ٨٧ (ضمن كتاب الملامتية وأهل الفتوى والصوفية)، راجع كذلك السُّلمي ، أصول الملامتية وغلطات الصوفية ، تحقيق د . عبد الفتاح الفاوي ، صـ ١٤٠ ، ١٤١ .

أمـا عـن التعريـف الاصـطلاحي لكلمـة الملامتيـة ، فقد تنـاول السُّـلمي تعريـف لمفهوم الملامتية على لسان أحد رجالهم وهو أبـو حفص النيسـابوري (ت :٢٧٠ هـ) عندما سئل عن معنى الملامة ، فقال : " هم قوم قاموا مع الله تعـالى علـى حفظ أوقـاتهم ومراعاة أسرارهم فلاموا أنفسهم على جميع ما أظهروا مـن أنـواع القرب والعبـادات ، وأظهروا للخلق قبائح ما هم فيه ، وكتموا عنهم محاسنهم فلامهم الخلق على ظواهرهم، ولاموا أنفسهم على ما يعرفونه من بـواطنهم ، فـأكرمهم الله بكشـف الأسـرار والاطـلاع على أنواع الغيوب وتصحيح الفراسة في الخلـق وإظهـار الكرامـات عليهم ، فـأخفوا مـا كان من الله تعالى عليهم بإظهار ما كان منهم في بدء الأمر من ملامة النفس ومخالفتهـا والإظهار للخلق ما يوحشهم ليتنافى الخلـق عنهم ، ويسلم لهم حـالهم مـع الله " ، وسـئل حمدون القصار (ت:٢٧١ هـ) عن طريق الملامـة ، فقـال : " تـرك التـزين للخلـق بكـل حال ، وترك طلـب رضـاهم فـي نـوع مـن الأخـلاق والأفعـال ، وألا يأخـذ فيمـا لله عليك لومة لائم بحال ... " [(١)] .

ويرى شهاب الدين السهروردي (ت:٦٣٢ هـ) " أن الملامتي تشربت عروقـه طعـم الإخـلاص وتحقـق بالصـدق ، فـلا يجـب أن يطلـع أحد علـى حالـه وأعمالـه ... ، والملامتية لهم فريد اختصاص بالتمسك بالإخلاص ، ويرون كتم الأحـوال والأعمـال ، ويتلـذذون بكتمهـا حتـى لـو ظهـرت أعمـالهم وأحـوالهم لأحـد استوحشـوا مـن ذلـك كمـا يستوحش العاص من معصيته " [(٢)] .

ويقول ابـن عربـي عن الملامتيـة " أنهـم لا يزيـدون علـى الصـلوات الخمس إلا الرواتـب ولا يتميـزون عـن المـؤمنين المـؤدين لفرائض الله بحالـة زائـدة يعرفـون بهـا ، يمشـون فـي الأسـواق ، ويتكلمـون مـع النـاس ، لا يبصـر أحـد مـن خلـق الله واحـداً مـنهم يتميز عن العامة بشيء زائد ... ، ولا يعرفون للرياسة طعماً ، لاستيلاء الربوبيـة علـى قلـوبهم ... ، وهـم مفتقـرون إلـى الله فـي الحقيقـة ، وهـم أرفـع الرجـال ، وتلامـذتهم أكبـر

١ـ المرجع السابق ، صـ ٨٩ ، ٩٠ ، راجع أيضاً السُّلمي أصول الملامتية ، تحقيق د . الفاوي ، صـ ١٤٣ ، ١٤٤ .

٢ـ عمر بن محمد بن عبد الله الملقب بشهاب الدين السهروردي ، عوارف المعارف ، صـ ٧٢ ، مكتبة القاهرة ١٩٧٣ .

الرجال ، يتقلبون في أطوار الرجولية ، فهم لا يشاهدون في الخلق سوى سيدهم ، واختصوا بهذا الاسم لأمرين : الواحد ، يطلق على تلامذتهم لكونهم لا يزالون يلومون أنفسهم في جنب الله ، ولا يخلصون لها عملاً تفرح به تربية لهم ، الثاني ، هذه الطائفة لو ظهرت مكانتهم من الله للناس لاتخذوهم آلهة ، فلما احتجبوا عن العامة بالعادة انطلق عليهم في العامة ما ينطلق على العامة من الملام فيما يظهر عنهم ما يوجب ذلك " [1].

وبذلك فإن محي الدين بن عربي (ت : ٦٣٨ هـ) يرفع من شأن الملامتية ، وأرى أن قول ابن عربي لاتخذهم الناس آلهة دليل على حسن أخلاق الملامتية وطيبة آدابهم ، وصفاء سريرتهم ، ولكن اتخاذهم الناس آلهة ، فإن قول ابن عربي هذا به مبالغة ، فمهما بلغ الإنسان من حسن الخلق وإخلاص في العبادة وزهد في الدنيا لن يكون إله ، وعلى هذا فإن قول ابن عربي هذا مبالغ فيه وخطأ ، فهم عباد وليسوا آلهة .

ويتفق السُّلمي وابن عربي على رفعة مكانة الملامتية بين العباد الزهاد ، فهم على درجة عالية من العبادة ، شديدو الإخلاص لله ، ويتضح علو مكانتهم في قول السُّلمي أن الحق غار عليهم من معرفة غيره لعبادتهم ، لأن عبادتهم بينهم وبين الله ، ولا يعرفها غيره ، وأما ابن عربي فجعلهم للناس آلهة ، ويؤكد السهروردي (ت : ٦٣٣ هـ) هو الآخر على رفعتهم وعلوهم وزهدهم بأن لهم فريد اختصاص بالتمسك بالإخلاص ، وهؤلاء الملامتية في حقيقة أمرهم يعيشون مع الخلق لكنهم ذهب عقلهم وذهنهم إلى الحق . وعلى ذلك فإن أهم ما يميز الملامتية عن غيرهم من الصوفية هو شدة الإخلاص ، والبعد التام عن الرياء ، وملامة النفس على أفعالها كلها سواء الحسنة أو السيئة ، كل هذا مع عدم معرفة الخلق أو الأخريين بهذه الأفعال والأعمال .

ومهما يكن فإن الملامة أسلوب من أساليب تقويم النفس ومحاربتها وتطهيرها من شوائب العجب والرياء ، فالملامتي مثلاً مطالب بألا يظهر عبادته أو ورعه أو

١ـ محي الدين بن عربي .. الفتوحات المكية ـ المجلد الثالث ، صـ ٣٥ ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، بدون تاريخ .

علمه أو حاله ، وهو لا يتكلم في الإخلاص قدر ما يتكلم في الرياء ، ولا يتكلم في فضائل النفس وكمالاتها بقدر ما يتكلم في عيوب النفس ورعونتها ، ولا يطالب نفسه بما يقوم النفس ويهذبها بقدر ما يفرض على نفسه اتهامها وتحقيرها ومصادراتها في جميع رغباتها ومطامعها ، وأنك لتجد هذه الصفة السلبية منعكسة حتى في الاسم الذي اختارته هذه الطائفة لنفسها ، فاسم الملامتية مشتق من الملامة التي هي بخع وتأنيب للنفس ، ويؤكد د. أو العلا عفيفي أن اسم الملامتية قد يكون ـ إلى حد كبير ـ مشتقاً من بعض الآيات القرآنية ، التي ورد فيها كقوله تعالى : [وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ] **[سورة: القيامة ـ الأية: ٢]** ، وقوله: [يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ] **[سورة: المائدة ـ الأية: ٥٤]** ، فإن الآية الأولى تعلي من شأن النفس اللائمة لصاحبها المحاسبة له على كل ما يصدر منه ، وهي النفس الكاملة في الاصطلاح الملامتي ، وتذكر الآية الثانية من صفات عباد الله الذين يحبهم ولا يخافون في الله لومة لائم ولا يكترثون بمدح الناس وذمهم " [١] .

نعود لنتساءل ما المراد بالملامة التي ينتسب إليها الملامتية ؟ أهي لوم الملامتي نفسه أم لوم الناس إياه ؟ أم لوم الملامتي الدنيا وأهلها : أما لوم الدنيا فليس من نظام الملامتية في شيء لأن من تعاليمهم الصريحة النهي عن ذم الدنيا ، أما المعنيان الأخريان فيدخلان في جوهر الفكر الملامتي ، وإليهما يشير كثير من تعريفاتهما ، ذلك أن الملامتي لا يرى لنفسه حظاً على الإطلاق ولا يطمئن إليها في عقيدة أو عمل ظنا منه أن النفس شر محض ، ولا يصدر عنها إلا ما وافق طبعها من رياء ورعونة ، ولذلك وقف منها موقف الاتهام والمخالفة ، وهذا هو المراد بلوم نفسه ، ومن ناحية أخرى يرى الملامتي أن معاملته مع الله سر بينه وبين ربه لا يصح أن يطلع عليه غيره ، فهو حريص على كتمان هذا السر ، غيور على محبوبه أن يطلع الخلق على صلته به فهو يظهر للخلق بآداب العبودية، ويحفظ سره مع الله. [٢]

١ـ راجع د . أبو العلا العفيفي ، الملامتية وأهل الفتوة ، صـ١٣ ، ١٤
٢ـ نفس المرجع ، صـ ١٣ : ١٥ .

ومن خلال الآراء السابقة، وبالأخص رأي السُّلمي في تعريف الملامتية ، ومن خلال تعريف الملامتية السابق أيضاً فإنني أوافق ما ذهب إليه د. أبو العلا عفيفي قائلاً " ليس مسلك الملامتية إلا صورة من صور الزهد الغالبة في ذلك العهد لها خصائصها ومميزاتها الإقليمية ـ إن صح هذا التعبير ـ أقول من صور الزهد ، لا أقول من صور التصوف ، لأن مسلك الملامتية مسلك عملي من أوله إلى آخره، ومجموعة من الآداب، يقصد بها مجاهدة النفس ورياضتها تؤديان بالسالك إلى إنكار الذات ومحو علائم الغرور الإنساني وإطفاء جذوة الرياء من القلب" (١).

حقاً فإن طريقة الملامتية في عبادتهم قائمة على الزهد على أساس عملي، فهم كما يرى السُّلمي لم يهتموا بوضع كتب لآدابهم، وأصول طريقتهم ومذهبهم، وإنما جعلوا طريقتهم آداب عملية يتلقاها بعضهم عن بعض ، فهم لا يهتمون بالجانب النظري في عبادتهم ، قدر اهتمامهم بالجانب العملي في حياتهم، وعلى ذلك فإن الملامتية زهاد وعباد وليسوا صوفية بكل ما تحمله الكلمة ، لأن التصوف يشمل الجانب العملي والنظري ، بينما الزهد لا يشمل إلا الجانب العملي، كما أن الصوفية لا يكترثون بمعرفة الآخرين لعبادتهم أو عدم معرفتهم إياها، بينما الملامتية يكتمون عن الناس محاسنهم وعبادتهم. واهتمام الملامتية بعدم معرفة الناس لعبادتهم يخرجهم من الرياء ويدخلهم في الرياء، يخرجهم من الرياء، لأنهم لا يريدون سوى الله فهو مقصدهم وغايتهم، ويدخلهم في الرياء، لأنهم نظروا إلى الناس واهتموا بهم خاصة وبعدم معرفتهم لعبادتهم، فكان ممكناً أن يجاري أحدهم البعض في عمل سوء، حتى يلومه الناس على فعلته، فكان اهتمامهم بعدم معرفة أحد عبادتهم هو ما جعلهم يشغلون أنفسهم بالناس ، ويخشون معرفتهم لعبادتهم ، وكان من الأولى ألا يشغلوا أنفسهم إلا برب الناس ويخشونه، وهذا من المآخذ على الملامتية من وجهة نظري، وهذا لا يعني تقليلي من شان الملامتية، بل أني أؤكد إخلاصهم في العبادة، ولكني آخذ عليهم اهتمامهم بمعرفة الناس أو عدم معرفتهم لزهدهم وعبادتهم، وأرى أن الملامتية ليسوا

١ـ المرجع السابق، صـ ٣ .

هم خاصة الخواص أو هم الطبقة الأولى من العباد ، وفي ذلك آخذ على السُّلمي بتشبيهه لهم بأن حالهم مثل حال النبي ρ لأن النبي ρ كان أكمل الخلق ، ولم يهتم بإخفاء العبادة عن باقي المسلمين فكيف إذاً يكونوا مثل حاله ، كما أن الصحابة اتبعوا النبي في عدم إخفائهم لعبادتهم فلم يكترثوا بمعرفة الناس أو عدم معرفتهم وتساوى الأمران لديهم .

٢ ـ أهم رجال الملامتية :

(أ) حمدون القصار : هو حمدون بن أحمد بن عمارة، أبو صالح القصار النيسابوري، شيخ أهل الملامة بنيسابور ومنه انتشر مذهب الملامتية ، صحب أبا تراب النخشبي (ت: ٢٤٥هـ) وكان عالماً وفقيهاً يذهب مذهب الثوري ، وطريقته اختص هو بها، ولم يأخذ عنه طريقته أحد من أصحابه كأخذ عبد الله بن محمد بن منازل (ت : ٢٣٣ هـ) صاحبه عنه ، توفي حمدون سنة إحدى وسبعين ومائتين بنيسابور، ومن أقواله: " من ضيع عهود الله عنده فهو لآداب شريعته أضيع لأن الله تعالى يقول: [وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً] **[سورة: الإسراء ـ الأية: ٣٤]**. وقال: " من غفلة العبد أن يتفرغ من أمر ربه إلى سياسة نفسه" (١).

(ب) أبو حفص النيسابوري : اسمه عمرو بن سلمة صحب ورافق أحمد بن خضراويه البلخي (ت: ٢٤٠هـ) وكان أحد الأئمة والسادة، انتمى إليه شاه بن شجاع الكرماني (ت: ٢٩٨هـ) وأبي عثمان الحيري (ت: ٢٩٨) هـ ، وقد توفي أبو حفص سنة سبعين ومائتين ويقال سنة سبع وستين ، ومن أقواله " الكرم طرح الدنيا لمن يحتاج إليها، والإقبال على الله لاحتياجك إليه" ، ومن أخلاقه "إذا غضب تكلم في حسن الخلق حتى يسكن غضبه ثم يرجع إلى حديثه" (٢).

(جـ) عبد الله بن منازل : وهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن منازل ، من أجل مشايخ نيسابور، له طريقة يتفرد بها، صحب حمدون القصار، وأخذ عنه طريقته وكان عالماً

---

١ ـ السُّلمي ، طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريبة ـ صـ ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٢٨ .
٢ ـ نفس المرجع ، صـ ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٩ .

بعلوم الظاهر ، مات سنة تسع وعشرين وثلاث مائة ، ومن أقوله " من عظم قدره عند الناس يجب أن يحتقر نفسه عنده ، إلا ترى أن إبراهيم عليه السلام ، لما اتخذه الله خليلاً قال: [وَاجْنُبْنِي وَبَنِيّ أَن نّعْبُدَ الأَصْنَامَ] **[سورة: إبراهيم - الأية: ٣٥]** ، وسئل عن العبودية قال هي اضطرار لا اختيار فيه " [١]

(د) أبو عثمان الحيري : أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الحيري النيسابوري ، صحب أبا حفص وأخذ منه طريقته ، وهو في وقته من أوحد المشايخ في سيرته ، ومنه انتشرت طريقة التصوف في نيسابور ، مات سنة ثمان وتسعين ومائتين ومن أقوله " العجب يتولد من رؤية النفس وذكرها ، ورؤية الخلق وذكرهم ، وقال : " سرورك بالدنيا أذهب لسرورك بالله من قلبك ، وخوفك من غيره أذهب خوفك منه عن قلبك ، ورجاؤك من دونه أذهب رجاءك إياه من قلبك ". [٢]

هؤلاء هم أهم رجال الملامتية ، وإن كنا نريد تصنيف رجال الملامتية أو تقسيمهم ، فأنهم يقسمون إلى طبقتين ، الطبقة الأولى ، هم الأوائل والعباد والزهاد ممن عرفوا بلوم أنفسهم على الخيرات لأنهم يريدون فعل المزيد ، أو ممن عرفوا بهذا الاسم ـ الملامتية ـ مثل أبو حفص النيسابوري ، وحمدون القصار ، وأبو عثمان الحيري وغيرهم ، أو تلامذة هؤلاء المشايخ ، مثل عبد الله بن منازل ، وإسماعيل بن نجيد (ت: ٣٦٦ هـ) جد السُّلمي ، هذا عن الطبقة الأولى وهم الأوائل .

أما الطبقة الثانية : فهم المتأخرين ، وهم على النقيض من الطبقة الأولى ، وتعرف هذه الطبقة بالقلندرية ، يقول السهروردي " وهؤلاء هم المتشبه بالملامتية ، وهم قوم ملكهم سكر طيبة قلوبهم حتى خربوا العادات وقلت أعمالهم من الصوم والصلاة إلا الفرائض ، ولم يبالوا بتناول شيء من لذات الدنيا من كل ما كان مباحاً برخصة الشرع ، ... مع ذلك هم متمسكون بترك الادخار وترك الجمع والاستكثار ، ولا يترسمون بمراسم المتقشفين والمتزهدين ... والفرق بين الملامتي والقلندري ، أن

١ـ المرجع السابق ، صـــ٣٦٦ : ٣٦٨ .
٢ـ نفس المرجع صـــ١٧٠ : ١٧٢ .

الملامتي يعمل في كتم العبادات والقلندري يعمل في تخريب العادات ، والملامتي يتمسك موقف العوام في هيئته وملبوسه ، وستر الحال لئلا يفطن له ، وهو مع ذلك متطلع إلى طلب المزيد ، والقلندري لا يتقيد بهيئة ، ولا يبالي بما يعرف من حله ومالا يعرف " ويضيف السهروردي (ت: ٦٣٨هـ) قائلاً أيضاً عن القلندرية :

" فقوم من المفتونين سموا أنفسهم ملامتية ولبسوا لبسة الصوفية لينتسبوا بها إلى الصوفية وما هم من الصوفية بشيء بل هم في غرور وغلط ، يتسترون بلبسة الصوفية توقينا تارة ودعوى أخرى ، وينتهجون مناهج أهل الإباحة ، ويزعمون أن ضمائرهم خلصت إلى الله تعالى ، ويقولون هذا هو الظفر بالمراد والارتسام بمراسم الشريعة رتبة العوام ، والقاصرين الإفهام المنحصرين في مضيق الاقتداء تقليداً وهذا هو عين الإلحاد والزندقة والإبعاد ، فكل حقيقة ردتها الشريعة فهي زندقة ، وجعل هؤلاء المغرورين أن الشريعة حق العبودية ، والحقيقة هي حقيقة العبودية ، ومن صار أهل الحقيقة تقيد بحقوق العبودية ، وصار مطالباً بأمور وزيادات لا يطالب بها من لم يصل إلى ذلك ، إلا أنه يخلع عن عنقه ربقة التكليف ويخامر باطنه الزيغ والتحريف ". [١]

ويقول د. أبو العلا عفيفي عن القلندرية " فبعد أن كان مبدأ الملامتية سلبياً صرفاً يدعو إلى إخفاء الحسنات ، اتخذ على أيدي هؤلاء اتجاهاً إيجابياً ، فطالب أهل الملامة مريديهم بتعمد المخالفة والظهور في الناس بالمظاهر التي تثير لومهم وتجلب عليهم سخطهم وازدراءهم ، وأصبح هذا في نظر الملامتية طريقاً من طرق تقويم النفس وتأدبها وتعريفها قدرها ، وهكذا مضى هؤلاء المتشبهين بالملامتية في غلوهم حتى وقعوا في العصور الحديثة في نوع من الإباحية انمحى فيه كل فرق بين الحسن والقبيح ، والخير والشر ، ولا يوجد صلة تاريخية بين ـ الملامتية والمتشبهين بهم ـ إلا في مجرد الاسم " [٢]

١ـ السهروردي ، عوارف المعارف ، صـــ٧٦ ، ٧٧ .
٢ـ د. أبو العلا عفيفي ، الملامتية والصوفية وأهل الفتوة ، صـــ٤٦ ، ٤٧ .

ومن الطريف ما يقولــه د. مصطفى الشيبي ، نقلاً عن آدم متز في كتابه الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ينبه أن فكرة الملامة قديمة ، وينقل عن أفلاطون " أنه وصف في أول الكتاب الثاني من الجمهورية ، العادل الحق الذي يظن به أنه ليس عادلاً " وذلك تأصيل غريب على أي حال " [١]

وسواء كانت الملامتية من أيام اليونان أو من القرن الثالث الهجري فعلى أي حال هم أفراد أخلصوا العبادة لله ، فهم أمام الخلق منهم ، وبينهم وبين الله عباد الرحمن ، الذين يمشون على الأرض هوناً ، ويبيتون لربهم سجداً وقياماً .

وأرى أن طريقة الملامتية الأولى من عبادة وزهد لا غبار عليها ، فهم يعبدون الله مخلصين عبادته ، شديدو الإخلاص له ، وأهم ما لديهم من مبادئ هو ازدراء النفس وبخعها وتأنيبها على ما فاتها وعلى تقصيرها في عملها ، وإن كنت آخذ عليهم مراعاتهم الناس بكتمان عبادتهم عنهم .

أما الملامتية المتأخرين ، فهم بعيدون عن الدين ، قريبون من الشيطان ، وهم أولياؤه الضالين ، فقد ابتعدوا عن العبادة وجعلوها للعامة ، وقالوا أن من يؤدي العبادات إنما هو من المقصرين ، وجعلوا أنفسهم واصلين إلى الحضرة الإلهية ، بعيدين عن الناس ، ويزيدون في أعمال السوء والرذائل ، ونسوا أن رسول الله ρ كان يعبد ربه حتى تورمت قدماه ، ونسوا أنه ρ كان يستغفر الله ربه في اليوم سبعين أو مائة مرة ، هذا عن النبي ρ ، الذي غفر له الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فما بال هؤلاء القوم المتأخرين من الملامتية البعيدين عن الحضرة الإلهية ، القريبين من إبليس وأهله ، هؤلاء المتأخرون خرجوا عن الإسلام وتعاليم النبي ρ ، بينما الملامتية الأوائل كانت طريقتهم في ازدراء النفس ومحاسبتها حساباً عسيراً لم تخرج عن الإسلام ولا سنة النبي ρ في شيء ، وهذا ما سوف يتضح من خلال تحليل لأصول ومبادئ مذهبهم .

١ـ د. مصطفى كامل الشيبي ، الصلة بين التصوف والتشيع ، العناصر الشيعية في التصوف، جـ ١ ، صـ ٥٤٩ ، دار الأندلس، ط٣ ، بيروت ١٩٨٢ .

٣ـ أهل الفتوة :

الفتوة في اللغة هي الكرم والفتى هو الشاب السخي والكريم .[١] والفتى هو الحدث ، لكن لما كانت أخلاق الأحداث اللين صار كثيراً من الشيوخ يعبرون بلفظ الفتوة عن مكارم الأخلاق .[٢] والملاحظ أنه من الصعب أن تعرف الفتوة تعريفاً يوضح قيمتها في جميع الحالات والعصور التي استعملت هذه الكلمة فيها ، وتخريج الكلمة اللغوي لا يلقي على المشكلة كثيراً من الضوء ... فالفتى في عرف العرب القدامى هو الذي تتجسد فيه الصفات التي تتطلبها القبيلة على أتم وجه ، وهي درجة كبيرة من الصمود يحقق للقبيلة تماسكها وترابطها ، وشجاعة في القتال تتضمن حماية كافية ، وكرم يحفظ للقبيلة اسمها الطيب في الجوار ، كما أن الشهامة والجود يساعدان الفرد في رفع مكانته ، ويمكننا في الوقت نفسه من أن نمد يد العون إلى الآخرين .[٣]

وقد نشأت الفتوة عند العرب منشأة طبيعية في الصحراء الشاسعة كما تنبت الأزهار البرية العبقة الشذا في مجرى السيل على سفح الجبل ، فالصحراء قد فرضت على العرب أخلاقاً خاصة ، وألزمتهم بتقاليد لا يستطيعون عنها حولاً ، صارت لهم على مر السنين جبلة وطبيعية ، وصارت عنواناً لهم بين العالمين ، هذه الأخلاق الكريمة التي دأبوا على التطبع بها قبل الإسلام ، حتى تمكنت من نفوسهم وأحلوها محل الشريعة المفروضة ودانوا لها جميعا ، أهلاً لأن يبعث فيهم خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ، ليكونوا خير أمة أخرجت للناس .[٤]

وأول تعريف يذكره زاهد أو صوفي ويصرح فيه باسم الفتوة هو الفضيل بن عياض (ت: ١٨٧هـ) حيث يقول : " الفتوة هي الصفح عن عثرات الأخوان" ، ولذلك

١ـ الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، جـ٢ صـ١٧٣٠ .
٢ـ أبن تيمية ، موسوعة فقه السنة ، فقه التصوف ـ تحقيق زهير شفيق الكبي ، صـ٦٠ ، دار الفكر العربي ، ط١ بيروت ، ١٩٩٣ .
٣ـ جورج رنتز وآخرون ، دراسات إسلامية ، ترجمة د. أنيس فريحه وآخرون ، صـ٢١٥ ، دار الأندلس بيروت ، ١٩٦٠ .
٤ـ راجع د . عمر الدسوقي ، الفتوة عند العرب (و أحاديث الفروسية والمثل العليا) ، صـ٢١ ، ١٣٢ ، مكتبة نهضة مصر، القاهرة ١٩٥١

أعتبر الفضيل أول فتى من الزهاد والصوفية في الإسلام ، ويعتبره أبن المعمار شيخ الفتيان . [(١)]

ومن تعريفات الفتوة عند الصوفية ما قاله أبو بكر الوراق : " الفتى من لا خصم له " ويقول الحارث المحاسبي (ت: ٢٤٣ هـ) " الفتوة أن تنصف ولا تنتصف " [(٢)]

وقد عرفها السُّلمي قائلاً : " هي الموافقة وحسن الطاعات وترك كل مذموم وملازمة مكارم الأخلاق ومحاسبتها ظاهراً وباطناً ، وسراً وإعلاناً ، وكل حال من الأحوال ووقت من الأوقات يطالبك بنوع من الفتوة ، ففتوة مع ربك عز وجل ، وفتوة مع نبيك عليه السلام ، وفتوة مع الصالحين وفتوة مع مشايخك ، وفتوة مع إخوانك " . [(٣)]

وهكذا يتضح أن الفتوة عند السُّلمي وعند غيره من الصوفية ما هي إلا أخلاق حسنة طيبة ، يلتزم بها الإنسان حتى تصير طبعاً وفطرة له ، وكما يقال لكل مقام مقال، فإن لكل فرد ولكل حال كما أوضح ذلك السُّلمي فتوة ، لا تخرج في مضمونها عن تعاليم الإسلام وآدابه . ولذلك يطالب السُّلمي وغيره من الصوفية بأن يلتزم الفتى بمكارم الأخلاق ومحاسنها في السر والعلن ، وأخص خصال الفتوة السماح والكرم ، وهذا لا يخرج عما نادى به الإسلام وطالب الناس بعمله .

وأول فتى في الإسلام على الإطلاق هو إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقد قال تعالى: [قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ] **[سورة: الأنبياء - الأية: ٦٠]** ، وقد تميز إبراهيم عليه السلام بالشجاعة وإكرام الضيف وامتلاك نفسه عند الغضب . ومن الفتيان يوسف عليه السلام ، فقد تحلى بالصبر ، فصبر على إيذاء أخوته ، وصبر على العبودية ، وصبر على الشهوة ، وصبر على السجن ، وقد عفا يوسف عن أخوته ،

١- د .على سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، جـ٣ ، صـــ١٠٣ ، دار المعارف ، ط٧ ، القاهرة ١٩٧٨ .
٢- القشيري ، الرسالة القشيرية ، تحقيق ، د. عبد الحليم محمود ، جـ٢ صـــ٤٧٢ ، ٤٧٣ .
٣- السُّلمي ، مخطوطة - كتاب الفتوة - مجاميع طلعت رقم ٦٥٠ ، مصورة بدار الكتب المصرية .

وهذه الأمور كلها من صفات الفتيان ، وأنبياء الله كلهم لهم صفات الفتوة وهم فتيان، ورسول الله ρ سيد الفتيان ، فقد كان قبل البعثة وبعدها مثالاً للرجولة الحقة والفتوة الكاملة ، فكان جامعاً للخصال الحميدة والصفات الجليلة .

ويربط د. كامل مصطفى الشيبي بين الفتوة في الكوفة والتشيع ، فيقول أن الفتيان (بالكسر) قبيلة من بجيلة منهم ربيعة الفتياني ، وبجيلة هي القبيلة الشيعية الغالبة في الكوفة ، وبذلك ترتبط الفتوة بالتشيع برباط وثيق إلى حد أن قبيلة برأسها كانت توصف بالفتوة ، وينعت رجالها بلقب الفتيان ، وهكذا تكون بداية الفتوة شيعية كما كانت بداية الزهد ، ويستلفت الانتباه بأن الفتيان في الكوفة كانوا منظمة لهم لباس خاص وهو ثوب مصبوغ بالزعفران أو العصفر تجتمع في الحمامات ، وليس غريباً أن تظهر الفتوة في الكوفة وفيها الظلم والعسف والطغيان والجوع والخوف ، فكان طبيعياً أن يظهر فيها رجال يتصفون بالطيبة والشجاعة والإيثار ، والدفاع عن الضعفاء والأخذ بيد المظلومين ، وتلك طبيعة البشر وجبلة النفس الإنسانية" ، ويقول الشيبي " أن الإمام علياً كان من أخص أخلاقه الكرم والشجاعة والسخاء والمروءة ، كما أنه أثر زملاءه على نفسه في الخلافة ، فلم يثر ولم يعارض تغليباً للمصلحة العامة، فهو الذي عرض نفسه للموت بمبيته في فراش النبي ρ ليلة الهجرة ، وهذا كله من أخص صفات الفتوة .

وعن فتوة علي يقول د . كامل الشيبي : قد أورد الطبري في حوادث واقعة أحد، أن علياً قد أبلى بلاء عجب به جبريل فقال: يا رسول الله إن هذه للمواساة ، فقال رسول الله ρ : إنه مني وأنا منه ، فقال جبريل وأنا منكما ، فسمعوا صوتاً لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي ، ويؤكد د. كامل الشيبي أن عبارة " لا فتى إلا علي " ليست حديثاً نبوياً إنما هي قول منادي يوم أحد "[1].

لقد أتعب د. كامل الشيبي نفسه لإثبات أن أصل الفتوة شيعي ، ولكن عندما نعود للنظر في الماضي ، سوف نجد أن الفتوة موجودة منذ أن خلق الله الأرض ومن

١ ـ د. كامل مصطفى الشيبي ، الصلة بين التصوف والتشيع ، جـ١ ، صـ ٥٢٠ ، ٥٢١،٥٢٤ .

عليها ، فهي موجودة في كل العصور ، وفي كل الثقافات ، والديانات ، لأنها أخلاق وخصال طيبة إذا توافرت في أي فرد يكون من أهل الفتوة عامة ، وليس من أهل الفتوة الصوفية الإسلامية .

٤ ـ أهم رجال الفتوة الصوفية :

سبق وأن ذكرنا أن رجال الفتوة كثيرون ، فمنهم نبي الله إبراهيم عليه السلام ، ويوسف وأيوب، وكل أنبياء الله، والصحابة والتابعون من رجال الفتوة ، وغيرهم، وهذا يرجع ـ كما سبق القول ـ إلى أن الفتوة هي جماع الأخلاق الكريمة والطيبة، ولكن أهم رجال الفتوة من الصوفية المسلمين هم :

(أ) الحسن البصري : المتوفى عام عشر ومائة ، كان معروفاً بحسن محاسبته لنفسه ، وإيثاره لغيره ، وصبره على بلاء الله ، وزهده على الدنيا وغيرها ، فكان يحاسب نفسه أشد حساب وقال : " أن المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله عز وجل ، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبه". [١]

(ب) الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الخراساني ، المتوفى سنة سبع وثمانين ومائة، وعند التأمل الذاتي في حياة الفضيل بن عياض وفي كلماته ، يتبين بوضوح أن الرجل عاش عيشة إيثار ومروءة وسخاء ، ويتضح ذلك في قوله " لم يدرك عندنا من أدرك بكثرة صيام ولا صلاة ، وإنما أدرك بسخاء الأنفس وسلامة الصدر والنصح للأئمة " ويقول أيضاً " لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت علي ولا أحاسب بها لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه " [٢].

وقد كان بنيسابور فتيان من غير الصوفية أيام حمدون القصار ، وكانت لهم هيئات أو جماعات لا يعرف من أمرها شيء ، وكان يطلق على الفتى منهم اسم "

---

١ ـ د. عبد العزيز محمد ، الفتوة في المفهوم الإسلامي ، دراسة في الأخلاق الإسلامية صـ ١٦٢ ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الإسكندرية ١٩٩٨م .
٢ ـ نفس المرجع ، صـ ١٩٦ ، ١٩٧.

العيار أو الشاطر " [١] أحياناً، قال حمدون القصار : " كنت أسير يوماً في حي من نيسابور فلقيت نوحاً العيار أحد المعروفين بالفتوة، وكان على رأس الشطار بنيسابور فقلت له: يا نوح! ما الفتوة؟ فقال: فتوتي أم فتوتك؟ فقلت: صف الاثنين فقال: اخلع القباء والبس الخرقة وافعل الأفعال التي تليق بهذا الثوب لعلي أصبح صوفياً ، وأقلع عن المعاصي لما أشعر به من الحياء من الله ، ولكنك تخلع الخرقة لكي لا يخدمك الناس وينخدعوا بك ، ففتوتي في اتباع ظاهر الشرع ، أما فتوتك ففي تلبية نداء القلب. [٢]

ومما سبق أرى أن الفتوة ليست شيعية أو تابعة لأي مذهب أو فرقة إسلامية معينة، أو أنها طائفة من الصوفية ، إنما الفتوة إسلامية خاصة أو إنسانية عامة ، فهي أخلاق طيبة حسنة، تعني الرجولية وهي اكتمال الفضيلة، فهي موجودة في العرب منذ الجاهلية، وقد وصف الله بها أنبياءه، وعندما جاء الإسلام وحث على الأخلاق الطيبة والخصال الحميدة التزم بها المسلمون ، وعلى ذلك فالفتوة إسلامية عربية وليست تابعة لمذهب أو فرقة.

فالفتوة إذن نظام أو أسلوب في الحياة يحياها الفتى الصوفي ، ويعيشها فهي أفعال وأعمال، وملخص القول أنها أخلاق ، وليست أقوالاً نظرية عقيمة يتفوه بها الفرد ويتحدث عنها.

ب ـ أصول الملامتية وآداب أهل الفتوة عند السُّلمي :

١ ـ أصول الملامتية وتعاليمهم :

بنى الملامتية أصولهم على أصلين هامين- وهذا ما ذهب إليه د . أبو العلا عفيفي - أولهما : مقاومة النفس في كل ما يصدر عنها من أفعال وما يخطر لها من خواطر. وثانيهما: إخفاء المظاهر التي تنم عن الحياة الروحية بخاصة ما يشير فيها إلى

١ـ العيار في القاموس المحيط هو " الكثير المجيء والذهاب والذكر الكثير الطواف ، وأطلق على الأسد ، وفرس خالد بن الوليد، وعلم ، والشاطر أيضاً هو من أعيا أهله خبثاً " ،الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، جـ ١ ، صـ٦٢٥ ، ٥٨٤ . وتسمية الفتى بالعيار والشاطر يدلان على النشاط والحيوية.

٢ـ د . عمر الدسوقي ، الفتوة عند العرب ، صـ ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

الصلة بين العبد وربه ، بل الظهور بين الناس بالمظاهر التي تبدو وأنها لا تتفق مع ظاهر الشرع استجلاباً لملامة الناس وتأنيبهم لهم، ومن هنا رسموا " الملامتية" على هذين الأساسين بنى الملامتية نظاماً في التصوف العملي والنظري. [١]

وأستطيع أن أجمع تعاليم وأصول الملامتية من خلال رسالة السُّلمي عن أصول الملامتية، في عدة نقاط رئيسية وهي آراء الملامتية في النفس والرياء وموقفهم من الآخرين والذكر عندهم، وموقفهم من الحرية، والآن نناقش باختصار هذه الآراء :

(أ) النفس

إن كانت النفس عند الصوفية هي أصل البلاء ورأس الشر ، فهي أيضاً عند الملامتية المحور الأساسي الذي بنى عليه الملامتية أصولهم، فهي اللوامة لذاتها على ما يصدر من أفعالها، وهي الملومة من قبل الخلق على ما تظهر من أفعال، وبهذا فإن النفس هي نقطة الارتكاز التي تدور حولها تعاليم وأصول الملامتية، فالملامة أسلوب من أساليب تقويم النفس وتطهيرها من شوائب العجب والرياء .

ويقوم المذهب الملامتي عموماً على الجانب السلبي في النفس ومحاربته أكثر مما يقوم على الجانب الإيجابي وتزكيته، فالصفات التي يجب ألا يتصف بها الملامتي أكثر من الصفات التي يجب أو ينبغي أن يكون عليها، والتعاليم التي يفرضها الملامتية على مريديهم لا تكاد تعدو سلسلة من النواهي، فالملامتي مثلاً مطالب بألا يظهر شيئاً من عبادته أو ورعه .. ولا يتكلم في فضائل النفس وكمالاتها بقدر ما يتكلم في عيوب النفس وآفاتها، ولا يطالب نفسه بما يقوم النفس ويزكيها بقدر ما يفرض على نفسه اتهامها وتحقيرها ومصادرتها في جميع رغباتها ومطامعها ، ومع محاربة الملامتية للنفس التي يعدونها أعدى أعداء الإنسان حاربوا كل مظهر من مظاهرها ينبئ عن الرياء، فحرموا على أنفسهم لبس المرقعة التي كان يلبسها كثير من الصوفية والفقراء، مما ينطوي عليه لبسها من ادعاء وما عسى أن يجلب للابسها من مدح الناس

---

١ ـ د. أبو العلا عفيفي ، التصوف الثورة الروحية في الإسلام ، صـ ١٧٣ .

وإعجابهم، وكذلك حرموا الظهور بين الناس بمظاهر الورع والتقوى ونحو ذلك للسبب عينه. [١]

فقد وقف الملامتية من النفس موقف الاتهام والخصومة دائماً، فهم لا يرون معصية إلا اعتبروها من شيمتها، ولا طاعة إلا شكوا في إخلاصها فيها، وهذا لأنهم رأوا أن إساءة الظن بها طريقاً لكشف خباياها وإظهار نزعاتها التي يرى الملامتي من واجبه مقاومتها، ولذلك جعل الملامتية سوء الظن بالنفس في مقابلة حسن الظن بالله، أصل من أصولهم، ويرى الملامتية أيضاً أن بمقدار معرفة الملامتي بعيوب نفسه تكون معرفته بها. [٢]

وعلى هذا فقد جعل السُّلمي من أصول الملامتية " اتهام النفس في جميع الأحوال أقبلت أم أدبرت، أطاعت أم عصت، وقلة الرضا عنها، والميل إليها بحال" ولذلك فإن الملامتية " يخافون من لذة الطاعة التي يعتبرونها سموماً قاتلة" خاصة أنهم يرون عدم الإخلاص فيها وإصابتها بالرياء ، وهم في هذا " يروا تقصيرهم ورؤية عذر الخلق فيما هم فيه" ولذلك فإنهم "عندما يرون لأنفسهم استجابة دعوة حزنوا واستوحشوا وقالوا هذا مكر واستدراج" ، وفي هذا يقول سهل بن عبد الله التستري (ت : ٢٨٣ هـ): " ليس للمؤمن نفس لأن نفسه ذهبت، قيل له: فأين ذهبت نفسه، قال: في المبايعة، قال تعالى: [إِنّ اللّهَ اشْتَرَىَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنّ لَهُمُ الّجَنّةَ] **[سورة: التوبة - الأية: ١١١]** ، ومن أصول الملامتية عند السُّلمي أيضاً "أن الإنسان يجب أن يكون خصماً على نفسه غير راض بحال من الأحوال عنها"، ولذلك فهم " يعظمون ما لله عندهم من جميع الوجوه وتصغير ما يبدو منهم من الموافقات

١- السُّلمي ، أصول الملامتية وغلطات الصوفية ، تحقيق وتقديم د. عبد الفتاح الفاوي ، صـ ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ .

٢ - د. أبو العلا عفيفي ، الملامتية والصوفية وأهل الفتوة ، صـ ٥٨ .

والطاعات وملازمة حدهم مع الله من غير قصد، من استنباط في قول أو إظهار ما يجب كتمه من الأحوال"[١].

وما ذهب إليه الملامتية من أن النفس هي مصدر الشرر والآثام، ذهب إليه جميع المتصوفة ، إلا أن الملامتية زادوا من مخاصمتهم للنفس وكانوا أحذر من غيرهم من مكرها وابتعدوا عن خطرها بقدر استطاعتهم ، ونصحوا بأن لا يأمن لها الإنسان غمضة عين ، لأنها تتربص بالإنسان كما يتربص به الشيطان ، وموقف الملامتية ليس ببعيد عن القرآن والسنة إلا أنهم أكثر مخافة من النفس وأفعالها ، قال تعالى: [إِنّ النّفْسَ لأمّارَةٌ بِالسّوَءِ] **[سورة: يوسف - الأية: ٥٣]** جهاد النفس هو الجهاد الأكبر وترويضها هو الأصعب والأعظم ، وعلى هذا كان للملامتية الحق في أنهم جعلوا النفس ومحاربتها وترويضها من أهم أصولهم ، ولكن أرى أن الملامتية أخطئوا أيضاً عندما جعلوا النفس أمارة بالسوء دائماً ، وعند عملها الصالح فهي أيضاً ناقصة ، ونسوا قول الله تعالى [يَأَيّتُهَا النّفْسُ الْمُطْمَئِنّةُ* ارْجِعِي إِلَىَ رَبّكِ رَاضِيَةً مّرْضِيّةً] **[سورة: الفجر - الأية:٢٧، ٢٨]** فهناك نفس مطمئنة وأخرى لوامة وثالثة أمارة ، وليست توصف فقط بالسوء والمعصية والنقص والخطيئة ، نعم إن النفس هكذا ولكنها عندما تتوب من ذلك وتقلع عنه تكون راضية ومطمئنة ومرضية .

(ب) الرياء

الريا هو أكبر أمراض النفس وأشدها ارتباطاً بها ، لذلك فقد تناول الملامتية هذا المرض بالبحث والدراسة واستطاعوا أن يشخصوه وقاموا بعلاجه ، فهم يرون أن النفس في أصل طبيعتها مجبولة على الجهل والمخالفة والرياء ، فإساءة الظن بها طريق لكشف خباياها وإظهار نزعاتها التي يرى الملامتي من واجبه مقاومتها.[٢]

١- السُلمي ، رسالة الملامتية ، أماكن متفرقة ، ضمن كتاب الملامتية وأهل الفتوة ، د. أبو العلا عفيفي ، راجع أيضاً، السُلمي ، أصول الملامتية وغلطات الصوفية، تحقيق د. عبد الفتاح الفاوي ، أماكن متفرقة
٢ - د. أبو العلا عفيفي ، الملامتية وأهل الفتوة ، صـ٥٧ .

ولهذا فقد جعل السُّلمي أن من أخص أصول الملامتية البعد عن الرياء وعن كل ما يقرب له إذ يقول :" التزين بشيء من العبادات في الظواهر شرك ، والتزين بشيء من الأحوال في الباطن ارتداد ، قال رجل لأبي حفص أوصني قال : " لا تكن عبادتك لربك سبيلاً لأن تكون معبوداً ، واجعل عبادتك له إظهار رسم الخدمة والعبودية عليك، فإن من نظر إلى عبادته فإنما يعبد نفسه " ويرون أيضاً " أن النظر إلى العمل والعجب به من قلة العقل ، ورعونة الطبع ، إذ كيف تفتخر بما ليس لك فيه شيء ، وهو يجرى من الغير إليك ، وينسب ذلك إليك نسبة عارية ، وفي الحقيقة ليس لك فيه نسبة ، لأنك مدبر فيه ومجبور عليه ، وهل الافتخار بهذا الأمر إلا من قلة العقل ورعونة الطبع" ، وعلى هذا فإن " الملامتي يترك الكلام في العلم والمباهاة به ، وإظهار أسرار الله منه عند غير أهله ، حكى أبو عثمان الحيري (ت : ٢٩٨هـ) عن أستاذه أبي حفص (ت:٢٧٠هـ) أنه قال : " من كثر علمه قل عمله ، ومن قل علمه كثر عمله ، " قال : فرجعت إلى أبي حفص فسألته عن معنى كلامه هذا فقال : " من كثر علمه استقل كثير عمله لعلمه بتقصيره فيه ، ومن قل علمه استكثر قليل عمله ، لقلة رؤية التقصير فيه والعيب ، وهم أيضاً لا يريدون أن يتظاهروا بأي مظهر فيه رياء ، لهذا فهم يتركون البكاء عند السماع والذكر والعلم وغير ذلك وملازمة الكمد ، فإنه أحمد للبدن" . [1]

والرياء : إظهار ما هو غير حقيقي ، والحقيقة عند الملامتية ، هي أن الله الفاعل لكل شيء والواهب له ، وهذا مقدر أزلاً عند الله ، وأعمال العبد سواء كانت طاعات أو مخالفات مقدرة أزلاً عند الله ، وعلى هذا فلا معنى للاعتزاز والافتخار بهذه الأعمال ، ولذلك ذهب الملامتية إلى مخالفة لذة الطاعات وعدوها سموماً قاتلة [2] واعتبروا إظهار لذة الطاعات نوعاً من الرياء، وقد ذهب الملامتية إلى القول بأن نسبة الطاعات إلى العبد نوع من الشرك الخفي لأنها اعتراف بأن هناك إرادة للإنسان بجانب الإرادة الإلهية.

١- السُّلمي ، رسالة الملامتية ، أماكن متفرقة ، ضمن كتاب الملامتية وأهل الفتوة ، د. أبو العلا عفيفي ، راجع أيضاً، السُّلمي ، أصول الملامتية وغلطات الصوفية، تحقيق د. عبد الفتاح الفاوي، أماكن متفرقة

٢- المرجع السابق صـ١٠٥ .

وعلى هذا فإن الطاعة عند الملامتية مرض النفوس إذا اعتبرت أنها وليدة اختيار ودواء، هذا بالتسليم المطلق لله، وأن لا يرى العبد لنفسه أثراً في عمل لأن أعمال الإنسان كلها قاصرة للوصول إلى درجة الكمال، فلماذا إذن الافتخار والمباهاة بها.

ويؤكد الملامتية على التقليل من النظر إلى الطاعة والتحقير من قيمتها عندما يقيس العبد طاعاته وعباداته إلى ما لله على العبد من عطايا ومنن، فمهما بلغ العبد من طاعة وعبادة فلن يستطيع أن يؤدي ما عليه من دين إلى فضل الله ونعمه ، وقد اعتبر الملامتية الجهر بالعلم وادعاءه نوعاً من الرياء، لهذا حرصوا على كتمانه، وحجتهم في إنكار العلم أن علم العبد من علم الله ، وأنه لا يساوي شيئاً بالنسبة إلى علم الله ، لذلك فإن إظهار العبد لعلمه رياء، كما أن العبد مجبور على علمه كما هو مجبور على عمله، وأيضاً على حجتهم في إنكار العلم أنه أمانة أودعها الله قلب عبده فالظهور به وإذاعته إذاعة لسر أؤتمن عليه.

ومن خلال ما سبق يتبين أن الملامتية حاولوا جاهدين توضيح كل مظاهر الرياء والبعد عنها، وذلك حتى يكون الإخلاص لله في العبادة على وجه الحقيقة، ألا يقصد من ورائه أي غاية أخرى، فهو غاية المنتهى وثمرة العمل، لأن الإخلاص مقابل الرياء ، وهم عندما يطالبون بالبعد عن الرياء فإنهم أيضاً يطالبون في الوقت نفسه بالاقتراب من الإخلاص والعمل به.

جـ موقفهم من الآخرين :

إن اطلاع الملامتي غيره على فعله وحاله عن قصد يدخله في باب الرياء، ويعتبر الملامتي هذا من رعونة الطبع ولعب الشيطان، وهذا هو السر في أنهم حاربوا كل المظاهر المنبثقة عن الأحوال والأفعال ، فأنكروا لبس المرقعة واستقبحوا السماع والتواجد فيه، وأخفوا الكرامات، وكرهوا القعود للناس للتذكير والوعظ وما أشبه ذلك من أسباب الإعلان عن الحال.

وهذا يتضح من خلال قول ابن عربي " أنهم لم يزيدوا على الصلوات الخمس إلا الرواتب ولا يتميزون عن المؤمنين المؤدين فرائض الله أو العامة " [١]

ومن أصول الملامتية وتعاليمهم عند السُّلمي في تعاملهم مع الآخرين " قضاء الحقوق ، وترك اقتضاء الحقوق ، ومقابلة من يجفوهم بالحلم والاحتمال والخضوع والاعتذار ، والإحسان دون مقابلتهم بغير ذلك وأصلهم في ذلك قول الله عز وجل لنبيه ρ : [ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] **[سورة: المؤمنون - الأية: ٩٦]** ، كما أنهم لم يريدوا أن يكونوا متميزين عن الناس بلباس ، فتركوا تغيير اللباس ، والكون مع الخلق على ظاهر ما هم عليه ، والاجتهاد في إصلاح السر وأصلهم في ذلك ما روي عن النبي ρ أنه قال " أن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم ونياتكم " [٢] ، لهذا فقد تركوا الاشتغال بعيوب الناس مشتغلين بعيوب أنفسهم ، محاذرة شرها والإقامة على إصلاحها ، وأصلهم في ذلك قوله تعالى: [إِنّ النّفْسَ لأمّارَةٌ بِالسّوَءِ] **[سورة: يوسف - الأية: ٥٣]** ، ومن تعاليمهم وأصولهم مع الآخرين ، " أنهم كرهوا أن يخدموا أو يعظموا أو يقصدوا ، يقولون : ما للعبد وهذه المطالبات ؟ إنما هي للأحرار ... قال حمدون القصار (ت : ٢٧١ هـ) وقد سئل من العبد ؟ فقال : الذي يَعبدُ ولا يحب أن يُعبَد .... لهذا تركوا الرجوع إلى أحد من المخلوقين أو الاستعانة بهم ، فإنك لا تستعين إلا بمحتاج أو مضطر ، ولعله أشد حاجة واضطرار منك وأنت لا تشعر ، لذلك قال حمدون القصار : " استعانة المخلوق بالمخلوق كاستعانة المسجون بالمسجون " وقد أجمع أبو عثمان الحيري (ت : ٢٩٨هـ) وهو كبير الملامتية ، الصحبة مع الآخرين عند الملامتية قائلاً : " حسن الصحبة ظاهرة أن توسع على أخيك من مال نفسك ولا

١- راجع ابن عربي ، الفتوحات المكية ، المجلد الثالث صـــــــــ٣٥ .
٢- ابن ماجه ، السنن ، ٤١٤٣ ، برواية أخرى ((إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم. ولكن إنما ينظر إلى أعمالكم وقلوبكم)).

تطمع في ماله ، وتنصفه ولا تطلب منه الإنصاف ، وتكون تبعاً له ولا يكون تبعاً لك ، وتتحمل منه الجفوة ولا تجفوه ، وتستكثر قليل بره وتستقل ما منك إليه " (١)

وبهذه الآداب والتعاليم يتضح موقف الملامتية من الآخرين وخلاصة موقفهم هو الإيثار والبعد عن الأنانية ، فقد نادوا بالأخلاق الطيبة والطباع الخيرة ، فهم لا يتزينون للخلق أبداً ولا يطلبون رضاهم ، ولهذا فهم يظهرون للخلق قبائح ما هم فيه ، ليبتعد الخلق عنهم ، يقول حمدون عن طريق الملامة " هو ترك التزين للخلق بكل حال وترك طلب رضاهم في نوع من الأخلاق والأفعال وإلا يأخذ في الله لومة لائم ". (٢) وهذه الأخلاق جميعها نادى بها القرآن والسنة وليس في هذه الأخلاق ما هو غريب وبعيد عن أخلاق الإسلام .

(د) الذكر :

يصنف السُّلمي الذكر عند الملامتية على حسب تصنيفه للقوى الإنسانية عندهم، فيقسم القوى الإنسانية إلى الروح والسر والقلب والنفس ، ولم يحدد السُّلمي معاني هذه الألفاظ ولم يشر إلى وظيفة مدلول كل منها على حسب صلتها بمعرفة الله ومشاهدته ، كما أن السُّلمي جعل كل قوى من هذه القوى منفصلة عن الأخرى في الوظيفة أو العمل ، ويرى أن اطلاع أية قوى على وظيفة القوى الأخرى نوع من الرياء لهذا يقول " أن ما ظهر من أحوال الروح للسر صار رياءً في السر ، وما ظهر من أحوال السر إلى القلب صار شركاً في السر ، وما ظهر من القلب إلى النفس صار هباء منثوراً ، وما أظهره الإنسان من أفعاله وأحواله فهو رعونة الطبع ولعب الشيطان به ، والذي يحقرها يكون في زيادة ، ولا يزال يترقى في الأحوال حتى يعلو حال السر إلى حال الروح والقلب لا يشعر بذلك ، ويترقى حال القلب إلى حال السر والنفس لا تشعر بذلك ، ويترقى حال النفس إلى حال القلب والطبع لا يشعر بذلك ، فحينئذ يكون مكاشفاً ينظر بعينه إلى ما يشاء فيشاهده على ما هو عليه ، وينظر بقلبه فيخبر عن مواضع الغيب

١- السُّلمي ، رسالة الملامتية ، أماكن متفرقة ، ضمن كتاب الملامتية وأهل الفتوة ، د. أبو العلا عفيفي ، راجع أيضاً، السُّلمي ، أصول الملامتية وغلطات الصوفية، تحقيق د. عبد الفتاح الفاوي ، أماكن متفرقة
٢- المرجع السابق ، صـــــــــ٩٠ .

والروح والسر حصلا في المشاهدة ، فليس لهما إلى القلب والنفس رجوع بحال ومع هذا فظاهره ملازم للعلم ، مظهر للتهمة ، مخاطب لنفسه بأنه في حال الاغترار والاستدراج لئلا يألفه فيسقط عن درجات الصديقين " [(١)]

لقد فهم الملامتية أن هذه القوى منعزلة تماماً تقوم كل واحدة منها بوظيفة مستقلة تماماً عن الأخرى ، فإذا جاوزت أحدها حدودها واطلعت على ما تقوم به غيرها ، شاب ذلك من إخلاصها وأوقع صاحبها في الرياء ، فالنفس أدنى هذه القوى وأخسها ولكنها تستطيع أن ترتفع وترتقي عن مكانتها عندما يحقرها الإنسان ويقلل من شأنها ويعمل على ترويضها فإنها ترتقي إلى حال القلب ، وعندما يزداد الإنسان في طهارته وعبادته يعلو إلى حال السر ومن حال السر إلى آخر الأحوال وهو حال الروح الذي فيه حال المشاهدة ، ويحدث عنده العلم اللادني الذي يكون الإنسان فيه عبداً ربانياً يقول للشيء كن فيكون بأذن الله .

وبهذه القوى الإنسانية قام السُّلمي على أساسها بتقسيم الذكر عند الملامتية حيث يقول " الأذكار أربعة : ذكر باللسان وذكر بالقلب وذكر بالسر وذكر بالروح ، فإذا صح الروح سكت السر والقلب عن الذكر ، وذلك ذكر المشاهدة ، وإذا صح ذكر السر سكت القلب والروح عن الذكر وذلك ذكر الهيبة ، وإذا صح ذكر القلب فتر اللسان عن الذكر وذلك ذكر الآلاء والنعماء ، وإذا غفل القلب عن الذكر أقبل اللسان على الذكر ، وذلك ذكر العادة - وهو أدنى مراتب الذكر وهو ذكر العامة - ولكل واحد من هذه الأذكار عندهم آفة ، فآفة ذكر الروح اطلاع السر عليه ، وآفة ذكر النفس رؤية ذلك وتعظيمه أو طلب ثواب أنك تصل به إلى شيء من المقامات ، وأقل الناس قيمة من يريد إظهاره إلى الخلق ، ويريد الإقبال عليه بذلك ، أو بشيء منه وهو أخس الطباع وأدناها " [(٢)]

١- نفس المرجع صـ١٠٠ ، راجع أيضاً، السُّلمي ، أصول الملامتية وغلطات الصوفية، تحقيق د. عبد الفتاح الفاوي ، صـ١٥١

٢- المرجع السابق ، صـ١٠٤ ، كذلك تحقيق د. عبد الفتاح الفاوي صـ١٥٥ .

ويمكن أن أقسم الذكر عند أرباب الأحوال من خلال تقسيم الملامتية لقوى النفس والذكر الخاص بكل قوى ، وهذا التقسيم هو ، ذكر العامة التي ذكرها هو ذكر اللسان أو ذكر الجوارح ، وذكر المريدين وهو ذكر القلب أو الخاصة وهو ذكر النعماء والآلاء ، وهو ذكر به بعض شوائب الشهوة ، أما ذكر الصوفية وهم خاصة الخاصة ، فهو ذكر السر، وهو ذكر الهيبة ، وأخيراً ذكر الملامتية وهو ذكر الروح أعلى مراتب الذكر عند السُّلمي ، وهو ذكر المشاهدة أو الوصول إلى الغاية التي ليست بعدها غاية .

(هـ) موقفهم من الحرية :

كان موقف الملامتية واضحاً من قضية الحرية والجبر ، فالإنسان عندهم مجبر، يقول حمدون القصار وهو أحد رجالهم : " استعانة المخلوق بالمخلوق كاستعانة المسجون بالمسجون " لهذا يقول السُّلمي أن من أصول الملامتية " النظر إلى العمل والعجب به من قلة العقل ورعونة الطبع ، كيف تفتخر بما ليس لك فيه شيء ، وهو ما يجري من الغير إليك ، ينسب ذلك إليك نسبة عارية ، وفي الحقيقة ليس لك فيه نسبة ، لأنك مدبر فيه ومجبر عليه ، وهل الافتخار بهذا الأمر إلا من قلة العقل ورعونة الطبع" . (١)

ولذلك يرى السُّلمي أن الملامتية لا يرون أعمالهم ولا عباداتهم ، ولا طاعاتهم، لأنها ليست من قبلهم ، فهم في يد القدر لا اختيار لهم في أدائها ، يقول السُّلمي : " ثم كيف ترى النفس أعمالها وهي لا شيء ، وما كان لها من شيء فهو للغير مستودع فيها وعارية مؤداة ، وكما حرم الملامتية على أنفسهم رؤية أعمالهم حرموا أن يجدوا حلاوة العبادة والطاعة لأن الإنسان إذا استحلى شيء استلذه ونظر إليه بعين الرضا ، سقط عن درجة الأكابر ". (٢)

---

١ ـ المرجع السابق ، صـ١١١ ، كذلك تحقيق د. الفاوي صـ ١٦٦ .
٢ ـ السُّلمي ، أصول الملامتية ، تحقيق د. عبد الفتاح الفاوي صـ١٠٦ .

ويقول د. عبد القادر محمود ، عن الجبر عند الملامتية هو نظرة جبرية متطرفة تزعم أن الطاعة مرض إذا فهمت على أنها وليدة اختيار ، وأن نسبة الطاعات إلى العبد نوع من الشرك الخفي ، لأنها عندهم بمثابة الاعتراف بوجود إرادة ما للإنسان ، وليس للإنسان أيها إرادة إطلاقاً في رأيهم فهم عند أنفسهم وفي رأيهم بالنسبة لغيرهم لا حركة ولا سكون ولا اختيار إلا بفعل الله – وفي الحقيقة المحرك والمسكن والمختار هو الله – وفي هذه الجبرية قضاء على كل مسئولية أخلاقية ودينية واجتماعية ولا شك ، وفيها سلب قاتل لوجود النفس وأرادتها وعلمها ووصمها بكل قبيح وإنكار كل فكرة تخطر لها حتى فكرة حب الله أو السعي نحوه ووصف كل شيء يجيء على النفس ، بالإثم والرياء ، وفي هذا وذلك انحراف عن المنهج الإسلامي.[1] ، ويبدو أن د. عبد القادر محمود كان مغالياً في حملته على الجبر عند الملامتية ، حيث أنهم أرجعوا كل إرادة لله ، ولم يخلوا أنفسهم من المسئولية عن أفعالهم ، والدليل على ذلك أنهم يلومون أنفسهم على كل ما يصدر منهم ، ولم يقضوا على فكرة المسئولية تجاه عملهم كما يرى د. عبد القادر محمود ، فمن وجهة نظري أن الجبر عندهم جبر محمود .

ومن خلال هذا التحليل لبعض أصول الملامتية والتي تدور حول موقفهم من النفس والرياء والذكر والحرية والآخرين ، يتبين لنا أن النفس عند الملامتية هي محور الارتكاز ، لأنها تلوم نفسها على تقصيرها في العبادة ويلومها الآخرين على ما يصدر منها من قبائح ، والرياء من أخص صفات النفس ، لهذا ركز الملامتية عليه وبينوا مظاهره ، وأقروا بالجبر ونسبوا الأعمال والأفعال كلها لله ، لأن العبد غير قادر على مثل هذه الأشياء ، وإن إثبات أي فعل للعبد ونسبته له ، في هذا إثبات لوجود إرادة إنسانية بجانب الإرادة الإلهية ، وهذا من وجهة نظرهم شرك، لأنه من وجهة نظرهم لا إرادة في الكون إلا الإرادة الإلهية ، وكان موقفهم من الآخرين أكثر تسامحاً من موقفهم من أنفسهم ، حيث أنهم طلبوا لغيرهم معاذير في عيوبهم وأخطائهم ، وينصفون

١ ـ د. عبد القادر محمود ، الفلسفة الصوفية في الإسلام ، صـ ٤١٩ .

الآخرين ولا ينتصفون لأنفسهم ، وهذا كله يجعلنا نؤكد أن أصول الملامتية لا تخرج في مجموعها عن المنهج الإسلامي ، إلا أنني أرى أنهم بالغوا في إلغائهم لإرادة الإنسان ، وأرى أن الإنسان لديه إرادة وإرادته ليست شركاً، وإرادة الإنسان التي أقصدها هي اختياره لأعماله وأفعاله، وإن قالوا أن الأعمال مقدرة أزلاً ، والإنسان مجبر على فعلها، نقول نعم أن الأعمال مقدرة أزلاً لكن قدر الله هذه الأعمال وهو أعلم بخلقه بأن هذا العبد أو هذا الإنسان سوف يختار هذا الاتجاه لأن شهوته غلبت على عبادته أو العكس، فالله قدر الأعمال أزلاً، لمعرفته بخلقه أكثر من نفوسهم، وأرى أن الملامتية قالوا أيضاً بحرية الفعل وهم لا يشعرون، وهناك دليل على ذلك وهو عندما أكدوا إخفاء الأعمال الطيبة والحسنة والعبادات الصالحة عن أعين الآخرين ، وأظهروا للخلق قبائح أعمالهم وإن كانوا مصطنعين هذه الأفعال والأعمال، فإن هذا دليل على اختيار الملامتية لهذا الفعل ، وهناك دليل آخر على قولهم بحرية الإرادة الإنسانية ، وهو لومهم لأنفسهم على تقصيرهم، فإن كان كما يرون أن الأعمال كلها مردودة إلى الله، وأن الإنسان ليست له إرادة، فلماذا إذن يلومون أنفسهم على تقصيرهم أو على نقص عملهم، وإن كان الإنسان مجبراً كما يرون، فلماذا إذا يلومون أنفسهم على تقصيرهم .

والملاحظ أن الملامتية لم يقرروا مسألة الجبر بالمعنى الذي أقره الجبرية ، وإنما نسبوا الأفعال الخيرة فقط إلى الله وإن هذا من تسديد الله للعبد ، وقد اعتبروا أفعال الخير نوعاً من المنح والهبات من الله ، أما أفعال الشر فإنهم يلومون أنفسهم عليها .

وأرى أن الإنسان حر وحريته هذه حرية مسئولة، أي أن الإنسان محاسب على اختياره، ويثاب عليه أو يعاقب.

وأخيراً فإن الملامتية لم تخرج أصولهم وآدابهم عن تعاليم الكتاب والسنة، والملامتية التي أقصدها هنا هم الملامتية الأوائل التي ذكرها السُّلمي في كتابه أصول الملامتية، أما الملامتية المتأخرون الذين يتباهون بالمعصية ويخالفون الشريعة،

ويظنون أنهم يحسنون صنعاً ،فهؤلاء الملامتية المتأخرون أو القلندرية خارجة عن الدائرة الإسلامية.

٢ ـ آداب أهل الفتوة :

الفتوة كما سبق القول، هي مجموعة من الفضائل والخصال الطيبة التي يمتاز بها بعض الأفراد وهم من ينعتوا بأهل الفتوة ، وقد جعل أهل الفتوة شروطاً لمن يريد أن يكون منهم ، ومن هذه الشروط؛ الذكورة وهي تعني الشرف والكمال، والبلوغ ويعني كمال البنية واستنارة العقل وكمال تصرفه، والعقل وهو طريق في درك المعلومات والاهتداء إلى الخير وتمييزه عن الشر، فقد قال عليه الصلاة والسلام : " ما أعطي رجل أفضل من عقل يهديه إلى هدى ويرده عن ردى" ، والدين هو أصل الفتوة، فهو أصل والفتوة فرع، ولا فتوة لمن لا دين له، وينبغي أن نعلم أن الفتوة خصلة من خصال الدين وليست مخالفة للشريعة، واستقامة الحال وهو أن يكون على صفة مرضية بأن لا يكون مخنثاً ولا به شين لازم يلحق به وصمة في الدين. [١]

ويضع السُّلمي خمسة شروط يجب أن يحافظ عليها الفتى وهي" الأمانة والصيانة والصدق والأخوة الصالحة وإصلاح السريرة ، فمن ضيع واحدة منها فقد خرج عن شرط الفتوة". [٢]

وهذا عن الشروط الجسمية والأخلاقية، أما عن آداب أهل الفتوة فقد ذكرها السُّلمي قائلاً: "إن أصل الفتوة هو مراعاة الدين ومتابعة السنة واتباع ما أمر الله به نبيه عليه السلام في قوله عز وجل [خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ] **[سورة: الأعراف ـ الأية: ١٩٩]** وما قاله النبي ρ يوم دخل المدينة "أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام" [٣].

١ ابن المعمار البغدادي ، الفتوة ، تحقيق وتقديم د. فؤاد حسنين صـ ٣٣ : ٣٥ كتب ثقافية ، ١٩٥٩ م .
٢ السلمي، المقدمة في التصوف ، تحقيق د. يوسف زيدان صـ ٤٨: ٥٠ .
٣- يحي النووي ، رياض الصالحين من كتاب سيد المرسلين ، ٨٥٢ ، ابن ماجة ، السنن ، ٣٢٥١.

ويحدد السُّلمي موجبات أو آداب الفتوة ومن أخص هذه الآداب : الصدق والوفاء والسخاء والحياء وحسن الخلق وكرم النفس و ود الأخوان ومعاشرة الأصحاب ومجانبة سماع القبيح من الأصدقاء ، والرغبة في اصطناع المعروف وحسن المجاورة ولطف المحادثة وكرم العهد والإحسان إلى من ولاك الله أمره من الأهل والعبيد وتأديب الأولاد، ومجانبة الحقد والغش، والتوسعة على الأخوان من ماله وجاهه وترك الامتنان عليهم بذلك، والقيام بخدمة الأضياف، والسعي في حوائج الأخوان بنفسه وماله، ومكافأة الإساءة بالإحسان، وملازمة التواضع، ومجانبة الكبر، وبر الوالدين وصلة الأقارب، ... وحفظ اللسان عن الكذب والغيبة وحفظ السمع من سماع الخناء وغض البصر عن المحارم والإخلاص في الأعمال ، والاستقامة في الأحوال ومراعاة الظاهر ومراقبة الباطن ورؤية الخير في الخلائق وصحبة الأخيار ومجانبة الأشرار والإعراض عن الدنيا والإقبال على الله، وأن لا يخالف ظاهره باطنه وأن يكون لصديق صديقه صديقاً، ولعدو عدوه عدواً" (١).

وآداب وشروط أهل الفتوة لا تخرج عن كونها أخلاق حسنة فهي إرشادات لمن أراد أن يسلك طريق القوم، ومن رأى في نفسه هذه الصفات فهو فتى أو من أهل الفتوة، وأهل الفتوة ليسوا فرداً أو جماعة في وقت معين أو عصر معين كما أنهم ليسوا طائفة مستقلة بذاتها مثل الملامتية، بل أهل الفتوة هم الصوفية جميعاً، بل هم المسلمون جميعاً، أو كل متدين بدين الله في أرض الله أو كل من التزم بالآداب الحسنة والأخلاق الطيبة فهو من أهل الفتوة.

والشروط والآداب التي شرطها شيوخ أهل الفتوة منها ما أمر الله به، ومنها ما أشار إليه رسول الله ρ ، أو أعمال مستحبة يؤمن بها كل مسلم سواء شرطها شيوخ الفتوة أو لم يشرطوها، والملاحظ أن أهل الفتوة بينهم وبين الملامتية اختلاف ، وهو أن الملامتية ظاهرهم غير باطنهم أو يخفون حسناتهم ويظهرون قبائحهم، بينما أهل الفتوة ظاهرهم لا يخالف باطنهم، وهذا يتضح من خلال شروطهم وآدابهم، وهنا نصل إلى

١- السُّلمي ، مخطوطة كتاب الفتوة ، و٦ب ، و٧ أ ، ب .

قاعدة منطقية تقول أن كل أهل الفتوة صوفية لأن الصوفية ظاهرها مثل باطنها، بينما ليس كل الصوفية أو أهل الفتوة ملامتية، ولكي نتبين من هذا يجب أن نحدد الصلة بين أهل الفتوة والملامتية عند السُّلمي.

جـ ـ الصلة بين الملامتية وأهل الفتوة :

هناك صلة رحم بين الملامتية وأهل الفتوة في المنهج والرجال، وهذا يتضح من خلال المناقشة لبعض الآراء التي توضح الصلة بينهما، فيرى د. أبو العلا عفيفي، أن الفتوة الأولى، وهي التي يجمع رجالها بين التقوى والشعور بالشرف، متصلة بالتصوف أشد اتصال لأن تعاليمها لا تخرج عن آداب وسلوكيات التصوف، وهذه الفتوة هي أيضاً شديدة الاتصال بالمذهب الملامتي، وتتضح هذه الصلة خلال رسالة السُّلمي في الملامتية، عندما جعل أخص آداب الملامتية تعاليم أهل الفتوة حيث يقول" وقد سئل بعض الملامتية عن من يستحق اسم الفتوة، فقال : من كان فيه اعتذار آدم ، وصلاح نوح، ووفاء إبراهيم، وصدق إسماعيل، وإخلاص موسى، وصبر أيوب، وبكاء داود، وسخاء محمد ρ ، ورأفة أبي بكر، وحمية عمر، وحياء عثمان، وعلم علي، ثم مع هذا كله يزدري نفسه ، ويحتقر ما هو فيه، ولا يقع بقلبه خاطر مما هو فيه أنه شيء، ولا أنه حال مرضي، ويرى عيوب نفسه ونقصان أفعاله وفضل إخوانه عليه في جميع الأحوال" (١) لهذا ذهب د. أبو العلا عفيفي قائلاً: " بل لا أبالغ إذا قلت أن معظم تعاليم الملامتية مستمدة من تقاليد الفتيان وتعاليمهم ... والملامتية هم فتيان زهاد المسلمين الحقيقيين، وفيهم تظهر الفتوة بآثارها الظاهرة والباطنة أكثر من ظهورها في غيرهم من فرق التصوف الأخرى" ، فيرى د. عفيفي " أن الملامتية أصولهم قائمة في جوهرها على فكرة إنكار الذات ، وهي الفكرة الأساسية التي تقوم عليها تعاليم الفتوة

---

١ ـ السُّلمي ، أصول الملامتية ، صـ ٩٢ ، ٩٣ ، ضمن كتاب الملامتية والصوفية وأهل الفتوة، د. أبو العلا عفيفي.

وهي الإيثار" ولهذا يقول د. عفيفي "أن الفتوة والملامة وجهان لحقيقة واحدة، وأن الملامتية هم على وجه التحقيق فتيان الصوفية"[١].

ويوضح ابن عربي الصلة بين أهل الفتوة والملامتية مؤكداً أن الفتيان تلامذة الملامتية ، وأن هؤلاء شيوخهم، فأوضح ابن عربي التلاحم بين الفكرتين وقد نصت عبارته على أن "الملامتية هم الذين لم يظهروا على ظواهرهم مما في بواطنهم وهم أرفع الرجال وتلامذتهم أكبر الرجال ، يتقلبون في أطوار الرجولية وليس ثم من حاز مقام الفتوة والتخلق مع الله دون غيره سوى هؤلاء" [٢] والفتوة هي الرجولية عند ابن عربي .

ويعترض د. عبد القادر محمود، و د. أبو العلا عفيفي على نسبة اسم الفتوة على الإطلاق إلى أهل الملام قائلاً " وإلا وصفنا المنتحر بالفتوة، والواقع أن أهل الملام دعوا إلى الانتحار حين دعوا إلى قتل النفس وازدرائها، وحين دعوا إلى التشاؤم المطلق والإيمان بأن العالم شر لا خير فيه على الإطلاق، فإذا أكدنا مع المنهج الإسلامي أن الفتوة الصحيحة هي استقامة الباطن والظاهر كما يقول الغزالي، كان لنا بأن نحكم أن اتجاه نظرة الملامة في روحه ومنهجه غير إسلامي ولهذا أدخلناها ضمن الدوائر المنفصلة عن المنهج الإسلامي"[٣].

وتتضح الصلة بين أهل الفتوة والملامتية عند النظر إلى رجال كل من الطائفتين، فقد فهم الملامتية الأوائل الملامة على أنها نوع من الفتوة أو الرجولية، وأطلقوا على أنفسهم اسم الفتيان أو الرجال ، وقد جمع كثير من رجال الفتوة بين الفتوة والملامة، ومن هؤلاء على سبيل المثال: الفضيل بن عياض، فقد اقترنت فتوته بالملامة، يقول د. كامل مصطفى الشيبي "روى أبو نعيم أن بعض الزهاد قال " وقفنا للفضيل بن عياض على باب المسجد ونحن شبان علينا الصوف (بالكوفة) فخرج علينا، فلما رآنا، قال: وددت أني لم أركم ولم تروني، أترونني سلمت منكم أن أكون

---

١ - راجع د. أبو العلا عفيفي ، الملامتية والصوفية وأهل الفتوة ، صـ ٢٧ : ٣٠ ، صـ ٦٨ .
٢- راجع ابن عربي ، الفتوحات المكية ـ المجلد الثالث صـ ٣٥ .
٣- د. عبد القادر محمود ، الفلسفة الصوفية في الإسلام ، صـ ٤١٤ ، ٤٢٠ .

ترساً لكم حيث رأيتكم وتراءيتم لي؟ لأن أحلف عشر أني مراء ومخادع أحب على من أن أحلف واحدة أني لست كذلك "وبذلك يبدو الفضيل الكوفي وهو الخرساني، ملامتياً قديماً من تفضيله أن يعرف بالرياء والخداع على أن يعرف بالولاية والزهد[١] ولا شك أن روح الملامة تتضح في حياة الفضيل اتضاح روح الفتوة ، بل كان الفضيل بلا منازع أول زهاد المسلمين كما كان أول ملامتي بمعنى الكلمة.[٢]

ومثال آخر يدل على أن رجال الملامتية تحدثوا في الفتوة، هو أبو حفص النيسابوري فقد اجتمع مشايخ بغداد عند أبي حفص وسألوه عن الفتوة فقال: "تكلموا أنتم فإن لكم العبارة واللسان، فقال الجنيد: الفتوة إسقاط الرؤية وترك النسبة، فقال أبو حفص: ما أحسن ما قلت ، ولكن الفتوة إسقاط رؤية وترك مطالبة الإنصاف ، فقال الجنيد: قوموا يا أصحابنا، فقد زاد أبو حفص على آدم وذريته. وسأله بعض المشايخ والفتيان: دلنا على الفتوة ما هي؟ فقال: الفتوة تؤخذ استعمالاً ومعاملة لا نطقاً فتعجبوا من كلامه"[٣].

ومن خلال ما سبق يتضح لنا وجود صلة بين الملامتية وأهل الفتوة والصوفية فهم طوائف مختلفة يجتمعون تحت اسم واحد وهم العباد والزهاد، وإن كان لكل منهم أسلوبه في العبادة والزهد، إلا أنهم على صلة وثيقة ما داموا يدورون حول فلك الشريعة الإسلامية من قرآن وسنة، ولكن عندما يشذ وينحرف أحدهم عن الطريق الصحيح فإنه بذلك يكون منفصلاً عن الشريعة.

لقد اتخذ الملامتية طريق العبادة مستترين عن عيوب الخلق ، وإن كانوا يعبدون الله أمام الخلق من غير زيادة، فهم يصلون خمسهم ، ويمشون في الأسواق، ويتعاملون مع الناس ولا يعرفهم أحد، أما أهل الفتوة فإن ظاهرهم مثل باطنهم، يتعبدون ولا يخشون أن يعلم أحد بعبادتهم أو لا يعلم، وتميزوا بجلدهم في العبادة

---

١ - د. كامل مصطفى الشيبي ، الصلة بين التصوف والتشيع ، جـ ١ صـ ٥٤٥ .
٢ - د. سامي النشار - نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام جـ ٢ - صـ ٤٠٤ .
٣ - السُّلمي ، طبقات الصوفية ، تحقيق نور الدين شريبه ، صـ ١١٧ ، ١١٨ .

وصبرهم على البلاء، ومداومتهم على آداء الفرائض والسنن، والصوفية اهتموا بالظاهر والباطن أيضاً.

لذلك فإن الصلة بين الملامتية وأهل الفتوة عند السُّلمي واضحة، فقد ألف السُّلمي كتابه "أصول الملامتية" وألف أيضاً كتاب "الفتوة" وعند النظر في الكتابين نجد أن الملامتية وأهل الفتوة مشتركتان عنده في عدة مظاهر منها أن رجال الملامتية هم رجال الفتوة، ويدوران حول فلك الشريعة الإسلامية السمحاء، ويتميزون بالأخلاق الطيبة الحسنة ويحملان نفس الأخلاقيات والصفات تقريباً، وهذا يظهر بوضوح من خلال تحليل أصول الملامتية وآداب وتعاليم أهل الفتوة عند السلمي، وتحدث رجال الملامتية في الفتوة عند السُّلمي وتحدث رجال الفتوة في الملامتية كما سبق وقد أشرنا إلى ذلك، وقد اشترك أيضاً الملامتية وأهل الفتوة عند السُّلمي في الموضوعات التي اهتموا بدراستها مثل اهتمامهم بالنفس وتوضيح جوانبها .

وإن كان هناك اختلاف بين الطائفتين ، يظهر في أن الملامتية يخفون باطنهم وأعمالهم عن الخلق، ويظهرون لهم ما يشينهم ويقبحهم حتى ينصرف عنهم الخلق، بينما أهل الفتوة فإن ظاهرهم مثل باطنهم.

ثانياً : الملامتية وأهل الفتوة بين السُّلمي والصوفية والسلف :

دار الجدل حول الملامتية وأهل الفتوة بين الصوفية والسلف ما بين مواقف لتعاليمهم ، مؤيد لمذهبهم، متحمس لآرائهم، وما بين ناقد لتعاليمهم، هدام لمذاهبهم، غاضب لآرائهم، ولنرى الآن بعض هذه الآراء حول الملامتية وأهل الفتوة:

يرى السُّلمي أن الملامتية هم أعلى درجات العباد والصوفية، وأنهم طائفة مختلفة عن سائر طوائف الصوفية، حيث أن الملامتية ظاهرهم غير باطنهم لأن ظاهرهم جعلوه للتعامل مع الخلق بينما باطنهم خصوا به الحق ، فلا يستطيع أحد أن يطلع على باطنهم غير الحق سبحانه وتعالى، ويروا أن اطلاع أحد على طاعتهم وعبادتهم رياء، ورغم ذلك فهم غير متميزين عن أحد من الخلق، بينما الصوفية أو باقي الطوائف الصوفية الأخرى فإن ظاهرها ينم عما في باطنها، وهم يتميزون بلباس

معين وبكلام معين وحياة معينة، يعرفها الحق والخلق معاً، وفي هذا يقول السُّلمي "الملامتية هم الذين زين الله بواطنهم بأنواع الكرامات من القربة والزلفة والاتصال ، وتحققوا في سر السر في معاني الجمع ، بحيث لم يكن للافتراق عليه سبيل بحال من الأحوال، فلما تحققوا في الرتب السنية من الجمع والقربة والأنس والوصلة غار الحق عليهم أن يجعلهم مكشوفين للخلق ، فأظهر للخلق منهم ظواهرهم التي هي في معنى الافتراق من علوم الظواهر والاشتغال بأحكام الشرع وأنواع الآداب ، وملازمة المعاملات فيسلم لهم حالهم من الحق في جمع الجمع والقربة، وهذا من أسنى الأحوال ألا يؤثر الباطن على الظاهر ، وهذا شبيه بحال النبي ρ، لما رفع إلى المحل الأعلى من القرب والدنو، وكان قاب قوسين أو أدنى، ثم لما رجع إلى الخلق تكلم معهم في الأحوال الظاهرة ، ولم يؤثر من حال الدنو والقرب على ظاهره شيء". [1]

وكما سبق الذكر فأن حال الملامتية عند السُّلمي يشبه حال النبي ρ ، عندما صعد إلى السماء ، ورفع إلى سدره المنتهي ، ثم عاد إلى الأرض وتحدث مع الخلق ، من غير أن يؤثر ذلك عليه في شيء ، بينما حال الصوفية مثل حال موسى عندما تجلى ربه للجبل فجعله دكاً وخر موسى صعقاً ، وأن كان في كلام السُّلمي شيء من المبالغة عندما رأي أن الله غار عليهم أن يطلع غيره عليهم أو على حالهم ، نعم أن الله يغار على عباده ولكنه يغار عليهم عندما يجدهم يعملون ما نهاهم عنه ويبتعدوا عما أمرهم بعمله ، وعندما يعمل العبد صالحاً فإن الله تعالى يباهي الملائكة بعباده عندما يقبلون على عبادته سبحانه وتعالى . ورأي السُّلمي في الملامتية أكثر اعتدالاً من رأي ابن عربي عنهم حيث يقول ابن عربي : " الملامتية لا يزيدون على الصلوات الخمس إلا الرواتب ، ولا يتميزون عن المؤمنين المؤدين فرائض الله بحال زائدة ، فهم المجهولون حالهم حال العوام ، واختصوا بهذا لأمرين ، الأول : يطلق على تلامذتهم لكونهم لا يزالون يلومون أنفسهم في جنب الله ولا يخلصون لها عملاً تفرح به تربية لهم ، الثاني : هذه الطائفة لو ظهرت مكانتهم من الله للناس لاتخذوهم آلهة فلما احتجبوا

١ـ السُّلمي ، أصول الملامتية ، صـ ٨٧ ، ضمن كتاب (الملامتية وأهل الفتوة) د. أبو العلا عفيفي .

عن العامة بالعبادة أنطلق عليهم في العامة ما ينطلق على العامة من الملام فيما يظهر عنها ما يوجب ذلك " [١]

ومن خلال هذه العبارة يتبين أن ابن عربي يرفع الملامتية إلى درجة غاية في العلو إلى درجة الآلوهية ، وهذا أن دل على شيء فإنما يدل على أن ابن عربي جعل الملامتية أول درجات العباد ورفعة مكانتهم عنده .

ويذهب السهرودي أن الملامتية نوعين : الملامتية الأوائل ، وهم من تميزوا بحال شريف ، وتحققوا بالإخلاص والصدق ، والملامتية المتأخرين وهم القلندرية ، فلم يتقيدوا بهيئة ، ولم يبالوا بما يعرف من حالهم ومالا يعرف ، وعملوا على تخريب العادات " [٢] وأبو حفص السهروردي لم ينتقد الملامتية إنما انتقد المنحرفين والمتشبهين بهم وهم القلندرية ، والحق أن طريق الملامة كطريق التصوف فيه المحق وفيه المبطل ، وفيه الأصيل وفيه الدعي ، فمن كان طريقه الاستقامة ، والبعد عن النفاق والرياء ، فلا خوف عليهم من لوم الخلق لهم ، بينما من كان يقصد مخالفة الشرع دائماً باختياره ويدعي أنه من الملامتية ، فإن هذا من الأدعياء ، وحق فيه ملامة الخلق ، وعذاب الخالق .

ويرى د. أبو العلا عفيفي أن الملامتية المتأخرين نزلوا بالمذهب الملامتي إلى أحط درجات الفساد والتدهور ، وهذا المذهب المتأخر لسوء الحظ هو الذي يفهمه الناس عادة من أسم الملامتية وهو مقرون بمعنى العبث بأمور الدين ، والتراخي في العبادات ، والمباهاة بالفجور والمعاصي ، وكما يقرن اسم الكلبيين من اليونان بما كان عليه المتأخرون من انحطاط في الأخلاق وانغماس في جميع ألوان الرذيلة ، وينسى ما كان عليه سلفهم من نبل المبادئ وبعد النظر الفلسفي " [٣]

١- ابن عربي ، الفتوحات المكية ، المجلد الثالث ، صـــــ٣٢ .
٢- أبو حفص السهروردي ، عوارف المعارف - صـــــ٧٦ .
٣- د . أبو العلا عفيفي ، الملامتية والصوفية وأهل الفتوة ، صـــــ٦ .

والملامتية عند د. عفيفي " قوماً ثائرون على الكثير مما كان مقرراً ومعترفاً به عند الصوفية وغيرهم من رجال الدين ، فمن الطبيعي أن يصفوا ذلك النظام السلبي ليقاوموا به نظاما لم يرضوا عنه ، ومن أجل ذلك أطلقوا هذا الاسم على أنفسهم في مقابل اسم الصوفية " وجاء في رأي د. عفيفي عن الملامتية أيضاً " أن الأساس النظري الذي يقوم عليه المذهب الملامتي هو التشاؤم الذي نظر به شيوخ هذه الفرقة إلى النفس الإنسانية ، وبنوا عليه مذهباً كاملاً في إذلالها وتحقيرها ولومها واتهامها وحرمانها من كل ما ينسب إليها من علم أو عمل أو حال أو عبادة ، وهي وجهة نظر قد يكون للبيئة الزرادشتيه في فارس أثر فيها ، وهي المبدء الذي أوحى إلى رجال الملامتية بكل ما ذكروه من أقوال وما وضعوه من قواعد " ويربط د. عفيفي بين الملامتية وأهل الفتوة قائلاً : " وهناك أساس نظري آخر غير مستقل تماماً عن الأساس السابق وهو فكرة الفتوة التي أعتقد أنها ـ فيما يتعلق بالملامتية ـ كانت فارسية أيضاً ، فيجب التضحية بالنفس في سبيل الله أولاً ، وسبيل الغير ثانياً ، حتى يحقق الإيثار المحض الذي هو أخص صفات الفتوة . [١]

وتأكيد لرأي د. أبو العلا عفيفي ما قله الإمام ابن تيمية عنهم " أن أصل هذا الصنف ـ المتشبهين بالملامتية (القلندرية) ـ أنهم كانوا قوماً من نساك الفرس يدورون على ما في راحة قلوبهم بعد أداء الفرائض واجتناب المحرمات ، ثم أنهم بعد ذلك تركوا الواجبات وفعلوا المحرمات بمنزلة الملامتية ، الذين كانوا يخفون حسناتهم ويظهرون مالا يظن بصاحب الصلاح من ذي الأغنياء " [٢]

ويؤكد د. عبد القادر محمود أن المنهج الملامتي منهجاً موضوعياً أساسه التشاؤم ، مخططه الكمد المتصل والحزن اليائس والعنيف في يأسه القاضي على كل شعاع من أمل في خيرية النفس وإرادتها واختيارها وتمييزها ، فإذا أكدنا على النهج الإسلامي الصحيح ، أن الفتوة الصحيحة هي استقامة الباطن والظاهر كما يقول

١ـ المرجع السابق ، صـــــ٤٨ .
٢ـ أبن تيمية ، الرسائل والمسائل ، جـ١، صــــ٥٢ .

الغزالي ، كان لنا أن نحكم بأن اتجاه نظرة الملامة في روحه ومنهجه غير إسلامي ولهذا أدخلناها ضمن الدوائر المنفصلة عن المنهج الإسلامي .[١]

ويربط الهجويري بين الملامتي والمرائي قائلاً : " أما عندي ، فطلب الملامة عين الرياء ، والرياء عين النفاق ، لأن المرائي يسلك الطريق الذي يقبله الخلق ولا مخرج لهم منهم ، حتى تكون طائفة قد خرجت بهذه المعاملة ، والأخرى خرجت بتلك ، ولا يخطر على قلب الفقير غير حديث الحق ، وحين يقطع قلبه عن الخلق يكون فارغا من هذين المعنيين ، ولا يقيده شيء "[٢]

ويتضح من هذا أن الهجويري يرى أن الملامتي والمرائي تتعلق أذهانهم بالخلق ولم تخلص عبادتهم للخالق ، وهذا هو عين النفاق ، وهذا دليلاً أيضاً على خروج الملامتية عن المنهج الإسلامي من وجهة نظر الهجويري ، وهي وجهة نظر تبدو أنها صحيحة ، حيث أن الملامتي يتكلف أفعال وأعمال حتى يصرف الناس عنه فهو يخشى الناس ، وهذا الجانب هو الذي أدخل له الرياء ، رغم أن الملامتي حريص على محاربة الرياء والبعد عنه وعن كل ما يقرب له ، ومسحه التشاؤم الواضحة عند الملامتية جعلت الكثير يوجه لها لوم من خلال هذه المسحة ، فهم يرون أن النفس مهما فعلت فهي خاطئة وناقصة وبها كل عيب بل لا تخلو من عيب ، وليست مسحة التشاؤم التي وجهت النقد لهم كان مقصدها التشاؤم والبعد عن الحياة ، إنما كان مقصدهم منها إحياء أنفسهم على إرادة الله ، وتحقيق أوامره واجتناب نواهيه .

أما موقف السلفية من الملامتية وأهل الفتوة ، فقد سئل شيخ الإسلام عبد السلام بن تيمية في جماعة يجتمعون في مجلس ويلبسون لشخص منهم لباس الفتوة ويديرون بينهم في مجالسهم شربة فيها ملح وماء ويشربوها ويزعمون أن هذا من الدين ، ويذكرون في مجالسهم ألفاظاً لا تليق بالعقل والدين ، فمنها أنهم يقولون أن رسول الله

١ـ د. عبد القادر محمود ، الفلسفة الصوفية في الإسلام ، صـــــــ٤٢٠ .
٢ـ الهجويري : كشف المحجوب ، صـــــــ٢٦٥ .

ρ ألبس عليا بن أبي طالب رضي الله عنه لباس الفتوة ثم أمره أن يلبسه من شاء ... وهل للفتوة أصل في الشريعة أم لا ؟

وقد رد على ذلك ابن تيمية قائلاً : لباس خرقة الفتوة مبتدع ، أما ما ذكر من إلباس لباس الفتوة والسراويل أو غيره وإسقاء الملح والماء فهذا باطل لا أصل له ، ولم يفعله أحد من الصحابة ، لا علي بن أبي طالب ولا غيره ، ولا من التابعين لهم بإحسان (١)

ويقف ابن تيمية موقف النقد من القلندرية أو المتشبه بالملامتية ، في حين أنه يرى أن الملامتية هم أهل صلاح وخير ، وفي ذلك يقول " وأما هؤلاء القلندرية المحلقين اللحى فمن أهل الضلالة والجهالة وأكثرهم كافرون بالله ورسوله ، لا يرون وجوب الصلاة والقيام ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق ، بل كثير منهم أكفر من اليهود والنصارى وهم ليسو من أهل الملة ولا من أهل السنة ، وقد يكون بعضهم من هو مسلم ولكن مبتدع ضال ، أو فاسق فاجر ... ، وقد قيل أن أصل هذا الصنف أنهم كانوا قوماً من نساك الفرس يدورون على ما فيه راحة قلوبهم بعد أداء الفرائض واجتناب المحرمات ثم أنهم بعد ذلك تركوا الواجبات وفعلوا المحرمات بمنزلة الملامتية الذين كانوا يخفون حسناتهم ويظهرون مالا يظن بصاحب الصلاح من ذي الأغنياء ولباس العمامة فهذا قريب وصاحبه مأجور على نيته ، ثم حدث قوما قد دخلوا في أمور مكروهة في الشريعة ، ثم زاد الأمر ففعل قوم المحرمات من الفواحش والمنكرات وترك الفرائض والواجبات وزعموا أن ذلك دخولاً منهم في الملامتية ، ولقد صدقوا في استحقاقهم اللوم والزم والعقاب من الله في الدنيا والآخرة " (٢)

ولم يرفض ابن تيمية الملامتية في ثوبهم الأول ، بل رفض المتأخرون أو المتشبهون بالملامتية وهم القلندرية ، فيرى أن الملامتية الأوائل أهل صلاح وخير ، بينما المتشبهين بهم والمتأخرين منهم ، أهل ضلال وجهل ، ويصف بعضهم بأنهم أكفر

١- ابن تيمية - الرسائل والمسائل ، جـ١ ، صـــــــ١٤٧ .
٢- المرجع السابق ، صـــ٥٢ .

من اليهود والنصارى ، ويقول ابن تيمية متهكما على المتأخرين من الملامتية أنهم " صدقوا في استحقاقهم اللوم والذم والعقاب من الله في الدنيا والآخرة " .

وقد نال أهل الفتوة والملامتية الزم وطالتهم يد النقد والاعتراض من قبل أحد السلفيين أيضاً وهو أبو الفرج بن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) حيث يقول " وفي الصوفية قوم يسمون بالملامتية اقتحموا الذنوب ، وقالوا : مقصودنا أن نسقط من عين الناس ، فنسلم من الجاه ، وهؤلاء قد أسقطوا جاههم عند الله لمخالفة الشرع ، وفي القوم طائفة يظهرون من أنفسهم أقبح ما هم فيه ويكتمون أحسن ما هم عليه وفعلهم هذا من أقبح الأشياء ، ولقد قال رسول الله ρ " من أتى شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله " ... فهؤلاء قد خالفوا الشريعة ، وأرادوا قطع ما جبلت عليه النفوس " [١] ، أما عن أهل الفتوة فيقول عنهم : " ومن هذا الفن تلبيسه (الشيطان) على العيارين ـ يقصد أهل الفتوة ـ فإنهم يسمون بالفتيان ، ويقولون الفتى لا يزني ولا يكذب ويحفظ الحرم ولا يهتك ستر امرأة ، ومع هذا لا يتحاشون من أخذ أموال الناس ، وينسون تقلي الأكباد على الأموال ويسمون طريقتهم الفتوة ، وربما حلف أحدهم بحق الفتوة فلم يأكل ولم يشرب ، ويجعلون إلباس السراويل للداخل في مذهبهم ـ أي شرط ـ كإلباس الصوفية للمريد المرقعة ، وربما يسمع أحد هؤلاء عن أبنته أو أخته كلمة زور لا تصح وربما كانت من ممرض فيقتلها ، ويدعون أن هذه فتوة " [٢]

ونقد ابن الجوزي واعتراضه على الملامتية وأهل الفتوة إنما هو نقد للمتشبهين بهم واللابسين زيهم ، اللذين اتخذوا مساوئ القوم وجعلوها مبادئ لهم ، وهم المتأخرون من الطائفتين من الملامتية وأهل الفتوة ، وأرى أن الملامتية وأهل الفتوة اتبعوا تعاليم الإسلام من قرآن وسنة وخاصة أوائل القوم أما المتأخرون منهم فقد اتبعوا الملذات وابتعدوا عن العبادة .

١ـ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ـ تلبيس أبليس ، تحقيق لجنة من كبار العلماء ، صـــ ٣٤٩ ، دار الكتاب العربي القاهرة ، ١٩٨٦ .
٢ـ المرجع السابق ، صـــ٣٧٦ ، ٣٧٧ .

وهنا يبقى سؤال هل السُّلمي ملامتي ؟ وهل هو من أهل الفتوة ؟ أم أنه تبني بض الآراء وآخذ في الكتابة عنهم وهو ليس أحد رجالنا ؟

في الواقع السُّلمي اهتم اهتماما بالنفس وبالأخص عيوبها ، وقام بمعالجة هذه العيوب ، واهتم الملامتية أيضاً بالنفس وحاربوا كل آفاتها وخاصة الرياء ، واهتموا بما لا ينبغي أن يكون عليه الإنسان أكثر من اهتمامهم بما يجب أن يتصف به الإنسان ويكون عليه ، فهل هذا يعني أن السُّلمي ملامتي . رغم اهتمام السُّلمي الشديد بالنفس وعيوبها وتحسين طباعها ، ورغم أن جده هو إسماعيل بن نجيد أحد شيوخ الملامتية وتلميذ لأكبر شيوخها وهو أبو عثمان الحيري ، فإن السُّلمي لم يكن ملامتياً ، ولم يعرف عنه في أي وقت أن ظاهره غير باطنه ، وإن أهتم بالنفس ، فقد كتب معالجاً لعيوبها ، حتى يكون ظاهرها مثل باطنها ، وإن أعلى السُّلمي من شأن الملامتية فإن هذا لإعجابه الشديد بتعاليمهم وأخلاقهم ، فهم مع الخلق ومنهم ، ولا يعلم ما بينهم وبين ربهم سوى خالقهم سبحانه وتعالى وقليل من يفعل ذلك .

وإن كان كل الصوفية هم من أهل الفتوة ، لأن الفتوة هي اتباع الأخلاق الطيبة والطباع الحسنة ، فإن السُّلمي من أهل الفتوة ، الذين لم يتعرفوا من تعاليم الكتاب والسنة ، ولم يدخلوا شروطا في الفتوة أو التصوف لم يرها الإسلام ولم تقرها الشريعة والفتوة لها أصل شرعي وهو تسمية رب العزة جل وعلى أنبيائه بهذا الاسم " فتى " فقد ذكره لإبراهيم وذكره ليوسف ، وذكره لأهل الكهف ، وبهذا فإن أهل الفتوة بأخلاقهم الطيبة وطباعهم الحسنة التي لا تخرج عن الإسلام من قرآن وسنة مقبولين شرعاً ، أما المتأخرون من أهل البدع فإن هؤلاء بعيدون عن الإسلام قريبون من الشيطان ، وهم أقرب للضلال من الإيمان ، وكذلك الملامتية فإن الأوائل منهم أهل صلاح أما المتأخرون أهل الضلال وأخيرا فإن السُّلمي سمن أهل الفتوة سارت تعاليمه وتوصياته دائماً على نهجاً من الكتاب والسنة .

الخاتمة ونتائج البحث

من خلال هذه الصفحات التي تناولت فيها التصوف عند أبي عبد الرحمن السُّلمي توصلت إلى :

١ـ أن كلمة التصوف غريبة عن العربية ، كما أنها لم ترد في اشتقاقها إلى شيء بعينه فقد أختلف في نسبتها وإن كان كثير من العلماء ردوا نسبتها إلى الصوف .

٢ـ إن رأى بعض الباحثين تعدد مصادر التصوف الإسلامي من مصادر يونانية خاصة في الفلسفات الإشراقية الموجودة عند متأخري الصوفية ومصادر مسيحية تتضح في التشابه بين رهبان النصاري وشيوخ الصوفية في بعض المظاهر والأقوال ومصادر فارسية وهندية تظهر في عقيدة الفناء والاتحاد ، فقد تم تفنيد هذه المصادر جميعها ، وبقي مصدر واحد هو الذي استقى منه التصوف الإسلامي نباته حتى كبر وبزغ وهو المصدر الإسلامي الذي شمل الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح ، وتدور أفكار التصوف الإسلامي جميعاً حول هذا الفلك فلك الشيعة الإسلامية وما خالفها من أفكار وآراء فإنه مرفوض بل أنه ليس من الإسلام في شيء ، كما أن تأثير هذه المصادر الغريبة عن الإسلام كان تأثيراً في المتأخرين من الصوفية ، وكان تأثيراً بالسلب وليس بالإيجاب ، حيث أنه أتى بأفكار وأراء بعيدة عن الإسلام مثل الفناء والاتحاد والحلول وغيرها ، كما أن هذا التأثير كان في التطور وليس في النشأة .

٣ـ هناك ثلاثة مراحل للتصوف الإسلامي أولاها مرحلة الزهد وهي المرحلة العملية التي لم يهتم أصحابها بوضع كتاب أو نظرية أو جمع مريدين وهذه المرحلة تعد من أنقى مراحل التصوف والعبادة ، وثانيها مرحلة التصوف السني وهي مرحلة السير على الكتاب والسنة فقد اهتم أصحابها بوضع النظريات والكتب وجمع المريدين مع اهتمامهم بالعبادة والجانب العملي فقد جمعت بين العمل والنظر، وآخرها مرحلة التصوف الفلسفي وهي مرحلة نظرية بعيدة كل البعد عن الناحية العملية والتي اهتم أصحابها بالكتب والنظريات وابتعدوا عن التعبد والتبتل ، فكانت مرحلة بحث ونظر.

٤ـ ولد السُّلمي عام (ت: ٣٢٥) هـ في بيت زهد وعبادة فكان أبوه متصوفاً وكان جده إسماعيل بن نجيد (ت : ٣٦٦ هـ) من كبار شيوخ الملامتية في عصره ، وكما تتلمذ السُّلمي على يد مجموعة كبيرة من المشايخ أمثال أبو القاسم النصراباذي (٣٦٧هـ) ، وأبو نصر السراج (ت : ٣٧٨هـ) ، وغيرهم الكثيرين ، وقد ذاع صيت السُّلمي لهذا أصبح له تلاميذ من مختلف بقاع الأرض ، من أهمهم القشيري (٤٦٥ هـ) ، وأبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) وغيرهم ، وقد ترك السُّلمي مصنفات ورسائل وكتب كثيرة جميعها دار حول التصوف وقد اشتملت كتبه على جميع مجالات التصوف من آداب للصحبة أو العشرة أو معالجة النفس من أمراضها أو تفسير صوفي للقرآن الكريم أو دراسة طوائف الصوفية البارزة مثل الملامتية وأهل الفتوة ، ومن أشهر كتبه كتاب (طبقات الصوفية) الذي أشتهر به وجمع فيه خمس طبقات من الصوفية وكتاب(حقائق التفسير) الذي دار حوله الجذب والشد ، كما كان له الكثير من المؤلفات في التصوف حتى وافته المنية عام (٤١٢هـ) .

٥ـ عرّف السُّلمي التصوف وجعل مردوده إلى الكتاب والسنة قائلاً : " أن أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع وتعظيم حرمات المشايخ ورؤية أعذار الخلق والدوام على الأوراد "

والسُّلمي كغيره من الصوفية بين المقامات والأحوال التي يتدرج فيها الصوفي حتى يصل إلى غايته ، وأول هذه المقامات هو مقام التوحيد وهو " إثبات لا نفي فيه ونفي لا إثبات معه ، أي إثبات الخالق وعدم الكفر به ونفي باقي المخلوقات وعدم تداخلها مع الخالق في شيء ، فهو الموجود على الحقيقة ، وفي هذا توضيح لدقة السُّلمي في إخلاصه في التوحيد ، وآخر المقامات عند السُّلمي هو مقام الجمع والتفرقة ، والجمع هو كل ما يتصل بالله من إخلاص في العبادة وتسليم بالقضاء وتوكل وغيره ، والتفرقة هي كل ما يتصل بالعبد ويجب إثبات الاثنين ، فلا تفرقة بلا جمع ولا جمع بلا تفرقة .

٦ـ قام السُّلمي بنقد غلطات الصوفية وإصلاحها ، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على اعتدال السُّلمي وتمسكه بالكتاب والسنة ، فقد قام بنقدهم في مسألة الشطح ، وهي مسألة كثير ما تؤرق الصوفي ، حيث أن أي صوفي أو زاهد معرض لها ، لهذا أراد السُّلمي توضيحها حتى لا يقع فيها أي صوفي ، وإن وقع فيها فكيف عليه أن يفعل حتى يبتعد عنها ، كما قام السُّلمي بتوضيح غلطات الصوفية في الأصول والفروع .

٧ـ تناول السُّلمي النفس والأخلاق في كتاباته ، فعن الأخلاق بحث السُّلمي في الصحبة وآدابها وتنوع آداب الصحبة حسب الصنف الذي تستخدم معه هذه الآداب ، فآداب الصحبة مع الأخوان مخالفة لآداب الصحبة مع الوالدين وهكذا ، ويبحث السُّلمي في آداب السلوك للطريق الصوفي ، فيرى على من يريد أن يسلك هذا الطريق أن يلتزم بآداب معينة لجوارحه وهي الآداب التي أوصى بها الرسول ρ فيلتزم بآداب السمع والبصر واللسان واليد وغيرها من الجوارح .

٨ـ جاء مصدر الإلزام الخلقي عند السُّلمي قائماً على الدين بشقيه الكتاب والسنة ، وفي هذا دلالة على تصوفه السني ، ولهذا فإن السعادة عنده هي طاعة الله في كل الأحوال واتهام النفس وقبول النصيحة من الإخوان.

٩ـ النفس عند السُّلمي هي أصل الشر ورأس البلاء ، وهي معيبة وناقصة لأنها تميل بطبعها إلى فعل المعاصي والرذائل ، والنفس عنده إما لوامة أو أمارة أو مطمئنة ، ويقرر السُّلمي أن النفس ليست هي الروح لأن الروح لطيفة بعيده عن الشهوات ، بينما النفس هي مركب الشهوات واللذات ، فكل من الروح والنفس عنده مغاير للآخر في الطباع وفي الموضوعات التي تتناولها ، ورغم هذا فإن السُّلمي يقرر بفناء الروح والنفس معاً .

١٠ـ شرح السُّلمي عيوب النفس وآفاتها وقام بعلاج هذه العيوب ، وقد قمت بتقسيم هذه العيوب إلى ثلاث نقاط رئيسية وهي عيوب تتصل بعلاقتها مع الله ، وعيوب تتصل بالآخرين ، وعيوب تتصل بذاتها ، وقد قام السُّلمي بعلاج هذه العيوب بطريقة بسيطة وميسرة ملتزما فيها بالكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح .

١١- وقد بحث السُّلمي في موضوع شائك ، وهو تفسير القرآن الكريم على الطريقة الصوفية ، وإن لم يكن هذا التفسير من تأليف السُّلمي ، بل هو جمع وتصنيف لآراء الصوفية إلا أن السُّلمي ناله يد النقد والاعتراض حول هذا التفسير ، وإن كنت أري أنه رغم وجود آيات كثيرة في القرآن الكريم تحتاج إلى تأويل لأن ظاهرها ليست ما تحمله ولا ما تقصد إليه الآية ، إلا أن تفسير القرآن الكريم كله بطريقة صوفية ، أو تأويله يوقع صاحبه في كثير من الأخطاء ، ويا ليت الصوفية احتفظوا بهذا التفسير لأنفسهم أو فيما بينهم ولم ينشروه للآخرين . وإن كان السُّلمي هو أول من وضع تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم ، إلا أنه لم يكن هو أول من أشار إلى هذا التفسير أو تفوه به . لأن تفسير السُّلمي هو جمع وتوليف ليس تأليفا وتصنيفاً .

١٢- ولتنوع فكر السُّلمي الصوفي بحث في طوائف الصوفية المختلفة ، ومن بين هذه الطوائف طائفتان اهتم بهما لدرجة أنه أفرد لهما رسالتين أو كتابين ، واحدة باسم أصول الملامتية ، والأخرى باسم الفتوة ، ويعد السُّلمي أول من كتب في الملامتية على الإطلاق ، فلم يكتب أحد قبله في أصولهم ، وقد جمع السُّلمي أصولهم من شيوخهم وعاداتهم ، وقد ساعد السُّلمي في ذلك أن جده إسماعيل بن نجيد كان أحد شيوخ الملامتية وكان تلميذاً لأحد أكابر شيوخهم وهو أبو عثمان الحيري ، وقد رفع السُّلمي من شأن هؤلاء الملامتية ، وجعل لهم مكانه عالية ، وجعلهم على رأس الصوفية ، وتحدث عن الفتوة وقال عنها أنها أخلاق طيبة وكأنها عنده تساوي التصوف ، لأن التصوف أخلاق طيبة حسنة ، وبهذا نستطيع أن نخرج بنتيجة وهي أن أي صوفي أو عابد أو رجل اهتم بالأخلاق الحسنة الطيبة يعد من أهل الفتوة .

١٣- يوجد صلة وثيقة بين الفتوة والملامتية ، حيث أن شيوخ الفتوة هم أنفسهم شيوخ الملامتية ، وكما سبق وأن قلنا أن أي صوفي يعد من أهل الفتوة ، فإن الملامتية من أهل الفتوة ، كما أن الموضوعات التي يدرسها كل منهما مشتركة بينهم كالنفس والرياء وغيرها .

١٤- أصول وآداب وتعاليم الملامتية وأهل الفتوة لا تخرج من الكتاب والسنة وخاصة الأوائل منهم ، بينما المتشبهين بهم وهم المتأخرون من القلندرية بالنسبة للملامتية ، والعيارون بالنسبة لأهل الفتوة فهم بعيدون عن الكتاب والسنة ، خارجون عن تعاليم الإسلام .

١٥- اختلف العلماء فيما بينهم حول الملامتية وأهل الفتوة ،إلا أن الجميع اتفقوا على أن المتأخرين منهم بعيدين عن الإسلام وقد وصفهم ابن تيميه بأنهم أفجر وأكفر من اليهود والنصارى .

١٦- عن كان السُّلمي كتب في الملامتية والفتوة ، وأفرد لكل منهما رسالة إلا أنه ليس ملامتياً ، ولكنه من أهل الفتوة .

١٧- من كل ما سبق نستطيع أن نتلمس بل نرى وضوح الجانب السني في تصوف السُّلمي ، وهذا واضح في كل نقاط البحث ، فعندما عرّف التصوف رده إلى الكتاب والسنة ، وعندما بحث في الأحوال والمقامات كان يربط كل حال أو مقام بآية أو حديث وعندما درس السُّلمي النفس وأوضح عيوبها قام بعلاج عيوبها بآيات القرآن وأحاديث الرسول ρ ، وعندما أوصى بالصحبة فقد أوصى بحسن الصحبة بأنواعها المختلفة وذلك باتباع تعاليم الكتاب والسنة ، وعندما بحث في التفسير الصوفي لم يجعله الوحيد من التفاسير ، أو أنه الصحيح وباقي التفاسير خاطئة ، بل أكد في مقدمته أنه فهم خطاب الله على لسان أهل الحقيقة أو الصوفية ، وقال الإمام ابن الصلاح أن السُّلمي لم يقول عنه أنه تفسير . وعندما بحث في الملامتية وأهل الفتوة كان بحثه في تعاليمهم وأصولهم وآدابهم جميعه مردود إلي الكتاب والسنة ، حقا كان السُّلمي متجها اتجاها في تصوفه وعبادته ، كما أنه كان يشير دائماً إلى شعار الغيرية واللاأنانية والإيثار ، فكان محباً للجماعة لم ينشق عن الصف ، وإن كان رماه البعض بوضع الأحاديث فأرى أن السُّلمي بريء من هذه التهمة لأنه لم يقبل على الصوفية أن تبتعد عن الكتاب والسنة في نقده لهم في كتابه غلطات الصوفية، فكيف إذا يقبل وضع أحاديث للنبي ρ ، وإن كان هناك بعض الأحاديث الموضوعة في مؤلفاته فإن هذا من باب الخلط وعدم تخصصه

في الرواية ، وأكد هذا ابن تيمية قائلاً " وما يظن به وبأمثاله إن شاء الله تعمد الكذب ، لكن لعدم الحفظ والإتقان يدخل عليهم الخطأ في الرواية " [1].

تم الكلام وربنا المحمود

١- ابن تيمية ، مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، المجلد ١١ ، صـ٤٢ .

ثبت المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

أ- مؤلفات السلمى :

١- المؤلفات المخطوطة

١. السُّلمي : محمد بن الحسين بن محمد - حقائق التفسير - رقم ١٥٠تفسير - دار الكتب المصرية القاهرة .

٢. السُّلمي - سلوك العارفين - رقم ٧٤ تصوف تيمور - دار الكتب المصرية القاهرة.

٣. السُّلمي - الفتوة - رقم ٦٥٠ مجاميع طلعت - دار الكتب المصرية القاهرة.

٤. السُّلمي - مسائل وردت من مكة - رقم ٦٨١ مجاميع طلعت - دار الكتب المصرية القاهرة.

٢- المؤلفات المطبوعة

٥. السُّلمي : محمد بن الحسين أبو عبد الرحمن - آداب الصحبة - تحقيق مجدي فتحي السيد - دار الصحابة للتراث - ط١ طنطا - ١٩٩٠ م

٦. السُّلمى - آداب الصحبة وحسن العشرة - تحقيق وتعليق م . ي . قسطر - منشورات الجمعية الشرقية الإسرائيلية ، أورشليم - ١٩٥٤ م

٧. السُّلمى - أصول الملامتية - ضمن كتاب الملامتية والصوفية وأهل الفتوة - تأليف د. أبو العلا عفيفي - دار إحياء الكتب العربية القاهرة - ١٩٤٥ م

٨. السُّلمي - أصول الملامتية وغلطات الصوفية - تقديم وتحقيق د. عبد الفتاح أحمد الفاوي - مطبعة الرشاد - ١٩٨٥ م

٩. السُّلمي - حقائق التفسير " تفسير القرآن الكريم على الطريقة الصوفية" - تحقيق ودراسة سلمان نصيف جاسم التكريتي - رسالة ماجستير غير منشورة - جامعة القاهرة كلية دار العلوم - ١٩٧٥ م

١٠. السُّلمي - جوامع آداب الصوفية وعيوب النفس ومداواتها - تحقيق وتقديم إيتان كولبرغ - معهد الدراسات الأسيوية والأفريقية - الجامعة العبرية أورشليم - ١٩٧٦ م

١١. السُّلمى - زيادات حقائق التفسير - تحقيق جرهارد بيورينج - دار المشرق - ١٩٩٥ م

١٢. السُّلمي - طبقات الصوفية - تحقيق نور الدين شريبة - مكتبة الخانجي - ط٣- القاهرة ١٩٨٦ م

١٣. السُّلمي - عيوب النفس - تحقيق مجدي فتحي السيد - دار الصحابة للتراث - ط٢- طنطا - ١٩٩٣ م

١٤. السُّلمي - عيوب النفس ودوائها مع مقدمة عن الدراسات النفسية عند الصوفية - تحقيق وتقديم د. محمد السيد الجليند - دار قباء للطباعة والنشر القاهرة - ٢٠٠١

١٥. السُّلمي - غلطات الصوفية - ضمن كتاب أصول الملامتية وغلطات الصوفية - تقديم وتحقيق د. عبد الفتاح أحمد الفاوي - مطبعة الرشاد - ١٩٨٥

١٦. السُّلمي - المقدمة في التصوف - تحقيق د. يوسف زيدان - دار الجبل بيروت - بدون تاريخ

١٧. السُّلمي - وصية - ضمن كتاب عيوب النفس - تحقيق مجدي فتحي السيد - دار الصحابة للتراث - ط٢ طنطا - ١٩٩٣ م

ب – المصادر العربية

١- المخطوطات

١٨ - سبط بن الجوزي : أبي المظفر شمس الدين يوسف بن قيزاوغلي - مرآة الزمان في تاريخ الأعيان - جـ١١- رقم ٥٥١ تاريخ- مصورة بدار الكتب المصرية القاهرة.

المصادر المطبوعة

١٩. البغدادي : أبو بكر الخطيب ـ تاريخ بغداد ـ مكتبة الخانجي ـ ط١ـ القاهرة ـ ١٩٣٠ م

٢٠. البغدادي : ابن المعمار ـ الفتوة ـ تحقيق وتقديم د. فؤاد حسين ـ كتب ثقافية ـ ١٩٥٩ م

٢١. ابن بلبان : علاء الدين بن بلبان الفارسي ـ الإحسان بترتيب صحيح بن حبان ـ ضبط وتقديم كمال يوسف الحوت ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٨٧ م

٢٢. ابن تيمية : تقي الدين أحمد بن تيمية ـ الصوفية والفقراء ـ تحقيق د. أسامه محمد حمزة ـ دار الفتح ـ ط١ـ ١٩٨٤ م

٢٣. ابن تيمية ـ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ـ تحقيق أحمد حمدي محمود ـ مطبعة المدني القاهرة ـ ١٩٣٢ م

٢٤. ابن تيمية ـ فقه التصوف ـ تعليق وتهذيب الشيخ زهير شفيق الكبي ـ دار الفكر بيروت ـ بدون تاريخ

٢٥. ابن تيمية ـ مجموعة الرسائل والمسائل ـ تحقيق وتعليق محمد رشيد رضا ـ مطبعة المنار ـ ط١ بمصر ـ ١٣٤١هـ

٢٦. ابن تيمية ـ مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ـ جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم ـ كتاب التصوف ـ مطبعة الحكومة مكة المكرمة ـ ١٣٨٩ هـ

٢٧. ابن تيمية ـ منهاج السنة النبوية ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ بدون تاريخ

٢٨. ابن الجوزي : جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ـ تلبيس إبليس ـ تحقيق د. السيد الجيلي ـ دار الريان للتراث ـ ١٩٨٨ م

٢٩. ابن الجوزي ـ تلبيس إبليس ـ تحقيق نخبه من كبار العلماء ـ دار الكتاب العربي القاهرة ـ ١٩٨٦ م

٣٠. ابن حجر : شهاب الدين بن حجر العسقلاني ـ لسان الميزان ـ تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ، د. علي محمد معوض ـ دار الكتب العلمية ـ ط١ بيروت ـ ١٩٩٦ م

٣١. ابن حجر ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ـ تحقيق محب الدين الخطيب وآخرون ـ دار الريان للتراث ـ ط١ـ القاهرة ـ ١٩٨٧ م
٣٢. ابن حزم : ابن حزم الأندلسي ـ مداواة النفوس ـ تحقيق عادل أبو المعاطي ـ دار المشرق العربي ـ ط١ـ القاهرة ـ ١٩٨٨ م
٣٣. ابن حنبل : أحمد بن حنبل ـ المسند وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأعمال ـ المكتب الإسلامي ـ بدون تاريخ
٣٤. ابن خلدون ـ المقدمة ـ دار القلم ـ ط٧ ـ بيروت ـ ١٩٨٩ م
٣٥. ابن سينا : الشيخ الرئيس الحسين أبي علي بن سينا ـ النجاة (مختصر الشفاء) وهو في الحكمة المنطقية والطبيعية الإلهية ـ مطبعة السعادة بمصر ـ ١٣٣١ هـ
٣٦. ابن عباس ـ تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ـ وضع محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ـ مطبعة الحلبي ـ ١٣٧٨ هـ
٣٧. ابن عربي : محي الدين بن عربي – الفتوحات المكية – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – بدون تاريخ .
٣٨. ابن العماد : أبي الفلاح بن العماد الحنبلي – شذرات الذهب في أخبار من ذهب – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان – بدون تاريخ .
٣٩. ابن الفداء : عماد الدين بن الفدا ـ المختصر في أخبار البشر ـ المطبعة الحسنية ـ ط١ـ بدون تاريخ
٤٠. ابن ماجه ـ السنن ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ المكتبة العلمية بيروت ـ بدون تاريخ .
٤١. ابن منظور ـ لسان العرب ـ دار صادر ـ ط١ بيروت ـ ١٩٩٢ م .
٤٢. أبي داود ـ السنن ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ المكتبة العصرية بيروت ـ بدون تاريخ
٤٣. الترمذي ـ السنن وهو الجامع الصحيح ـ ضبط وتصحيح عبد الرحمن محمد عثمان ـ دار الفكر ـ ط٣ ـ ١٩٧٨ م

٤٤. التستري : سهل بن عبد الله ـ تفسير القرآن العظيم ـ حققه وضبطه طه عبد الرؤف سعد ، د. سعيد حسن محمد علي – دار الحرم للتراث – ط١ – القاهرة –٢٠٠٤م

٤٥. التفتازاني : سعد الدين التفتازاني ـ شرح العقائد النسفية ـ تحقيق د. أحمد حجازي السقاط ـ مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ـ ١٩٨٨ م

٤٦. الداودي : شمس الدين أحمد ـ طبقات المفسرين ـ تحقيق د. علي محمد عمر ـ مكتبة وهبة ـ ط١ القاهرة ـ ١٩٧٢ م

٤٧. الديلمي : الحافظ بن شيروية الديلمي ـ الفردوس ـ تحقيق وتقديم فؤاد أحمد الزمرلي ـ دار الكتاب العربي ـ بدون تاريخ

٤٨. الذهبي : شمس الدين الذهبي ـ تذكرة الحفاظ ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة ، بدون تاريخ

٤٩. الذهبي ـ دول الإسلام ـ تحقيق فهيم محمود شلتوت ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ـ ١٩٧٤م

٥٠. الذهبي ـ سير أعلام النبلاء ـ تحقيق شعيب الأرنؤط ، ومحمد نعيم العرقسوسي ـ مؤسسة الرسالة ـ ط٦ بيروت ـ ١٩٩٠ م

٥١. الزركشي ـ البرهان في علوم القرآن ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ المكتبة العصرية صيدا بيروت ـ ١٩٧٢

٥٢. الزركلي : خير الدين – الأعلام – دار العلم للملايين – ط٧ بيروت – ١٩٨٦م

٥٣. السبكي : تاج الدين بن نصر – طبقات الشافعية الكبرى – تحقيق محمود محمد الطناحي ، عبد الفتاح محمد الحلو – دار إحياء الكتب العربية – القاهرة – بدون تاريخ .

٥٤. السهروردي : عمر بن محمد بن عبد الله الملقب بشهاب الدين السهروردي ـ عوارف المعارف ـ مكتبة القاهرة ـ ١٩٧٣ م .

٥٥. السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن ـ الإتقان في علوم القرآن ـ تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ـ المكتبة العصرية صيدا بيروت ـ ١٩٨٧ م

٥٦. ٦٦ـ السيوطي : طبقات الحفاظ ـ تحقيق د. علي محمد عمر ـ مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ١٩٩٦م

٥٧. السيوطي ـ طبقات المفسرين ـ راجعه وضبط أعلامه لجنة من العلماء بإشراف الناشر ـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ـ بدون تاريخ

٥٨. الشيباني : أبي الحسن على عبد الواحد ـ الكامل في التاريخ ـ المكتبة الأزهرية المصرية ـ ط١ـ ١٣٠١ هـ

٥٩. الأصبهاني : أبي نعيم الأصبهاني ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ـ مكتبة الخانجي القاهرة ـ ١٩٣٢ م

٦٠. الطبري : أبي جعفر بن جرير ـ جامع البيان في تفسير القرآن ـ دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان ـ ١٩٨٧ م

٦١. الطوسي : أبي نصر سراج الطوسي ـ اللمع ـ تحقيق د. عبد الحليم محمود ، طه عبد الباقي سرور ـ دار الكتب الحديثة ـ ١٩٦٠ م

٦٢. الغزالي : أبو حامد الغزالي ـ تهافت الفلاسفة ـ تحقيق وتقديم د. سليمان دنيا ـ دار المعارف ـ ط٧ القاهرة ـ ١٩٨٧ م .

٦٣. الغزالي : إلجام العوام في علم الكلام ـ تصحيح وتعليق المعتصم بالله البغدادي ـ دار الكتاب العربي ـ ط١ ـ ١٩٨٥م

٦٤. الغزالي ـ إحياء علوم الدين ـ دار الغد العربي ـ ط٢ ـ ١٩٨٧ م

٦٥. الغزالي ـ إحياء علوم الدين ـ دار الكتاب العربي ـ ١٩٨٨ م

٦٦. الغزالي ـ كتاب الأربعين في أصول الدين ـ المطبعة الأميرية بمكة ـ ١٣٠٢هـ

٦٧. الغزالي ـ مشكاة الأنوار ـ حققها وقدم لها د. أبو العلا عفيفي ـ الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٦٤ م

٦٨. الفيروزآبادي : مجد الدين ـ القاموس المحيط ـ تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي ـ دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ـ ١٩٩٧م

٦٩. القرطبي : محمد بن أحمد الأنصاري ـ الجامع لأحكام القرآن ـ دار إحياء التراث ـ ط٢ بيروت لبنان ـ ١٩٨٥ م .

٧٠. القشيري : عبد الكريم بن هوازن ـ ترتيب السلوك في طريق الله ـ تحقيق د. إبراهيم بسيوني ـ من كنوز التراث االصوفي ـ ١٩٨٥ م .
٧١. القشيري ـ الرسالة القشيرية ـ تحقيق د. عبد الحليم محمود ، ومحمود بن الشريف ـ دار الكتب الحديثة ـ بدون تاريخ .
٧٢. القشيري ـ لطائف الإشارات (تفسير صوفي كامل للقرآن الكريم) ـ قدمه وحققه وعلق عليه د. إبراهيم بسيوني ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ط٣ القاهرة ـ ٢٠٠٠م
٧٣. المحاسبي : الحارث أبن أسد ـ الرعاية لحقوق الله ـ تحقيق د. عبد الحليم محمود ـ دار المعارف القاهرة ـ بدون تاريخ .
٧٤. المحاسبي ـ الوصايا ـ دار الكتب العلمية ـ ط١ بيروت ـ ١٩٨٦ م
٧٥. النووي : محي الدين بن يحي ـ رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ـ مكتبة الجمهورية العربية القاهرة ـ بدون تاريخ .
٧٦. الهجوري ـ كشف المحجوب ـ ترجمة إسعاد عبد الهادي قنديل ـ دار النهضة العربية بيروت ـ ١٩٨٠ م .
٧٧. الهروي : أبي إسماعيل الأنصاري ـ التمكين في شرح منازل السائرين ـ تحقيق السيد محمود أبو الفيض ـ دار نهضة مصر القاهرة ـ ١٩٦٩ م .

<u>ثانياً المراجع العربية .</u>

٧٨. إبراهيم مدكور : دكتور ـ في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه ـ دار المعارف القاهرة ـ ١٩٧٣ م
٧٩. أبو العلا عفيفي : دكتور ـ التصوف الثورة الروحية ـ دار المعارف القاهرة ـ ١٩٦٢ م
٨٠. أبو العلا عفيفي : دكتور ـ الملامتية والصوفية وأهل الفتوة ـ دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة ـ ١٩٤٥ م
٨١. أبو عمر نادي أبو محمود حسن الأزهري : دكتورـ الدخيل في كتب التفسير وأثره على الأمة ـ طبعة مزوده بفصول جديدة ـ ط٢ـ ١٩٩٦ م

٨٢. أبو الوفا التفتازاني : دكتور ـ مدخل إلى التصوف الإسلامي ـ دار الثقافة للنشر والتوزيع ـ ط٣ـ القاهرة ـ ١٩٨٣ م

٨٣. بروكلمان : كارل بروكلمان ـ تاريخ الأدب العربي ـ ترجمة د. السيد يعقوب بكر ، د. رمضان عبد التواب ـ دار المعارف بمصر ١٩٧٥ م

٨٤. الجيوشي : محمد إبراهيم الجيوشي ـ بين التصوف والأدب ـ مكتبة الأنجلو المصرية - بدون تاريخ

٨٥. حسن الشرقاوي : دكتور ـ ألفاظ الصوفية ومعانيها ـ دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ـ ١٩٧٥ م

٨٦. حمدي حيا الله : دكتور ـ أثر التفلسف في الفكر العربي ـ مطبعة الجبلاوي ـ ط القاهرة ١٩٧٣ م

٨٧. الدجوي : أحمد سعيد الدجوي ـ فتح الخلاق في مكارم الأخلاق ـ تحقيق عبد الرحمن مارديني - مكتبة دار المحبة ـ ط١ـ دمشق ـ ١٩٩١ م

٨٨. رينتز : جورج رينتز وآخرون ـ دراسات إسلامية ـ ترجمة وأنيس فريحة وآخرون - دار الأندلس بيروت ـ ١٩٦٠

٨٩. سالم – زكي محمود عدل الدين سالم – الإنسان في فلسفة الغزالي وتصوفه – دار الفكر العربي – القاهرة - بدون تاريخ.

٩٠. سرور : طه عبد الباقي سرور – الحسين بن منصور الحلاج شهيد التصوف الإسلامي – المكتبة العلمية – ط١ – القاهرة – ١٩٦١م .

٩١. سرور : طه عبد الباقي سرور – من أعلام التصوف الإسلامي – مكتبة النهضة مصر – بدون تاريخ .

٩٢. سزكين : فؤاد سزكين – تاريخ الأدب العربي – ترجمة د.السيد يعقوب بكر ، د. رمضان عبد التواب – دار المعارف بمصر – ١٩٧٥م .

٩٣. سعيد مراد : دكتور ، المدخل إلى دراسة الأديان ـ مكتبة رشيد ـ ط١ الزقازيق ـ ١٩٩٨ م

٩٤. سعيد مراد : دكتور - نظرية السعادة عند فلاسفة الإسلام - مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة - ١٩٩٢ م

٩٥. الشحات السيد زغلول : دكتور - الاتجاهات الفكرية في التفسير - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ط٢- القاهرة - ١٩٧٧ م

٩٦. شمس الدين الفاسي : دكتور - مملكة التصوف - ط١- ١٩٩٢ م

٩٧. عبد الحليم محمود : دكتور - قضية التصوف (المنقذ من الضلال) – دار المعارف - ط٢- القاهرة - ١٩٨٥ م

٩٨. عبد الرحمن بدوي : دكتور - تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني - وكالة المطبوعات الكويت - بدون تاريخ

٩٩. عبد الرحمن بدوي : دكتور - شطحات الصوفية (أبو يزيد البسطامي) - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٤٩ م

١٠٠. عبد العزيز محمود : دكتور - الفتوة في المفهوم الإسلامي (دراسة في الأخلاق الإسلامية)- دار الوفاء للطباعة والنشر - الإسكندرية - ١٩٩٨ م

١٠١. عبد الفتاح أحمد الفاوي : دكتور - التصوف عقيدة وسلوك - مكتبة الزهراء - ط١- القاهرة - ١٩٩٢ م

١٠٢. عبد الفتاح أحمد الفاوي : دكتور - الأخلاق دراسة فلسفية دينية - ط١ - القاهرة -١٩٩٠م

١٠٣. عبد القادر محمود : دكتور - الفلسفة الصوفية في الإسلام مصادرها ونظرياتها ومكانها من الدين والحياة - دار الفكر العربي - ط١ - القاهرة - ١٩٦٧ م

١٠٤. عبد الله شحاته : دكتور - علوم التفسير - دار الشروق - ط١ - القاهرة - ٢٠٠١

١٠٥. عبد المنعم الحفني: دكتور- الموسوعة الصوفية وأعلام التصوف – دار الرشاد – ط١ – ١٩٩٢م .

١٠٦. العبيد : عبد الرحمن بن عبد الكريم العبيد – أصول المنهج الإسلامي (دراسة معاصرة في العقيدة والأحكام والآداب) – دار الذخائر السعودية – ط٣ – ١٤١٤هـ .

١٠٧. عمر الدسوقي : دكتور – الفتوة عند العرب أو أحاديث الفروسية والمثل العليا – مكتبة نهضة مصر – ط٢ – القاهرة – ١٩٥١م .

١٠٨. علي سامي النشار : دكتور – نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام – دار المعارف – ط٧ – القاهرة – ١٩٩٦م .

١٠٩. عياد : أحمد توفيق عياد – التصوف الإسلامي تاريخه وطبيعته ومدارسه وأثره – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ١٩٧٠م .

١١٠. فيصل بدر عون : دكتور ـ الفلسفة الإسلامية في المشرق ـ دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة ـ بدون تاريخ.

١١١. قاسم غني : دكتور ـ تاريخ التصوف في الإسلام ـ ترجمة صادق نشأت ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ بدون تاريخ .

١١٢. محمد الحسن : دكتور ـ المذاهب والأفكار المعاصرة والتصور الإسلامي ـ دار البشر للثقافة والعلوم الإسلامية ـ ط٣ـ ١٩٩٠ م .

١١٣. محمد حسين الذهبي : دكتور ـ التفسير والمفسرون ـ مكتبة وهبة ـ ط٣ القاهرة ـ ١٩٨٥م .

١١٤. محمد حسين الذهبي : دكتور ـ علم التفسير ـ دار المعارف القاهرة ـ ١٩٧٧م .

١١٥. محمد جلال شرف : دكتور ـ دراسات في التصوف الإسلامي شخصيات ومذاهب ـ دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ـ بدون تاريخ .

١١٦. محمد سيد أحمد المسير : دكتور ـ مقدمة في دراسة الفرق الإسلامية ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ بدون تاريخ .

١١٧. محمد غلاب : دكتور ـ التنسك الإسلامي نشأته وتطوره ومذاهبه ورجاله ـ لجنة التعريف بالإسلام ـ ١٩٧٠ م .

١١٨. محمد بن محمد أبو شهبة ـ الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ـ الهيئة العامة للمطابع الأميرية ـ ١٩٧٣ م .

١١٩. محمد محمود عبد الحميد أبو قحف : دكتور ـ التصوف الإسلامي خصائصه ومذاهبة مع دراسة تحليلية وميدانية للطرق الصوفية ـ مكتبة القومية الحديثة طنطا ـ ١٩٩٢ م .

١٢٠. محمد محمود عبد الحميد أبو قحف : دكتور ـ تاريخ الفلسفة اليونانية ـ دار الحضارة للطباعة والنشر طنطا ـ ١٩٩٧م .

١٢١. محمد مصطفى حلمي : دكتور ـ الحياة الروحية في الإسلام ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ط٢ ـ القاهرة ـ ١٩٨٤ م .

١٢٢. محمود حمدي زقزوق : دكتور ـ مقدمة في علم الأخلاق ـ دار الفكر العربي ـ ط٤ ـ ١٩٩٣ م .

١٢٣. محمود ماضي : دكتور ـ في فلسفة ابن سينا تحليل ونقد ـ دار الدعوة ـ ط١ الإسكندرية ـ ١٩٩٧ م

١٢٤. محمود ماضي : دكتور ـ مباحث في المعرفة في الفكر الإسلامي ـ مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ـ ١٩٩٠ م .

١٢٥. محمود ماضي : دكتور ـ منهج ابن القيم في أصول الدين ـ مكتبة الإيمان الإسكندرية ـ ١٩٨٩م .

١٢٦. مرفت عزت بالي : دكتورة ـ من قضايا الفكر الفلسفي والعلمي عند العرب ـ مطابع الهيئة المصرية العامة ـ ١٩٩٧ م .

١٢٧. مصطفى عبده : دكتور ـ فلسفة الأخلاق ـ مكتبة مدبولي ـ ط٢ـ القاهرة ـ ١٩٩٩ م .

١٢٨. مصطفى كامل الشيبي : دكتور ـ الصلة بين التصوف والتشيع (العناصر الشيعية في التصوف) ـ دار الأندلس ـ ط٣ بيروت ـ ١٩٨٢ م .

١٢٩. يحيي هاشم حسن فرغل : دكتور ـ أصول التصوف الإسلامي ـ مطبعة الجبلاوي ـ ط١ ـ ١٩٨٣ م .

٣ـ المراجع الأجنبية :

1- As sulami : Abu Abd ar- Rahman –the minor Qur,An Commentary – Edited With Introduction – Gerhard Bowering Dar Elmachrq – 1995 .
2- Qadir : C. A. – Philosophy and science in the Islamic world – London and new yuork – Re printed – 1991 .